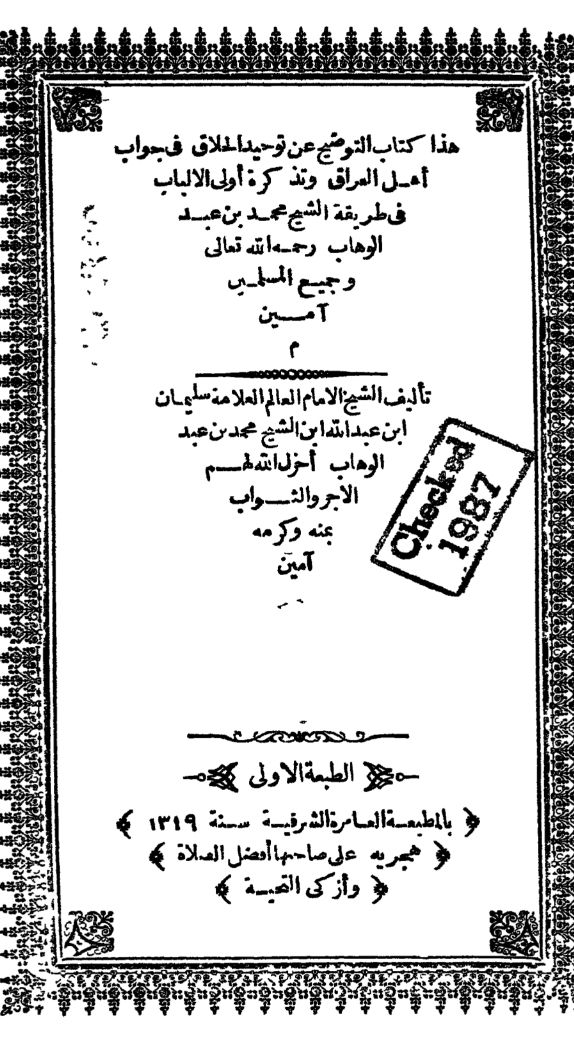
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما أثنى على نفسه فالعبد لا يحصي ثناء على ربه والصلاة والسلام على أفضل خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه آمين ﴿وبعد﴾ اعلم أيها المطلع على هذا الكتاب ينبغي ان تنظر بعين الانصاف وتدع التعنت والاعتساف وقد علم من كلام سيد المرسلين ان الحق ضالة المؤمن أينما وجده التقطه ثم ليعلم ان الوهابية حنابلة المذهب متابعون لمذهب الامام المبجل أبي عبد الله الامام أحمد بن حنبل في الأصول والفروع والاعتقاد والمعاملة والحدود وغيرها مستمدين ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه والتابعين لهم باحسان ولا يخرجون عن ذلك يوالون في الله ويعادون فيه وأما نسبة الوهابية لهم فلكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله اشتهر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى واخلاص العبادة له وتنفيذ الاحكام الشرعية المبسوطة في كتب الحنابلة من جلد الزاني البكر وتغريبه بعد ثبوت البينة ورجم المحصن وقطع يد السارق وغير ذلك من الاحكام حسده بعض معاصريه ولقبه وأتباعه بالوهابية ليعمي على الناس انهم ليسوا على سنة وانما هم من جنس أهل الطرائق والابتداعات الذين شرعوا في دين الله ما لم يأذن به الله والا فالشيخ نفسه له المصنفات العديدة في الاصول والفروع والاعتقاد فمن الفروع * كتاب آداب المشي الى الصلاة اختصره من كتاب الاقناع للعلامة والحبر الفهامة الشيخ موسى الحجاوي الحنبلي آخر المجتهدين من الحنابلة * وله كتاب اختصره من الشرح الكبير والانصاف وقد اختصر سيرة ابن هشام وله غير ذلك كما ستقف على البعض في هذا الكتاب ومن أراد الاطلاع على منشئه وسيرته فلينظر تاريخ الشيخ العلامة حسين ابن غنام الاحسائي وقريبا يطبع مختصره بحول الله وقوته فمن اطلع عليه بانصاف انكشفت له الحقائق وعلم كذب ما افتراه عليه أهل الافك والبهتان فالواجب على المسلم ان لا يغتر بما افتراه المفترون وليذكر قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآية فالحق اذا تكلم به الوهابي لا يرد لكون النسبة وهابيا فالحق لا يعرف بالرجال وانما يعرف الرجال بالحق وتركوا النسبة لاسم الشيخ نفسه حيث يكون محمديا وأتباعه محمدية لان فيها نوع مدح لمشاركته لاسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتطرق اليه الذم والسب فربك بغافل عما يعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * ويجب على كل مسلم أن لا يرد قول الله أو رسوله أو سنته اذا خالف هواه أو مقلده لان الله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم قال بعض السلف أتدري ما الفتنة الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

حرره الفقير صالح بن دخيل

الله ابن جار الله من

آل سابق

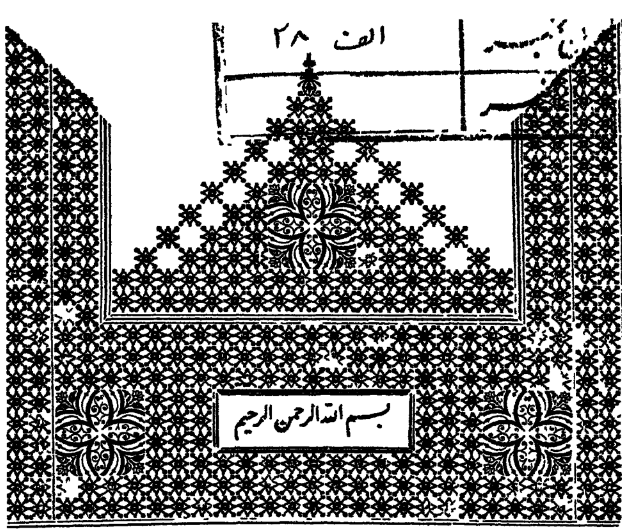


هذا كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب
أهل العراق وتذكرة أولي الالباب
في طريقة الشيخ محمد بن عبد
الوهاب رحمه الله تعالى
وجميع المسلمين
آمين

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة سليمان
ابن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد
الوهاب أجزل الله لهم
الأجر والثواب
بمنه وكرمه
آمين

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣١٩
هجريه على صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مكمل الدين وناصره ومظهر الحق بسيف الوحي ودافع الشرك والباطل وقامعه الذي أتم علينا وافر نعمته وتفضل فرضي لنا الاسلام دينا بكمال منته وأمرنا أن نستهدي به صراطه المستقيم لعظم شأنه وشرفه وأوضح لنا قواعد دينه الاسلام وملته ونصب رايات الهدى فهي تنادي لدار الخلد من جنته المتحبب الى خلقه بفتح أبواب رحمته والمحسن الى أهل ملته الحنيفية بترادف أنواع الخير من نعمته وميسر لمن اختاره بنصرة دينه أسباب علو الهمة ومانحهم باقامتهم عليه كشف كل شدة وغمه والهمهم لتوحيده حمدا موافيا لنعمه ومكافئا لمزيده وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها يوم وعده ووعيده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما استدار الزمان في تكوره وتكويره (أما بعد) فان الله عز وجل خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات ليعرف وتعلم حكمته وقدرته فيه بد وحده لا شريك له ويكون الدين كله بانواعه له مختص بجلاله وذلك معلوم ضرورة قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقال عز من قائل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر سبحانه أن القصد بالخلق والامر ان يعرف باسمائه وصفاته

ويعبد

ويعبد وحده لا شريك له وان تقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به السموات والارض كما قال جل ذكره لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ومن أعظم القسط التوحيد بل هو رأس العدل وقوامه وان الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم والتوحيد أعدل العدل وأوجب الواجبات وأفرض الطاعات ولما كان الشرك بالله منافيا بالذات لتوحيده تعالى واخلاص العبادة له كان أكبر الكبائر على الاطلاق وحرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وأبى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له فى الآخرة دعوة أو يقيل له فيها عثرة فان المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه وقد أرسل سبحانه وتعالى رسله الى خلقه وأنزل كتبه ليعلموا ذلك ويتقنوا اقامة الحجة عليهم كما قال عز من قائل ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبورا الى ان قال رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فدين الرسل واحد لم يختلفوا فى شئ من أصله وانما يحصل الفترة بين الرسولين فيندرس الدين أو بعضه فيحصل التبديل ويتغير وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق على فترة من الرسل وأهل الارض مقتهم الله عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ماتوا أو أكثرهم قبل مبعثه صلوات الله وسلامه عليه والناس اذ ذاك أحد رجلين اما كتابى معتصم بكتاب اما مبدل أو مبدل ومنسوخ والدين كله أو بعضه مجهول متروك وأمى من عربى وعجمى مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال وغير ذلك والناس فى جاهلية جهلاء من مقالات يظنونها علما وهى جهل واعمال سيئة يحسبونها صلاحا وهى فساد وغاية البارع منهم علما وعملا ان يحصل قليلا من العلم الموروث عن الانبياء المتقدمين قد اشتبه عليه حقه بباطله أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع فهدى الله الناس ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين وفاقت معرفة العارفين حتى حصل لامته المؤمنين عموما وأولى العلم منهم خصوصا من العلم النافع والعمل الصالح والاخلاق العظيمة والسنن المستقيمة ما لو جمعت حكمة سائر الامم علما وعملا الخالصة من كل شوب الى الحكمة التى بعث بها صلى الله عليه وسلم لتفاوتا تفاوتا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما والآيات القرآنية والاحاديث النبوية تدل على ذلك ولله الحمد والمنة (وقد روى) مسلم فى صحيحه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض وانى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربى قال يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة وان لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا ورواه البرقانى فى صحيحه وزاد وانما أخاف على أمتى الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم

القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد طوائف من أمتي الأوثان وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى فملك الامة لاقطار الارض ثم افتراقهم الحاصل لهم والاختلاف بينهم محقق مضبوط محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وكان صلى الله عليه وسلم يحذر أمته منه ليحذر من شاء الله منهم (فمن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال هذه السبل المتفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون رواه الامام أحمد وغيره ومع ان الله تعالى حذرنا هذه السبل فقضاؤه وسبحانه بانفاذ ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم سبق بعلم الله تعالى حيث قال الصادق المصدوق فيما خرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا أولئك فاخبر صلى الله عليه وسلم انه سيكون في أمته مضاهاة لمن سلف من الامم اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب وفارس والروم وهم الاعاجم وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء وليس اخبارا عن جميع الامة بل قد تواتر عنه عليه الصلاة والسلام انه لا تزال من أمته طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة وان الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم واني شهيد عليكم واني والله لأنظر الى حوضي الآن واني أعطيت مفاتيح خزائن الارض أو قال مفاتيح الارض واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وفي رواية ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبة فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فعلم بخبره الصادق أنه في أمته قوم متمسكون بهديه الذي هو دين الاسلام محضا وقوم منحرفون الى شعبة من شعب اليهود أو النصارى أو المشركين وفي حديث الثوري وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي (رواه أبو عيسى الترمذي) وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه الا من هذا الوجه وحديث الافتراق مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن عوف الأشجعي وغيرهم فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت

اليهود على احدى وسبعين فرقة واثنين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث
وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن معاوية بن أبي
سفيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنين وسبعين ملة
وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني أهل الاهواء كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة
وقال انه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق
ولا مفصل الا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس
أحرى أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الازهر بن عبد الله الحرازي
عن أبي عامر عبد الله بن لحي عن معاوية رواه عنه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة ورواه
الامام أحمد وأبو داود في سننه وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن
سعد عن عوف بن مالك الاشجعي ويروى من وجوه أخر فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بافتراق
أمته على ثلاث وسبعين فرقة والثنتان والسبعون لا ريب انهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم
ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم اما في الدين فقط واما في الدين والدنيا معا
ثم قد يؤول الى سفك الدماء لاجل الدين فقط أو [illegible] فقط وهذا الاختلاف هو ما نهى
عنه الله في قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم
عذاب عظيم الآيات وقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم
وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت الآية ومنشأ
هذا الاختلاف واصله اما من جهة عدم العلم [illegible] الحق من الباطل ويميز بينهما [illegible]
يتبع الحق علما ولا قولا ولا عملا أما من [illegible] عمل بلا علم فحقيقته [illegible] لا مرية من الله
ويقولون على الله بلا علم (فصل) [illegible] نزلنا من
البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (وفي [illegible])
من مشابهة النصارى [illegible]
[illegible] طوائف من هذه الامة من [illegible]
[illegible] هؤلاء المتسمين [illegible]
[illegible]
[illegible] غيره [illegible]
يتيقن أن مخالفه [illegible]
وأهل الهوى لا يكترثون [illegible]
علما نافعا فيه شبه من [illegible]
[illegible]

الله عليه وسلم وأصحابه وفي قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه العرباض بن سارية السلمي رضي الله
عنه عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح
ورواه ابن ماجه وفيه قال صلى الله عليه وسلم قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها
إلا هالك وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني خلفت فيكم ما لم تضلوا
بعدهما ما أخذتم بهما أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض وانظر بعين
الإنصاف إلى ما تشعب فيه الناس وأصبح أيهم نابذا كتاب الله وسنة نبيه وراء ظهره زاعما أن كتاب
الله ما بقي من حكمه الآن إلا مجرد التلاوة باللسان وأما فهم معانيه وتدبره والعمل بما فيه فلا وصول لأحد
إليه وكذلك الأحاديث فالقرآن مصرح بنقيض قولهم ورد حججهم قال تعالى كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها
وقال تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال
تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد فهذا كله مشعر بأن
القرآن محفوظ ومصون عن التبديل والتغيير والنسخ جملة وعدم فهم معانيه وتدبره فإنه للذين آمنوا
نور وهدى ولم ينزله الله إلا ليعمل به والعمل به متوقف على معرفة معانيه وكذلك الأحاديث فإنها تفسر
القرآن كما أن بعضه يفسر بعضا وقد فسره الصحابة رضي الله عنهم وتفقهوا في الدين منه كما تفقهوا من
السنة وكذلك كتب الأئمة الأعلام الذين ... من أهل الملة الغراء والمحجة البيضاء المفسرين
له والمؤولين لمعانيه والجامعين للأحاديث النبوية الموردين كل فرقة غوية ليس في أيديهم منها
إلا مجرد تلاوتها من غير تذكر لما فيها ولا عمل بما فيها بل استغنوا عن ذلك كله بزخرفات المبطلين
واتباع حجج المضلين واتباع الهوى ... من عموم الهوى حتى كتب الفقه التي في أيديهم
ويزعمون العمل بها ... فيها ... ومن معاني ما تضمنته مما كان موافقا لتحقيق الكلام
والتشدق به من تعلم الدعاوى ... وتعليم ... فإنما تتلى باللسان تلاوة
وقل ما توجد ... عند الخواص من ذوي الثروة يساطرها
مخزونة عنده من غير انتفاع ... بما لا يعلم اسمها
ولا اسم مؤلفها ... عداوة ... وإيثار الباطل ... اجتلابا لقلوب العوام
وجمع الحطام وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين
ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل أبي تغترون وعلي تجترئون فبي
حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران (وذكر) ابن أبي الدنيا من حديث جعفر
ابن محمد عن أبيه عن جده قال قال علي كرم الله وجهه يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا
اسمه ولا من القرآن إلا رسمه مساجدهم ... من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم
السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود (وذكر ...) عن ... بن عطية أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ... حتى ...

وسببه اغفاله والاعراض عن منهاج الرسول وما كان عليه هو وأصحابه صلاة الله وسلامه عليه وعليهم
أجمعين والاقبال والانقياد الى طاعة هذا العدو اللعين الذي توعدنا وحذرنا منه في قوله لآتينهم من
بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وقد قال تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فلذلك حصل ما رأيت والغمرة ووحدت الغفلة
فانعكس الامر وهجر ما الله به أمر وارتكب ما عنه نهى وزجر فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا
واتبعت الاهواء وعمت البلوى فالآمر بالمعروف ينكر عليه والمتبع لهواه المنقاد الى الباطل والمتنسك
به يحل ويوقف بين يديه وقد آل ذلك الى عمى القلوب والجهل بما هو من العبد مطلوب (حتى اذا
أوجد الله رجلا) أحيا به قلوبا بافتداء كشفه انهمكت في أنواع باطل مضاد للحق متناول الشرك الاكبر فما
دونه فصرفهم عنه وأنقذهم منه ونهاهم عنه ثم قادهم الى سبيل الخير والهداة الذي هو منهاج نبيهم وأصحابه
وما أنزل القرآن لاجله (قام عليه) أهل الاهواء فخرجوه وبدعوه ومنهم من جعل اليهود والنصارى
أخف شرا منه ومن أتباعه بلا تدبر ولا تذكر ولا تفكر في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ولا
في كلام الائمة الاعلام ممن سلف من الايام وما حصل لهم وعليهم من الاذى في ذات الله تعالى حسدا
وبغيا ما الاجل حتى جهلوا به وقالوا ونهوا عن ضده واحتنموا أو لتصنيف صنفوه أو على غير ماشئ من
ذلك أسلفوه وأعماهو بسبب عدم موافقتهم لهم فيما اعتقدوه (ومن تأمل) أحوال السلف وما جرى
عليهم من أنواع البلوى اما قتلا واما حبسا أو نفيا أو ضربا بالابتلاء كرت أسبابه على تفاصيلها وذكر
عدد من ابتلى ممن سلف لا يحتمل ذلك مجلدات ضخام ولكن لنا في الاختصار أسوة (علم علم اليقين) ان
الله سبحانه يبتلى أحبابه ابتلاء لما فيه من حكمة ولو لم يكن فيه الا رفع المقامات وتكفير السيئات خصوصا
هذا التوحيد فانه سبحانه من حكمته لم يبعث به نبيا فقط الا جعل له أعداء يؤذونه كما قال تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (ولما كان
العلماء ورثة الانبياء) جعل الله لمن كان منهم عاملا بعلمه مهتديا بقول الله متبعا لسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم عدوا من الانس والجن يؤذونه ويشوشون عليه وأتباعه ويردون عليه ما قال عن الله
ورسوله قوالدوهذا كله من الله عدل اذ فيه رفع درجات الانبياء واظهار مقامهم صلوات الله وسلامه
عليهم وتكفير سيئات هؤلاء العلماء ورفع درجاتهم وتعظيم أجورهم رضي الله عنهم ولذلك قال تعالى
ولو شاء ربك ما فعلوه ومع ذلك فلابد من نصر ما جاءت به الرسل الذي عملت به هؤلاء العلماء ودعت اليه
قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال تعالى ثم ننجي رسلنا
والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين فمن نصرهم هؤلاء العلماء المذكورين نصر دانه كما
نصر رسله وهذا مصداق قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهكذا لم تزل
السلسلة في صعود وهبوط الى ان حل بهذا الزمان ما حل ما اندرس الدين خالو من قبله من صالح سلف
الامة وخيارها لكن قد هدى الله به من ضلالة فهو أكبر النكاية على الاطلاق في هذا الزمن الاجر
لهم مغتنما لقوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من
تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شئ أخرجه مسلم وابن ماجه والترمذي من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه [illegible] وردت الية [illegible] فعلماء المجددين والشاهدين لها وعلماء

نجد وسكانها وعلماء الاحساء واتباعهم المتعلقة بكشف أحواله وما يدعو الناس اليه من توحيد الله واخلاص العبادة له ومتضمنة للسؤال عن بيان ما يدعيه ما يقوله وما دليله فيه فاجابهم باجوبة من الكتاب والسنة واجماع صالح سلف الامة ما بمثلها يهتدي المهتدون وعلم ايقف المنصفون وبها ياخذ المستدلون فهدى الله به من اهتدى وخاض في لجج طغيانه من شقي ولو ذكرنا ما حصل من ذلك على التفصيل اللائق لطال الفصل وانعكس الوصل ولكن يكفي اللبيب ما قد شاع عنه وذاع وتقطعت به الاسماع من انه يدعو الناس الى توحيد الله وحده لا شريك له في عبادته ومعاملته واخلاص وحدانيته وعبادته انواعها له وحده ليكون الدين كله له وهذا ما دعت اليه الرسل وأنزلت به الكتب ورد واليه رسالة تنسب الى عبد الله أفندي الراوي البغدادي خطيب المسجد المنسوب للوزير سليمان باشا وقيل لعبد القادر الحلبي رحمه الله روحه ونور قده وضريحه وكان ارسالها بامر الوزير سليمان باشا المقيم فيه الآن هداد بغداد لرجل في السر والاعلان ومضمونها ان التوحيد انما هو مختص بمعنى الربوبية فالالوهية مختص بالخالق الرازق الضار النافع وهو الله ولا يكون اسما لغيره لان اعتقاد ان ذلك لغير الله وحده اذ الضر والنفع اعتقاد على الامام اعتقاد ذلك الغير أيضا شريكا لله حتى يطلق على ذلك المعتقد اسم المشرك واسم الكفر الموجب لسفك دمه وخلوده في النار فاما من قال بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله وآمن بالله واليوم الآخر ثم دعا غير الله من ولي أو ملك أونبي بشئ لا يقدر عليه الا الله تعالى واعتقد في ذلك الغيرانه يضر وينفع فهو يعتقد فيه ذلك الذى لا يقدر عليه الا الله ويكون لا يعتقد انه شريك لله بل اذا سئل هل قيل له انه الله شريك قال لا ولكني أدعو هؤلاء تقربهم وصلاحهم فهم يكشفون شدتي ويفرجون كربتي واطلب منهم شفاعتهم فان ذلك لا يخرج عن الملة بل غير مجرد الحرمة والاثم فقط ثم استثنى جواز سؤال الشفاعة منهم في هذه الدار وانه ان دعاهم لشفاعتهم وطلبها منهم لا بأس بذلك وفيها أيضا ان تارك الصلاة عامدا لا يكفر ولا يقتل وفيها ايضا جواز شد الرحال الى زيارة القبور ونحو ذلك من لواحم حيث كانت قبور الانبياء وفيها مسائله ومسائل واعتراضات كما سنذكره ان شاء الله تعالى وقد أرسلها الوزير المكرم لنظر فيها ثم نجيب عنها فنقول بعد الاستعانة بالله والاتكال عليه والبراءة من الحول والقوة ﴿اما قولكم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أحمده وأستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه وعلى من تبعهم باحسان ومن اثرهم الى آخر الزمان﴾ فنقول هذا الابتداء بالبسملة والحمدلة والاستعانة والاستغفار والاستعاذة بالله من شرور النفس وسيئات الاعمال والاخبار بان من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والشهادتين بان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله والاخبار بارساله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والصلاة عليه وعلى آله وأصحابه وجنده وحزبه ومن تبعهم باحسان الى آخر الزمان مشروع تأسيا بالكتاب العزيز وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وفي رواية فهو اجذم وفي رواية بحمد الله وفي رواية فهو أقطع والاجذم مقطوع الانف والاقطع مقطوع اليد أطلق ذلك الشارع صلى الله عليه وسلم كالمبالغة في الحديث على ما فقدت البركة منه تشبيها له

عما فقد ذنبه الذي به تكمل خلقته أو من فقدت يداه انتفاء بعتمده في البطش ومحاولة تحصيل ما يروم تحصيله فاطلاق كل منها في هذا على وجه التشبيه البليغ أو الاستعارة ومعنى ذلك فهو كذلك أي ناقص البركة فهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على الابتداء [illegible] بسبب اتمام البركة في كل ما يهتم به شرعا وكان الحديث واردا بالابتداء بالبسملة كما ورد بالحمدلة [illegible] بينهما لكن الابتداء بالبسملة حقيقي وبالحمدلة اضافي لينتفع التعارض والاسم مشتق من السمو وهو العلو أو من الاسم وهي العلامة وفيه ست لغات [illegible] وحذفت ألفه [illegible] وشرعت سينه للتمييز بينه وبين الف [illegible] وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible] الناس على تكبيره وعلى مدا [illegible] المتصلة [illegible] التي قد وضعت عوضا عن الالف المتصلة بالباء في حال انفرادها عن السين كما في باسم ربك وجرت نقطة الباء التي تحت الاسم اشارة الى تفرده تعالى بالالوهية والوحدانية ودورت ميمه اشارة الى احاطة ملكه سبحانه وتعالى جميع الكائنات فاجتمع فيه معنى الالوهية والربوبية ثم هذا المبدوء به المذكور في صدر الفاتحة يحتاج كل ذاكر له وقائل به الى علم معانيه والعمل بمقتضيه فمعنى قولك قائلا بسم الله أي استعين وأتبرك بكل اسم للذات الاقدس المسمى بهذا الاسم [illegible] بكل [illegible] فالباء للاستعانة متعلقة بمحذوف مقدر بقوة المذكور وكونه فعلا [illegible] وعمل [illegible] الاسم العمل عليه [illegible] أولى أيضا [illegible] السفر [illegible] بسم الله أتبرك [illegible] فهو في معنى [illegible] وتحوه [illegible] متعلق متبرك في حين [illegible] بخلاف الابتداء والافتتاح سواء [illegible] بسم الله أولى أيضا ولا يجوز بينهما والاولى تأخيره [illegible] التقديم فتأخيره لنكتة وهي [illegible] المشركون يتبركون باسماء آلهتهم [illegible] يتبركون بالابتداء باسماء الله [illegible] التبرك على اسم [illegible] كون المتكلم لا [illegible] تعالى اقرأ باسم ربك [illegible] قراءة واقرأ [illegible] على [illegible] اقتضى الاختصاص والحصر [illegible] ات ولا استعين الا بك في تقديم [illegible] وتنبيه على [illegible] منه بل من حيث [illegible] لتوافق رؤس الآي [illegible] الى القدر [illegible] (والله) [illegible]

يوصف ولا يوصف به (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم
والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وانما قدم والقياس يقتضي الترقي لانه
صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره تعالى لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك
لا يصدق على غيره أو لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
فيكون كالتتمة وفي ايثار هذين الوصفين المفيدين المبالغة في الرحمة اشارة لسبقها وغلبتها على اضدادها
وعدم انقطاعها (ولينظر القارئ) بسم الله الخ وعامل بمقتضاه فقصره الاستعانة والبركة على اسم الله
خاصة ... يعتقد معنى ذلك في غيره تعالى ... يعتقده ... في آلهتهم ولا يرضى به ايضا وان
اشعر تقديم المعمول بالاحتمال فيعتقده في حالة أوهو يعتقد ذلك المعنى في غير الله مع كونه اعتنى
بذكر اسم الله خاصة أولم يعتقده لكنه يرضى به من غيره فهذا لم يقصر الاستعانة والبركة على اسم الله وان
اتى بما يفيدهما لفظا لان عقيدته أفسدت عليه (ومعنى الحمد لله) أى حسن الوصف بالجميل أو كل
فرد منه مملوك أو مستحق للمعبود الحق المتصف بكل كمال على الكمال والحمد هو الثناء بالصفات الجميلة
الاختيارية والافعال الحسنة المرضية سواء كان في مقابلة نعمة ام لا هذا في الاصطلاح فعل ينبئ عن
تعظيم المنعم بسبب انعامه على الحامد أو غيره والشكر لغة هو الحمد اصطلاحا ومعناه اصطلاحا صرف
العبد جميع ما أنعم الله به عليه لما خلق لاجله قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وبين الحمد
والشكر اللغوى عموم وخصوص من وجه فان الحمد مورده خاص ومتعلقه عام والشكر مورده عام
ومتعلقه خاص كقوله

أفادتكم النعماء منى ثلاثة × يدى ولسانى والضمير المحجبا

(ولينظر القارئ الحمد لله) أيضا ان الحمد هو خاص بالمعبود الحق المتصف بكل كمال على الكمال بما هو حق
له فما كان من جلب نفع أو كشف ضر فلا ينسبه الا اليه تعالى ويثنى عليه به لانه المنعم الحقيقى وغيره وان
أسدى معروفا فالثناء عليه مجاز لان الله هو الخالق لذلك وغيره هو المعطى له من أسداه وحمله اليه
وقواه عليه فهو سبب والمعطى المانع الضار النافع وأزمة الامور كلها بيده ومرجعها اليه فصار
معنى الحمد مختص لله تعالى بهذا الاعتبار وان اثنى على الناس خيرا او هو ينسب شيأ من ذلك لغيره
تعالى فقد عدل به وان قال الحمد لله لفظا فان كان قد خص المعبود بما هو حق له فقد أتى بمعنى أحمده لان
معناه أصفه بجميع صفاته اذ كل منها جميل وأثنى عليه بها فان رعاية الجمع أبلغ في التعظيم وهذه
الصيغة يدل معناها على ايجاد الحمد الذى هو النسبة الى الله بجميع المحامد لا الاعلام بذلك وان لم
يخصه تعالى بما هو حق له لم يأت بالمعنى وانما هو مجرد لفظ خال منه (ومعنى) أستعينه أى أطلب المعونة
في أمورى كلها منه متوكلا عليه متبرئا من حولى وقوتى ولا ارضى من نفسى ولا من غيرى لا
بذلك فان عمل به فقد أتى بمعناه والا فهو مجرد لفظ (ومعنى) استغفره أى أطلب منه المغفرة ثم ان كان
المستغفر قد فعل ذنبا قلع عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليه فذلك توبة والا فهو مجرد
دعاء واستغفار لمقيم على ذنبه كالمستهزئ بربه (ومعنى) أعوذ أى ألوذ وأتحصن وأعتصم وأستجير
بالله من شرور نفسى لانها أمارة تستعصى عن فعل ما أمرت به وتحثنى على فعل ما نهيت عنه
فيحصل لى الضرر منها ومن ... تعالى يا ... الله من شرها ومن سيآت أعمالها
(وعزمه) صدق في ذلك على المأمورات واجتناب المنهيات والانقياد الى قول الله والاتباع لدين

محمد بن عبد الله والا فهو محرد لفظ خال من معناه (ومعنى) من يهد الله فلا مضل له أى من يرشده الله الى سبيل الرشاد وهو الصراط المستقيم الذى أنعم الله به على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فلا محيد له عن ذلك ومسهل الهداية دخول الدليل الى الفؤاد والانبساط له كما يراد ثم خفة الطاعة بعد القيام بمعنى الشهادتين والجد على الخروج من ساحة الاضاعة ونور البصيرة وجلاء عين السريرة والسلوك فى مدارج السالكين ومناهج المتقين والسفر الى أعلى عليين ومحبة أرحم الراحمين والاقتداء بافضل المرسلين وأما من كان من الضالين أى الهالكين الغائبين عن الهدى الزائغين عنه بتقدير الله عليه ذلك لا هادى له مصداقه قوله تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا بل قلبه عن الحق مقفل قد نابذ جميع أوامر الله عز وجل وانتقش فى خاطره المكثف بغض الحق وأهله وامتلأ قلبه وقالبه بحب الباطل وأهله والشيطان وحزبه والتلذذ بكل نوع من الطغيان نفرت منه كل جارحة عن حزب الرحمن لا شئ أحب اليه من اطفاء نور الايمان وتكبير جند الطغيان وفى المعنى يقول الرحمن ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وهذه الآية على هؤلاء أشد دلية وأجل رزية فانهم يحاولون بجدهم وجهدهم اغواء المؤمنين ونقض عهدهم مع الموحدين ليرجعوا الى ما هم عليه من الباطل والطغيان ومن ذاق طعم الايمان لأن يقذف فى النار أحب اليه من أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه رب العالمين فلولا الايمان لا لتدمنا عبد الموحدين ثم النصر والتأييد لهم فى كل حين وحزب الشيطان يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون والمهتدى اذا صارت نفسه لوامة خاف من مورثات الندامة يحزن على مافات وخاف مما هو آت ومقام الخوف من أجل المقامات ولمن خاف مقام ربه جنتان وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه أخوف الامة لمولاه فلينظر الانسان من أى الفريقين هو أمن حزب الرحمن أم من أولياء الشيطان الذين لم ينقادوا لاتباع ما جاءت به الرسل فقلب قلبه عن الحق بعدم الانقياد كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وكقوله كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فجعل علة التقليب والطبع عدم الانقياد لاتباع ما جاءت به الرسل وذلك انه تعالى قد فطر عباده على الهدى فمن بقى على الفطرة وقبل ما جاءت به الرسل زاده هدى ولطفا وتوفيقا ومن غير الفطرة وعاند ما جاءت به الرسل ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ويسره للعسرى وخذله (ثم ليعلم) ان ارادته تعالى الخير من عباده وارادته الشر لا يستلزم وقوع المراد منهم ضرورة انه أراد منهم مع بقائهم مختارين كما أراد الايمان منهم فهو أراد وقوع الخير منهم وهم مختارون فقد يقع ما أراده تعالى منهم وقد يتخلف هذا بخلاف ما يريده تعالى من أفعاله فانه لا يتخلف عن ارادته وقوع مراده مثل قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون بخلاف الاول ومنه يريد الله أن يتوب عليكم فان المراد يريد منكم ان يتوب عليكم فيتوب عليكم أى يتقبل توبتكم الآن مع ارادته تعالى الخير لعبده كون أقرب الى فعل ما أراده منه لانه من المعف وعكسه ارادته لعبده الشر (اذا عرف هذا) فلنجعل هذا البحث نصب العينين فقد زلت بجهله عوالم وتهوش حوله طوائف ولم يقع لهم محرر امقررا (ومعنى نشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له أى أذعن بقلبى واعترف بلسانى وأعمل بمقتضى ذلك ان لا معبود بحق فى الوجود الا الله وان عبد من دونه وما عبادته زور وظلم وبهتان وانا برىء من العابد

وعبادة لمعبود واشتقاق لاله من التوله ومعناه المألوه وهو الذي تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم
والاجلال والخوف والرجاء والانحاء والتوكل والانابة وذلك مسلك (قال تعالى) ومن الناس من يتخذ
من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله فالمحبة التي في الله غير التي كحب الله
لان الاولى محمودة وتثمر ما كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الا ظله
والثانية تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وكذلك الخوف فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مؤمنين والتوكل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين فهذا كله يفيد الحصر ثم استعمل
في كل ما يعبد بما تقدم ذكره من دون الله [illegible] فنفي ذلك بلا النافية للجنس وأثبت الالوهية لمستحقها
وهو الله بالا المفيدة للحصر (وحده) اي حال كونه منفردا بها عما سواه (لاشريك له) حال ثانية مؤكدة
للاولى أي لاشريك له في هذه الالوهية في نصيب من غيره واختصت بجلاله وعظمته فالعبادات
بانواعها له خاصة ليس لاحد منها شئ [illegible] لكلمة الطيبة التي قامت بها الارض والسموات
وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها اسست الملة ونصبت القبلة ولاجلها جردت سيوف الجهاد
وبها أمر الله سبحانه جميع العباد وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ومفتاح عبوديته التي دعا
الامم على السنة رسله اليها وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام واساس الفرض والسنة ومن
كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ضد الكلمة الخبيثة التي كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق
الارض مالها من قرار فهي [illegible] نوع المسكرات وبها وجد لذلك
والصغار ولاجلها افتحت [illegible] فشهد بها وكاذب
في ادعائه ايمانها كما كذب [illegible] (وأن محمدا عبده ورسوله) أي
أشهد أن محمدا عبده ورسوله [illegible] وسمي به لكثرة خصاله
الحميدة سمي به [illegible] الحفاظ بخلاف أحمد فانه لم يسم به
قبله [illegible] بالعبودية ورسوله الى كافة
الخلق [illegible] عموم وخصوص
مطلق [illegible] الله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين
ومحجة [illegible] (أرسله بالهدى ودين الحق) الذي
هو التوحيد بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فانعم به على أهل الارض
نعمة لا يستطيعون شكرها [illegible] وأنزل عليه كتابه
المبين الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشد والشك واليقين شرح له صدره ووضع عنه
وزره ورفع له ذكره [illegible] وفرض على العباد طاعته ومحبته
والقيام بحقوقه [illegible] وهو الميزان الراجح الذي
على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن [illegible] المبين الذي باتباعه يتميز
أهل الهدى من [illegible] دعا الى الله باذنه [illegible] صادعا بامره
[illegible] وجاهد في الله حق الجهاد
وأشرقت [illegible] الارض [illegible] دنيا نورا وابتهاجا

ودخل الناس في دين الله أفواجا فلما أكمل الله له الدين وأتم به النعمة على عباده المؤمنين استأثر به
ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأسنى وقد ترك أمته على المحجة البيضاء والطريق الواضحة الغراء
فصلى الله وسلم وملائكته وأنبياؤه ورسله والصالحون من عباده عليه كما وحد الله وعرف به ودعا إليه
ومن لازم صحة هذه الشهادة الإيمان بما أرسل به وهو التوحيد قولا وعملا واعتقادا وتصديقه بجميع
ما أخبر به وإلا فهو مكذب (ودين الحق) هو المؤيد المنصور الذي قال تعالى (ليظهره) أي يعليه ويعزه
(على الدين كله) سائر الأديان المخالفة لدينه (صلى الله عليه وسلم) قال الأزهري معنى الصلاة من الله
الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الآدمي التضرع والدعاء بخير وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه
عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء والسلام بمعنى التحية أو بمعنى السلامة من النقائص والرذائل
وتستحب الصلاة عليه وتتأكد وتتأكد كلما ذكر وقيل بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه (وعلى آله)
وهم في مقام الدعاء أتباعه على دينه عند أكثر أهل العلم قال تعالى ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون
أشد العذاب أي أتباعه وقيل هم الأتقياء من أمته وأما في مقام الزكاة فهم أقاربه المؤمنون من بني
هاشم والمطلب ابني عبد مناف وقدم على الصحب للأمر بالصلاة عليهم وإضافته إلى المضمر جائزة عند
الأكثر وعمل أكثر المصنفين عليه ومنعه جمع منهم الكسائي والنحاس والزبيدي (وصحبه) جمع
صاحب وجمع الصحب أصحاب والصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع به مؤمنا ومات على
ذلك وعطفهم على الآل من عطف الخاص على العام وفي الجمع بين الصحب والآل مخالفة للمبتدعة
لأنهم يوالون الآل دون الصحب (وجنده) هم خاصته من المؤمنين (وحزبه) المعاونين له بالنصرة (وعلى
من تبعهم بإحسان) لم يغير وابعدهم ولم يبدلوا سيرتهم (وقفى أثرهم) على السيرة المحمودة (إلى
آخر الزمان) فمن لم يتبعهم بأن غير وبدل بعدهم [illegible] على الدين [illegible] المغفرة من ربهم
لأنفسهم ولمن سبقهم من المؤمنين في قوله تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا
الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم فهذا هو المطلوب
بعكس ما عليه أهل الأهواء من الوثوب على صحابة الرسول الذي جاء من عند الله فهو له غير محبوب
وتفريق كلمة المؤمنين وسب أكابر الصحابة والتابعين

ومن أهوى [illegible] فسبوا أكابر [illegible]

وقد قال الإمام مالك رحمه الله من أصبح وفي قلبه غيظ لأحد من أصحاب محمد فقد أصابته الآية يعني قوله تعالى
ليغيظ بهم الكفار [illegible] الصحابة [illegible] بين المحارم
فصل واعلم أن الروافض كفار عندنا لأنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وكذا من أنكر
خلافتهما يكفر عندنا في الأصح وقد أثنى الله تعالى على السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين في قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي
الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وإنما
المتبع لهم [illegible]
كسيد المرسلين [illegible] يجمع [illegible]
الملائكة ليغفر [illegible]
يميز وابن ما [illegible]

حكم وطاعته غنم فامتثالا الامر نظرنا فيه فبعدان طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتابا جامعا الشتات من المسائل مشتملا على عدة رسائل لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين وقوى ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطرا ولم يمعن فيها نظرا ولا قرأ على أحد ممن يهديه الى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التى هى الصراط المستقيم) فنقول (وبعد) هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من غرض الى غرض آخر ويندب الاتيان بها فى الخطب والمكاتبات كما كان صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه ومكاتباته رواه عبد القادر الرهاوى فى الاربعين له عن أربعين صحابيا وأول من تكلم بها داود صلى الله عليه وسلم وهى فصل الخطاب الذى أوتيه والصحيح انه فصل الخصومات كما عليه جل العلماء وقيل أول من تكلم بها يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقيل غير ذلك وهى من الظروف التى تقع على الزمان والمكان ويجوز هنا ارادة كل منهما وهى مبنية على الضم لنية معنى المضاف اليها ويجوز نصبها الية لفظه كالوذكر وان لم ينو شئ من ذلك جاز تنوينها نصبا وضما والواو نائبة عن أما وأما نائبة عن مهما والاصل مهما يكن من شئ بعد الحمدلة الى آخره (فلما) أو غير ذلك (ان ورد) من ورد الشئ الى مستقره أى وصل (كتابكم) أى مكتوبكم (الى الوزير) المذكور اسمه أعلاه وفقه الله وهداه وأصلح أحوالنا واياه (وطلبتم منه ان يجمع علماء مملكته) أى دولته وسلطنته وهم علماء بلده المقيمون فيه (لينظروا فى كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب) بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ادريس بن على بن محمد بن علوى بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيع بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان بن عدى بن عبد مناة بن تميم ولد سنة ١١١٥ دخل البصرة والحجاز وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ على أفندى الداغستانى لما اجتمع به فى المدينة المنورة مجاورا بها شيخ مشايخ الشام بأجمعهم بعد الشيخ أبى المواهب والشيخ اسمعيل العجلونى فان أبا المواهب الكبير وهو المحدث عبد الباقى متقدم عليه والشيخ العجلونى كان فى عصره وأخذ أيضا عن عبد الله بن ابراهيم نزيل المدينة والمشهور بها وأخذ أيضا عن عبد اللطيف الاحسائى العفالقى وأخذ أيضا عن محمد المعالقى الاحسائى فقد قرأ على الشيخ عبد الله بن ابراهيم وأجازه من طريقين (أحدهما) عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلبانى عن الشيخ أحمد بن على الوفائى المفلحى عن الشيخ موسى الحجاوى عن القاضى برهان الدين بن مفلح وهما عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضى صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين بن أبى عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر الجيلى عن القاضى أبى يعلى المرداوى عن ابن حامد عن أبى بكر الخلال عن أبى بكر المروزى عن الامام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى (والثانى) عن عبد القادر التغلبى عن عبد الباقى أبى المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائى عن موسى الحجاوى عن أحمد الشويكى عن العسكرى عن عبد الرحمن بن رجب عن ابن القيم عن تقى الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبى عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلانى عن أبى الوفا بن عقيل عن القاضى أبى يعلى عن ابن حامد عن أبى بكر المروزى عن الخلال عن الاثرم عن الامام أحمد عن سفيان بن عيينة أيضا عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام

عن الله تبارك وتعالى وقد أجازه أيضا كل من الشيخ على افندى وعبد الله بن ابراهيم وعبد اللطيف العفالق فى كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقى أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلما وتعليما من صحيح البخارى بسنده الى مؤلفه وصحيح مسلم بسنده الى مؤلفه وشروح كل منهما وسنن الترمذى بسنده وسنن أبى داود بسنده وسنن ابن ماجه بسنده وسنن النسائى الكبرى بسنده وسنن الدارمى ومؤلفاته بالسند وسلسلة العربية بسندها عن أبى الاسود عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكتب النووى كلها وألفية العراقى والترغيب والترهيب والخلاصة لابن مالك وسيرة ابن هشام وسائر كتبه ومؤلفات ابن حجر العسقلانى وكتب القاضى عياض وكتب القراآت وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلى وكتاب القاموس بالسند الى مؤلفه ومسند الامام الشافعى وموطأ مالك ومسند الامام الاعظم ومسند الامام أحمد ومسند أبى داود ومعاجم الطبرانى كتب السيوطى فقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم ثم انه رجع الى نجد فوجد أهلها ضالين وعلى أصنام يعبدونها من دون الله عاكفين ما بين أشجار وأحجار وغيران وطواغيت من الانس والجان فاتنين ومفتونين فلم يسعه الا الصدع بالحق والاعراض عن المشركين والنصيحة لهؤلاء العاكفين علا بنصيحة الدين وخوفا من حلول اللعنة الى يوم الدين ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فحتم عليه البلاغ والعلم والتعليم فشرع فى ذلك وهو على الله متوكل وبآيات الله متفكر وبحبله معتصم بعد ان طرا فى خلده وخطر فى ماجسه انه مما هم به على خطر وانه من ذلك على حذر فلما أن توكل على الذى ليس دونه مفر ولا يغنى عنه مقر كفاه ومنعه وحماه فادركت العناية الالهية والهداية الربانية من أراد الله هدايته لاقامة دين الاسلام والتمسك فى سبل السلام أمير بلدته التى فيها محلته مرحوم الوزود محمد ابن سعود فشرح الله لذلك صدره ويسر له أمره ففقحت عين بصيرته وانجلت غشاوة سريرته فسمع ووعى وذكر وأوعى وزادته العناية توفيقا والهداية فى قلبه ترقيقا فاجد وأمد وعن ساعده شمر واجتهد مقبلا على اقامة التوحيد وداعيا اليه العبيد فلذلك عاداه أهل هذا الباطل وأقاموا بأنواع العداوة عليه فاجمعوا أجدهم وجهدهم من حيلهم ورجالهم ومداهم التى هى غاية ما عندهم ليرجعوه هو وأتباعه عن اقامة التوحيد والدعاية اليه واخلاص الوحدانية والعبادة كلها بأنواعها لله وحده الى ما كانوا عليه من الطغيان وعبادة الشيطان من الانس والجان فأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون ولم يزل ذو العناية والهداية معتصما بحبل الله معدا لأولياء الشيطان ما استطاع من قوة الآلات ومن رباط الخيل فى سبيل الله ممتثلا قوله تعالى فى الآيات البينات وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون فاعز الله به الاسلام والمسلمين وألف به بين قلوب المؤمنين وظهر الحق وانتصر الدين وقمع الباطل وأولياءه المشركين وهكذا لم يزل الامر حتى توفاه الله اليه واختار له ما لديه من النعيم المقيم أبد الآبدين قال تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فقام مقامه وانتصب انتصابه ناصر السنة والدين وخاذل البدعة والمشركين المجاهد فى سبيل الله

امانا واحتسابا والداعي الى الله ايحانا نجله الاواه المعتصم بالله الحميد المحمود عبد العزيز بن محمد بن سعود
فجاهد في الله واجتهد وبذل نفسه لله وأعد فافشى الله به الاسلام وأوسعه واضمحل به الباطل وقمعه
ولا قام صاحب باطل وهوى على اطفاء نور الله الا وأهلكه الله في ساعة يرة فلله الحمد والمنة حتى وقع
في الاسلام وقائع غرائب وعجائب كما مضى في صدر سلف هذه الامة عينا بعين ومثلا بمثل ما لو جمع ذلك
لاحتمل مجلدات لكثرة البلاوي والوقائع الغريبات بمعادات هذا الدين والتصديق والانقياد
لقول أعدائه من شياطين الانس المفتونين اذ كالوا وكذبوا وشنعوا بمعوا لهم وان لم يحققوا ويحققوا
وقد آل الامر الى تحذيب النساء مع الرجال من تحت أستار الكعبة في وقت الشريف مسعود وحبس
وعذب وسرق من بلد الله الحرام من كان فيه تهمة من هذا الحق والتنسك به وانتساب اليه وغرب
عداوة للدين وطواعية لشياطين الانس المعاندين بلا مراجعة ولا مفاكرة ولا عداوة دنيوية سابقة
وانما هو عناد وطعن في الحق المراد بلا تحقيق ولا تذكر ولا تفكر ولما حذر الشيخ محمد بن عبد
الوهاب عن هذا الشرك الاكبر فعمه أنذر وأقام عليه البراهين من القرآن والسنة وكلام الائمة فقرر
وحرر أحب أن يجمع فيه كتابا مختصرا جامعا لمعنى دين الرسل من أولهم الى آخرهم ومعرفته ومعنى
دين المشركين المتقربين الى الله ببعض الاشياء اليه من أعمال المعاندين بادلته الجامعة من الكتاب
والسنة وكلام صالح سلف الامة وليس هو يدعو الناس الى التزام مذهب معين فجمعهم عليه
و ينكر كلام واجتهاد الائمة المجتهدين من غيره ولا انه يدعي الاجتهاد بنفسه وانما يدعوهم الى العلم
والعمل بمعنى هذه الكلمة الطيبة التي أرسلت بها الرسل وأنزلت في تقريرها الكتب للعلم بها والعمل
بمعناها وترك الكلمة الخبيثة عملها ومنشأها وسماه كتاب التوحيد فيما هو حق على العبيد وكشف
شبه المرتاب فيما التبس عليه من الخطأ والصواب فشاع وذاع ونفع من الله نقاد وأطاع وقد
أرسل نسخة منه ولي الامر المجاهد الاواه من ذكر اسمه المنيف أعلاه الى جناب العزيز المكرم سليمان
باشا محبة اليه ونصيحة وحرصا اليه وفضيلة وليتأمل بعين الانصاف هو ومن كان عالما من أهل
الانصاف فيعمل بعد تحققه ذلك باقامة الدين ويترك قول الشياطين المعاندين ويحقق التوحيد
المطلوب من العبيد وما أصبح عليه غالب الناس من جعلهم من لا يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي خاطبه ربه في قوله تعالى ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين بل لعله عدو لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة رب العالمين والسموات السبع
والارضين السبع ورب العرش العظيم فيعذرنا في أمرنا ونهينا ولا يطيع الخصم فينا لان العاقل اللبيب
اذا فهم ذلك وأتقنه تيقن ان أمرنا الذي قمنا به وباشرناه واجب ومحتم علينا قال الله تعالى الذين ان
مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة
الامور وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا
منكر أعظم ولا أكبر من الشرك بالله ونحن قد مكننا الله في الارض ولله الحمد فلا عذر لنا ومن
لم يمكنه الله فيها ولم يقدر على اظهار ما طلب منه وجب عليه شرعا ان يأوى الى من ينصره حيث
وجد ويعاونه على البر والتقوى (كي يطلعوا على ما انطوى عليه من الأحكام ويميزوا بين ما يستوجب
النقض والابرام) أي لكي الخ تعليلية التي تعيد ان الاطلاع والتمييز علة لارسال الكتاب أي لم يرسل الا
ليطلعوا عليه ويميزوا ما فيه مما يستوجب النقض والابرام فاما الاطلاع على ما فيه من الأحكام ...

والاحكام جمع حكم وهو ما شرعه الله من حلال وحرام ومكروه ومباح ومندوب والمقصود بها هنا أبوابه ومسائله الشاملة لذلك وبيان أصله المشتمل على التوحيد بأدلته التفصيلية وأما التمييز بين ما ذكره فليس هو علة للارسال اذلم يرسل لجهر روعه بل قد حرر وأمر عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشايخ الشاميون الشيخ علي أفندي الداغستاني الذي قد ذكرنا اسمه وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني والشيخ محمد البرهاني والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس وأرسل اليه بنسخة فأمرها وأقرها من غير مشايخه الذين قد ذكروا فإن منهم من أ[illegible] كلامه وكلهم قد [illegible] وحرر [illegible] وجاز [illegible] ودوا [illegible] [illegible] [illegible] في قيام ما تضمنه من اقامة الدين واخلاصه لرب العالمين وأن هو الذي يدينون الله به في أنفسهم وأهليهم وأصحابهم من عشائرهم لكن لا يقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وعملوا به وقالوه لأن ذلك يحتاج الى سيف قائم وامام عادل وذلك متعذر الآن الا بتوفيق الله وايجاده واعا [illegible] أرسل الكتاب لامرين الاول ليحصل العلم عند الخاص والعام بأنا لم نقاتل الناس الا على اقامة دين المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم من العلم بمعنى هذه الكلمة الطيبة والعمل بها وعمل سائر المعروف التابع لها من صلاة وزكاة كعمل أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ما بين لها والتعليم أوجب الله على عباده وما طلبه منهم وخلقهم له و[illegible] عنه و[illegible] فان الرجل من أهل هذا الزمان يشب ويشيب وهو لا يعرف المعروف [illegible] بل حتى التوحيد وصدق [illegible] وصلاته و[illegible] بل هو منهمك في الشرك و[illegible] بلا [illegible] على ترك ضده [illegible] وهو الشرك الذي قال الله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [illegible] هو تابع لها من زنا وربا وشرب خمر ولواط وسائر المحرمات ومع ذلك نحن لا نكفر بالمعاصي كما توهمه مطيعو العدو واعا نكفر المشركين الذين كفرهم الله في كتابه لمبين أو [illegible] عن فهم [illegible] والمكفر بأمرنا ونهينا القوله تعالى [illegible] وسائر أنواع المعروف المتروك [illegible] النصيحة [illegible] [illegible] [illegible] من أنواع الخير [illegible] ورجاء أن الله يهدي به خلقا كثيرا كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم [illegible] خير القرون [illegible] الذين [illegible] صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [illegible] [illegible] [illegible] الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة [illegible] صلى الله عليه وسلم طريق [illegible] لأصحابه طريق [illegible] الطريق الذي [illegible] عليه [illegible] وأمرنا باتباعه [illegible] فالنبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وأثر أصحابه كما كان عليه السلف الصالح [illegible] معروفة [illegible] [illegible] [illegible] والمعيار والمحقق [illegible] (صدر منه [illegible] القبول والاتباع وأشار [illegible] عنه [illegible] [illegible]) [illegible] من هذا

الوزير الأمر لعلماء مملكته لينظر وافى هذا الكتاب والله أعلم بنيته الواجب القبول والاتباع صفتان للأمر ولاشك ان طاعة الأمير واجبة لكن فى غير المعصية وأشار الى ان هذا المشار اليه يدعى أنه من أجل علماء المملكة وأكبرهم قدرا عنده فلذلك خصه من بينهم فامتثالا لأمره نظر نافيه يعنى والا لولا أمره لم تنظر فيه ولم نطالعه ولم نتأمله وهذا من أعظم التعصب وأكبر التوثب على الركون الى الرأى العقلى بلا حجة قطعية ولا دليل نقلى فهو من نوع التوكل على مجرد الرأى وذلك هو الموجب لقول الزور والبهتان والوقوع فى الاثم والعدوان اذ ما من مستغن برأيه عن مشاهدة الحق واتباعه والتأمل فى أحوال الاوقات عليه حبر كثير ولم يحصل له ما خيل اليه مما يزعم انه لديه وهذا من العلم العقلى المخالف للدليل النقلى الناشئ عن الجهل الكلى قال تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك انه اتباع هوى واعجاب فروى أبو ثعلبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك والترفع عن أخذ العلم والحق وعن سماعه وادعاء الانتهاء فيه والاستغناء عنه من أكبر العجب وهذا الادعاء فيما لا سبيل له اليه ولا ملك له فيه وان زعم كمال الفهم فيه والاطلاع عليه اذ ما من عالم الا وفوقه أعلم منه قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم أى لكل ذى علم من المخلوقين أعلم منه حتى ينتهى العلم الى الله عز وجل ولذلك عتب الله على موسى عليه السلام حين قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل هل أحد أعلم منك قال لا فقال الله بلى ان عبدنا خضرا هو أعلم منك فلا زال يطلبه حتى وجده ليأخذ عنه العلم ومن استغنى برأيه وزعم ان الباطل حق باستدلاله التى قامت مخايل جميلها الخالى فى ذهنه وقرب سرابها الناشئ فى ظنه فتخيل ان جميع معانيها وما فيها منسوبة عنه واليه ولم يعلم انها حجة عليه فقد أخطأ سبيل الرشاد وتعنت فى أنواع العناد مقلدا لما سمعه من عدو الحق بلا تحقق سمعت الناس يقولون شيئا فقلته والله تعالى يقول ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وفى المسند للامام أحمد عن ابن عمر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان وقال صلى الله عليه وسلم ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء رواه الدارمى فى مسند الفردوس وذلك لانهم سبب صلاح العالم واليهم ينتهى أمور الدنيا والدين وبهم الحل والعقد واذا فسدوا افسدوا الناس كلهم وسبب فسادهم الضار بالخاص والعام متابعة الهوى وحب الرياسة والعجب بالرأى وقد يظهر للناس ما يدل على صلاحه من أمر أونهى وهو فى قيد هواه معجب فى نفسه ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن فقال كذبت ولكن تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به

فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمته فعرفها فقال فما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار وفى لفظ فهؤلاء أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة وفى صحيح البخارى عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون أى فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه وسبب هذا انما هو اتباع الهوى والقصور على مجرد الرأى من أعظمه وان زعم العلم وادعاه ولذلك ذم الله سبحانه المعارضين للحق لما جاءهم بما قام فى أنفسهم من الادعاء للعلم والاستغناء به عما جاءهم قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم قال أهل التفسير يعنى رضوا عن ذلك بما عندهم من العلم فى زعمهم فرح استهزاء وضحك منكرين للحق وسماه سبحانه علما باعتبار ما قام فى ذهنهم والا فهو أقبح الجهل والاستغناء بمجرد الرأى الخالى عن الدليل النقلى موجب للتعاون على الاثم والعدوان اللذين نهى الله عنهما فى قوله ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب والمعاونة عليهما من دحض الحق والعمل بنقيضه وهذا من تسويل ابليس وتحسينه ليدخل الانسان فى ملته فمن فعل فقد أحياها فصار من حزبه وأعوانه اعابدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير والمعاونة على الاثم طبقات أقبحها وأخبثها ما يقع من العلماء وهى اما بالفعل أو بالقول فان كانت من الفعل فهى من أعظم الضرر على البقية وذلك أن العلماء اذا عملوا عملا ليس من الدين ولا سنة أفضل المرسلين صاروا سببا لاقدام العوام اليه ولعكوفهم عليه لاعتقادهم انه من الدين وانه مما يتقرب به الى رب العالمين وهذا السبب فى كل بدعة وما من فتنة فى الوجود تنشأ الا عنها وفى هذا المعنى يقول العزيز الحكيم فى التحذير من مخالفة أوامر من هو بالمؤمنين رؤف رحيم فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقد أصيب الناس بفتنة أضرت بالخاص والعام فلم يرض أحد عن أحد غير معتقده ولم يزكه الا باتباع ما ارتكبه وهذا نوع من الزيغ وقد أخبر الصادق المصدوق ان هلاك من كان قبلنا بسبب الاختلاف وحذر أمته ان تصنع كما صنعوا فيقعوا فيما وقع فيه من مضى من الاسلاف قال صلى الله عليه وسلم دعونى ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وهؤلاء المبتدعون يصيرون سببا لفتنة كل مفتون ويكون هذا منهم كاعطاء السيف لقاطع طريق المسلمين وكتذكار الخمر للحانين وكاغراق السفينة فى الماء وكاحراق المدينة فى النار وان كانت فى القول فهى أعظم ضررا من الفعل فانهم اذا أحلوا ما حرم الله أو حرموا ما أحل الله تبعهم العوام مقتدين بهم فبذلك يصيرون عاملين بالاثم ومعاونين عليه فحصل لهم كفلان من العذاب عن عدى بن حاتم رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية فقلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون

ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم رواه الامام أحمد والترمذي وحسنه والتحليل
والتحريم ليس قيدا في وجود الاثم بل هو موجود بمجرد الامر والنهي المخالفين للدين ثم ان كان ذلك
المأمور به فعله مكفرا والمنهي عن فعله تركه مكفرا فله حكمه والا فهو ذنب ان لم يستحل ولهذا كان
السلف يقولون احذروا من الناس صنفين صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه
وكانوا يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يشبه
المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم وقد وصف
أئمة المتقين فقال وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فبالصبر تترك
الشهوات وباليقين تدفع الشبهات ومنه قوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقوله أولي
الايدي والابصار وروى بعضهم كلام أحمد رحمه الله فقال عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضي
ما كان أشبهه أتته البدع فنفاها والدنيا فأباها ومنه الحديث المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات وقد دل
قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم على اتباع الشهوات وهو داء العصاة وقوله وخضتم كالذي خاضوا على
الشبهات وهو داء المبتدعة وأهل الاهواء والخصومات وكثيرا ما يجتمعان فقل من تجد في اعتقاده
فسادا الا وهو يظهر في عمله وقد دلت الآية على أن الذين قبلنا استمتعوا وخاضوا وهؤلاء فعلوا مثل
أولئك ثم قوله فاستمتعتم وخضتم خبر عن وقوع ذلك في الماضي وهو ذم لمن يفعله الى يوم القيامة
كسائر ما أخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فانه ذم لمن حاله
كحالهم وعيد يشمله عمله الى يوم القيامة وقد أشار الى ذلك الامام البغوي والحافظ ابن كثير وغيرهما من
المفسرين حيث فسروا الآية بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا
يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية أبي هريرة وهل الناس الا اولئك وقال ابن مسعود
أنتم أشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أني لا أدري تعبدون
العجل أم [illegible] وخبر عن أمر دائم مستمر لأنه ورد بضمير الخطاب فهو كالضمائر
[illegible] وركعوا [illegible] آمنوا فكما [illegible] جميع الموجودين في وقت النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] ذكر [illegible] الرسول [illegible] فذلك هو متناول لمن بعدهم
الى يوم [illegible] المسلمين وان كان بعض من تكلم في أصول الفقه اعتقد أن
الضمير يتناول الموجودين حين تبليغ الرسول وان سائر الموجودين بعدهم دخلوا اما باجماع علماء
بالاضطرار [illegible] متواتر [illegible] كما [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم واحدا من أمته وقصد غيره
من [illegible] والسنة واما بالاجماع واما بالقياس فيكون كل من حصل في هذا الاستمتاع
والخوض مخاطبا بقوله تعالى فاستمتعتم وخضتم وقد توعد سبحانه هؤلاء المستمتعين الخائضين
بقوله أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون فأخبر سبحانه ان في هذه
الأمة من استمتع بخلاقه كما استمتع من قبلهم وخاض كالذين خاضوا وذمهم وتوعدهم على ذلك
ثم حضهم على الاعتبار بمن قبلهم منهم فقال ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات الآية وطاعة الله

و رسوله وصف المؤمنين قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم والاستمتاع بالخلاق والخوض وصف لمن فيه مشابهة القرون المتقدمة وقد ذم الله من يفعل ذلك وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين بعد هذه الآية دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخائضين ثم هذا الذي دل عليه الكتاب من مشابهة بعض هذه الامة للقرون الماضية في الدنيا وفي الدين وذم من يفعل ذلك دلت عليه أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأول الآية على ذلك أصحابه رضي الله عنهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة الآية قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب قال فهل الناس الا هم وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية انه قال ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم وعن حذيفة بن اليمان قال المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وكيف قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه وقد دلت السنة على اختبار [illegible] في الدنيا وذم ذلك والنهي عنه وكذلك في الدين فمن الاول ما في الصحيحين عن عمرو بن عوف من حديث ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى البحرين الحديث بتمامه ومن الثاني ما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل الحديث حتى في [illegible] رئاسة [illegible] ان طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتابا جامعا لشتات من المسائل مشتملا على عدة رسائل الضمير في طالعناه يرجع الى الكتاب المذكور أي تدبرنا فيه وفهمنا فحواه أي معناه ومذهبه فحواه [illegible] اليه وقوله وجدناه من وجد الشيء اذا علمه وأحس به كتابا أي مكتوبا جامعا أي حاويا لشتات من المسائل جمع مسئلة من السؤال وهو ما يبرهن عنه في العلم مشتملا أي من أعظم [illegible] وحده عدة رسائل ﴿منها كتاب التوحيد﴾ وقول الله تبارك وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [illegible] من الصحيحين وبوبه أبوابا على تراجم معلومة وأحاديث مفرقة ﴿ومنها كتاب الكبائر﴾ وقول الله تبارك وتعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية وبوبه أبوابا على تراجم معلومة وأحاديث من الصحيحين مأثورة منقولة ﴿ومنها كشف الشبهات﴾ [illegible] معرفة حقيقة التوحيد وما هو حق الله على العبيد وكيفية الشرك الذي قال الله عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكيف كان صفة شرك الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مقرون بتوحيد الربوبية وانما قصدهم شيء يتقربون به الى الله [illegible] يدعونهم ويرجونهم ويتوكلون عليهم لشفاعتهم لهم [illegible]

الكلمة الطيبة﴾ معناها المراد من لفظها والكلمة الخبيثة التي ضد الطيبة ودلائلهما وانهما لا يجتمعان وأن معنى الاله هو المعبود سواء كان بحق أو بباطل وان من جعل بينه و بين الله من خلقه وسائط يدعوهم و يرجوهم و يتوكل عليهم و يتقرب بهم فقد جعلهم آلهة مع الله كقول بني اسرائيل لموسى اجعل لنا الها ﴿ومنها كلام الامام أحمد﴾ في عدة وريقات كتبهن رسالة له في مسابقة المأموم امامه في الصلاة ﴿ومنها﴾ رسالة له متعلقة بسيرة الاولين ومعرفتهم للدين وفعلهم مع المعاندين المخالفين ﴿وله رسالة في الجهاد﴾ وفضله وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجاهدون ﴿وفيه رسائل غير ذلك﴾ متعلقة بالتوحيد وغيره من مسائل الدين ﴿لكنه قد جمع فيه بين غث وسمين وقوي و وهين﴾ هذا استدراك من قوله كتابا جامعا أي لكنه يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جمع فيه أي في كتابه المتقدم ذكره بين غث عنى به الجاف الهشيم الذي لا طعم فيه بدليل مايقابله في قوله وسمين أي جمع في هذا الكتاب بين ماهو خالي المعنى المراد من الترجمة التي عقدت لاجله فما قصده فيها هو معلوم لا تؤدي تلك الترجمة وما تضمنت معناه بل ماقام في ذهنه واستدل عليه به فدليله خال مما أراده ليس فيه منه شيء و بين ماهو موافق لما أراده فمعناه فيه موجود موافق وقوله وقوي و وهين عطف مغاير أي جمع في هذا الكتاب أيضا بين قوي وهو ماليس فيه شيء يوجب ضعفه ووهين هو الضعيف الذي فيه شيء يوجب نقصه عن درجة ماقبله أشار بذلك هذا المعترض الى أنه ناقد بصير مميز بين الاشياء المتضادة والمتوافقة وما تؤديه من المعاني المتغايرة أو المتناسبة ومايراد منها وما متعلقها وتحتها و بين مافيه قوة وضعف وصحة و بطلان وانه قد نقد هذا الكتاب فوجده كما وصفه ونحن نقول من تأمل كلامه الآتي علم يقينا ان ليس عنده من ذلك الا مجرد الادعاء اذ هو الجامع للتضادين جنسا وهو المازج للصفتين نوعا وهو الخابط فيه خبط العشوى فلم يفرق فيه بين الجنسين ولم يميز بين النوعين لعدم معرفته الدين مع قصد الاولين واقرارهم برب العالمين فان قصدهم القرب اليه والتحصيل لما لديه لكن ضرهم جهل الكيفية التي يكون بها التعبد أجل مطلوب ومقربا الى المحبوب لكن من له اطلاع على أصحاب التصانيف الحسان وما حصل لهم وعليهم من الاقران علم يقينا ان ماكان أولا فهو بالاولى وقوعا في آخر الزمان وما أحسن ماقيل في ذلك

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

ومن رزق التوفيق هدى الى الصواب ومن استفتح فقد نجح فيرزق العلم بقول الله وبما جاء عن محمد رسول الله مشروح الصدر للايمان على نور من ربه يعرف الحق و يقود اليه و يعرف الباطل و يذود نفسه وغيره عنه ﴿و وجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطرا ولم يمعن فيها نظرا ولا مرأعلى من يهديه الى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم﴾ الضمير في وجدنا أحواله يرجع الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحوال من عرف من الشريعة أي المشروعة التي شرعها الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم شطرا شطر المكان جهته وشطر الشيء والمتاع ضعفه وشاطر الوادي جانبه كشاطئه ومعناه انا وجدنا أحوال هذا الرجل أحوال الذي عرف من الشريعة شطرها أي جهتها التي تؤدي اليها و بعضها التي يوليها ولذلك قال ولم يمعن فيها نظرا يعني لم يصل الى معناها الكلي بعد ان عرف الجهة التي هي الالفاظ وملخصه انه قد عرف لفظ الكلام من الكتب ولم يفهم المعنى

ونحن نقول من تأمل القرآن وآياته البينات وسبب انزاله وموضوعه وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه وما أرسل به وسنة أصحابه ومن تبعهم باحسان فهم يقينا ان ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمر به ودعا اليه هو عين ما تضمنه القرآن من توحيد الله الذي هو حقه على العبيد وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة الدين بعدهم وانه بذلك قد علم الشريعة وحققها وأمعن نظره في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم باحسان وقررها وأظهرها فان آيات الله دالة على وحدانيته تعالى في ألوهيته وتفرده في معاملته مما هو حق على عبيده فانزاله سبب لمعرفة حق الله تعالى وتقدس واخلاص الدين كله له وحده وهذا موضوع القرآن مع كونه مصرحا بان الاولين مقرون ومعترفون لله بالخلق والرزق والاماتة والاحياء والتدبير والضر والنفع وانما قصدهم الجاه والقربة بواسطة ووسيلة من المخلوقين أو صورهم توصلهم الى غاية قصدهم ومطلوبهم قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقال في موضع آخر قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم الى ان قال سيقولون لله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال بعد تقريرهم باقرارهم بأن ملكوت كل شيء بيده الملك الحق ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ووصف الانسان بانه اذا مسه الضر دعاه واذا كشفه عنه أشرك معه سواه قال تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار وهذه أقبح حالة اذا مسه الشر دعا لحاجته فاذا أنعم عليه مولاه جحد الاستغاثة وهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى واشفاعتهم لنا عند الله فمن عرف لفظ هذه الآيات القرآنية ووفق لفهم معناها وانهم مقرون له تعالى بالربوبية علم ان هذا امر لا نزاع فيه وانما اتخذوهم وسائط ووسائل بينهم وبين ربهم كما تكون الواسطة بين الملك ورعيته وهذه الوسائط التي يدعونها في حال الرخاء فقط ويرجون شفاعتهم وقت الشدة يسمونها الآلهة لتأله قلوبهم بها ورجائهم منهم القرب والتقرب كما قالوا أجعل الآلهة الها واحدا على جهة ان ذلك لا يكون لانهم ظنوا ان الاله لو حده وهو الله لا يسع الخلق الا آلهة معه يدخلون عليهم ويصيرون الى دهماء خواص شفعهم لديه ومنه قول بني اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون تفسيرا لهم لم يكونوا شاكين في الدين وانما ارادوا شيئا يعظم عندهم وفي نفوسهم ويتقربون بتعظيمه وشهوده الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر في الدين لشدة جهلهم ومن عرف وحقق معنى الشهادتين اللتين هما رأس الاسلام وقوامه شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم شهد بهما لزمه العمل بمقتضاهما قولا وعملا واعتقادا وترك المنافي والمناقض لهما قولا وعملا واعتقادا وان معنى الشهادة بان لا اله الا هو تتضمن اخلاص الالوهية له وحده في عبادته ومعاملته فلا يجوز ان يتأله قلب غيره بحب ولا خوف ولا رجاء ولا اجلال ولا اكرام ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد ان يكون الدين كله لله كما امر جل ذكره وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من

الشرك بحسب ما كان لغيره ثم ان كان أصغره مثل الرياء فله حكمه وان كان أكبر مثل ما يأتي بيانه فله
حكمه وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله
ومنع لله فقد استكمل الايمان فالمؤمنون يحبون لله والمشركون يحبون مع الله وهي الانداد التي
ذكرها في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا الآية والشهادة بأن محمدا عبده ورسوله تتضمن
تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به وطاعته في كل ما أمر به فما أثبته وجب اثباته وما نفاه
وجب نفيه كما يجب على الخلق ان يثبتوا لله ما أثبته لنفسه من الاسماء والصفات وينفوا عنه ما نفاه
عن نفسه من مماثلة المخلوق فيخلصون من التعطيل والتمثيل ويكونون في اثبات بلا تشبيه وتنزيه
بلا تعطيل وعليهم ان يفعلوا ما أمر الله به وينتهوا عما نهى عنه ويحللوا ما حلله ويحرموا ما حرمه فلا
حرام الا ما حرمه الله ورسوله ولا دين الا ما شرعه الله ورسوله ولهذا ذم الله المشركين في سورة الانعام
والاعراف وغيرهما لكونهم حرموا ما لم يحرم الله وشرعوا دينا لم يأذن به الله كما في قوله تعالى
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى آخر السورة وما ذكره في صدر سورة الاعراف وكذا
قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فأخبر انه داع الى الله باذنه فمن دعا الى غير
الله فقد أشرك ومن دعا اليه بغير اذنه فقد ابتدع والشرك بدعة والمبتدع يؤول الى الشرك ومن
خاض كما خاض فيه الاولون فلم يعرف التلازم من اللزوم فقد جردهما من المعنى واذا كان سبب
النزول أحوال مشركي العرب فالعام لا يقصر على السبب وكذلك الاحاديث الصحيحة كحديث
معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا معاذ أتدري
ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حقهم عليه
قلت الله ورسوله أعلم قال ان لا يعذبهم وفي لفظ ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت أفلا أبشر
الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا أخرجاه في الصحيحين فانه قاض في الاخبار بلفظه عن حق الله
على العباد من توحيده سبحانه واخلاص الالوهية له تعالى كما قال جل شأنه واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله قل تعالوا
أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا فقد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الاسلام
دينا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية
خاتمة وصاياه العشر التي هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى
في التوراة وان كانت الكلمات التي انزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل وأبلغ وأتم ولهذا قال
الربيع بن خثيم وعبد الله بن مسعود من سره ان يقرأ كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ
آخر سورة الانعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا الى قوله وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وأمرنا ان لا نكون كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر رسوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم
في شيء وذكر انه جعله على شريعة من الامر أمره ان يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون
وقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب الى قوله واحذرهم ان
يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فأمره ان لا يتبع أهواءهم عوضا عما جاءه من الحق وان كان

ذلك المتبع شرعاً أو طريقاً لغيره من الأنبياء فإنه سبحانه قد جعل لكل منهم شرعة وسبيلاً ولكنه صلى الله عليه وسلم [illegible] صدره به أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه وإذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره فكيف بما لم يعلم أنه جاءت به شريعة قط بل لم ينزل الله به الكتب ويرسل الرسل إلا بتقبيحه والإنذار عنه وخبث فاعله والحكم عليه بالذل والصغار والخلود في النار حتى قرر ذلك وحرر في كتب الفقه التي تداولتها الأيدي علماء كل مذهب فذكروا عندهم فيه باباً للردة بعبارات مختلفة الألفاظ متفقة المعنى منها قولهم المرتد لغة الراجع يقال ارتد فهو مرتد إذا رجع قال تعالى ولا ترتدوا على أدباركم [illegible]
ولو [illegible] فتصح ردته [illegible] وهم [illegible] لا كرها [illegible] الإكراه لاعتقاده [illegible] لقوله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً الآية [illegible] قالوا وأشرك بالله [illegible] جعل بينه وبين الله وسائط [illegible] ويتوكل عليهم لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً [illegible] قد أجمع عليه أئمة المسلمين وعلماء الدين [illegible] بهذا الإجماع ما قاله الإمام الغزالي [illegible] في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور الدينية [illegible] الجهل بعد الإنذار بالكتاب والرسول وإن جادل وعاند [illegible] محق [illegible] مستحق [illegible] قول نبي الله هود على نبينا محمد وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام [illegible] لقومه قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان [illegible] الرجس والغضب [illegible] أن [illegible] منهم السبب [illegible]
[illegible] الآيات [illegible] أصحاب الصخرة [illegible] عليهم الحديث [illegible]
من [illegible] أنت الله [illegible] وفي حديث [illegible]
بأنك أنت الله [illegible] وفي الحديث الآخر أسألك بكل اسم هو لك [illegible]
الغيب عندك [illegible]
[illegible] عنه [illegible] الأئمة [illegible]
تعالى [illegible]
في كتابه [illegible]
ابن مسعود [illegible]
قال قلت [illegible]
فأنزل الله تصديق [illegible]
[illegible]

ودرجات على الترتيب في عظم الذنب وأكبره جعل الانداد ومادونه وان كان ذنبا فليس مساويا له الا ان استحل فيوافقه في اسم الكفر وجعل النداء لله أكبر منه ولكن ليس على العبد أشد من دحض الحق والعمل بخلافه ومعاداته وأهله والقدح عليهم فيه فمعاداة الحق وأهله سنة متقدمة وعادة مطردة ولذلك لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر صدع بامر الله لا تأخذه فيه لومة لائم فدعا الى الله الكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى والجن والانس فصدع بامر الله وصرح لقومه بالدعوة وناداهم بسب آلهتهم وعيب دينهم اشتد أذاهم له ولمن استجاب له وادعوا جهلهم وجنونهم وهذه سنة الله عز وجل في خلقه كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون الآية فعزى الله سبحانه نبيه بذلك وان له أسوة بمن تقدمه من الرسل وعزى سبحانه أيضا أتباعه وهم العلماء العاملون بامره الداعون الى شريعته بقوله سبحانه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله الم أحسب الناس أن يتركوا الى قوله أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ﴿ومن تأمل سياق هذه الآيات وما تضمنته﴾ من العبر وكنوز الحكم علم ان الناس بين أمرين اما أن يقول أحدهم آمنا واما ان يأبى ويستمر على السيئات من مخالفة دين الرسل فمن قال آمنا ابتلاه ربه واختبره ليتبين الصادق من الكاذب ومن لم يتبع دين الرسل فلا يحسب انه يفوت الله ويسبقه فمن آمن بالرسل واتبع دينهم واهتدى بهديهم عاداه أعداؤهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى قال من عادى الى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدي بشئ أحب الى من أداء ما افترضته عليه ومازال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته أخرجه البخاري في صحيحه في باب التواضع من كتاب الدقائق ومن كان طالبا للرتبة العلية تنقل في المقامات العلوية وفارق كل فرقة غويه ومن كان من حزب الشيطان يعود شيطانا وان كان في صورة الانسان ﴿ولا هو أتى على من﴾ أي على الذي ﴿يهديه الى النهج القويم﴾ يعني انه لم يقرأ على شيخ يرشده الى الطريق الذي لا اعوجاج فيه وقد تقدم في ترجمته عند ذكر اسمه عدة مشايخه الذين قد اجتمع بهم وأخذ عنهم اجازة ودراية ﴿ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم﴾ الدليل لغة هو المرشد وهو الناصب والذاكر وما به الارشاد واصطلاحا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري وفاقا وقيل الى العلم به فتخرج الأمارة قال الاصوليون لا بد للمستدل من دليل ونظر وعلم قال الامام أحمد الدال هو الله والدليل هو القرآن والمبين الرسول صلى الله عليه وسلم والمستدل أولو العلم هذه قواعد الاسلام والنظر هو الفكر لمعرفة مطلوب من تصور أو تصديق والعلم هو حكم الذهن الجازم المطابق الموجب فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة الا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نورا لانه يهتدى به في ظلمات الجهل والوهم قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب يهدي به الله من

اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم
ومثل النبي صلى الله عليه وسلم حملة العلم الذي جاء به بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات ففي المسند
للامام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل العلماء في الارض كمثل
النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة وما
دام العلم باقيا في الارض فالناس على هدى وبقاء العلم بقاء حملته العاملين به فاذا ذهبت حملته أو من
يقوم به وقع الناس في الضلال كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض
العلماء فاذا لم يجدوا عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وذكر النبي
صلى الله عليه وسلم يوما رفع العلم فقيل له كيف يذهب العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأناه نساءنا وأبناءنا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم شيأ
فسئل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن هذا الحديث فقال لو شئت لاخبرتكم باول علم يرفع عن
الناس الخشوع وانما قال عبادة هذا لان العلم قسمان أحدهما ما كان ثمرته في قلب الانسان وهو
العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضية لخشيته ومهابته واجلاله والخضوع له ورجائه ومحبته
ودعائه والتوكل عليه ونحو ذلك مما هو عبادة مختصة بجنابه فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود
رضي الله عنه ان أقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع وقال
الحسن العلم علمان علم اللسان فذاك حجة الله على بني آدم وهو كما في الحديث القرآن حجة لك أو عليك
وعلم القلب وهو العلم النافع لذا ثمة لصاحبه عن جميع المهالك وبه يتمكن الانسان من صلاح تلك المضغة
التي قد نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجه البخاري ومسلم من رواية الشعبي عن النعمان بن
بشير وقد أرشد الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى الهدى والعلم وأمره أن يطلب منه عند الاختلاف
فيه رغبة اليه سبحانه واعراضا عن المشركين الذين قال الله عنهم واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير روى مسلم وأبو داود وغيرهما عن عائشة رضي
الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي من الليل يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وذلك أن الله يقول
كان الناس أمة واحدة أي واحدة فاختلفوا وكذا قيل هكذا هي في حرف عبد الله فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وهداية التوفيق والالهام من ذي الجلال والاكرام وهو نعمة من أعظم
من المولى الكريم لذوي الاسلام وهي نعمة السكينة التي يمن بها الكريم المنان وهذه نعمة نعمة
السكينة اذا قوي اليقين بامر الله ابتداء وعلم غيره من النبيين في غير الائمة ومن خاصة الله اعداء
كلمة الاسلام فالشيخ محمد بن عبد الوهاب قد هدي فاهتدى وهدى الله به من شاء بعد الاسترشاد

الى الرشاد والانحياد عن أهل الفساد وهو لا يفتر عن الاورادفسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ماشاء الله كان ومالم يشألم يكن ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم سبحانك لاأحصى ثناءعليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد السلام على الى ى و رحمة الله و بركاته دكذ الابهتر أبدا الاوقت يوم أو درس لكن لغربة الاسلام أنكر عليه ولحسد والبغضاء يؤدى ونسب كل فعل قبيح اليه ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وما أحسن ماقيل فى ذلك

أقول الله ربى والاسلام * دينى والقرآن لى امام

مقتديا باحمد وآله * مخالفا طوائف الكفر وهل ألام

قدغاض دين الله كل كافر * ليس له بحبله اعتصام

أصم أعمى ماله معرفة * الاعما تغذى به الاجسام

قدجهل القرآن من شقائه * ففاته بجهله المرام

يا ذ عمى الى أطعت أمر من * عصيانه سبحانه حرام

مستمسكا بالعروة الوثقى التى * ليس لها يا لاعمى انفصام

أدعوا الى القرآن من لم * يتبع آياته وكلها أحكام

عادتنى والله قد أكرمنى * أفق فداعى الله لا يضام

تريد ان تطفى نور خالق * ونوره غايته الاتمام *

والحق كالشمس اذا ما أشرقت * أنوارها تجلى عنها الظلام

وفضله سبحانه اذا أتى * عبدا فلا ترده الأنام

(ومن ذلك أيضا)

ان الاله على نصرى لمقتدر * فما أبالى باعدائى ولو كثروا

اذا تحزبوا على طلبى فانى * بقوى من هم انتصروا

ان المشركين قوم لا عقول لهم * لانهم الجهل فى الكفر الذى حذروا

أمرتهم باتباع الذكر فانتدبوا * غيظا وهل آمنوا بالله أم كفروا

لايستجيبون للداعى اذا سمعوا * ولا يرون سبيل الرشد لونظروا

ولا يعون فما النصح بنافعهم * كأنهم بيننا من جهلهم بقر

انى لارجوا له ان يصيبهم * بنقمة منه لاتبقى ولاتذر

ياصم يا بكم ياعمى الكتاب * هدى للمتقين وعلم ليس ينحصر

واتلوه واتبعوا آياته ودعوا * مذاهب السفهاء انها ضرر

اتهجرون كتاب الله ويلكم * هل ذرس نفسالكم قوم له هجروا

لقد مرقتم من الاسلام فانتبهوا * فليس ترك كتاب الله يغتفر

ماصح ايمان من لم يتبعه ولو * صلوا وصاموا وحجوا البيت واعتمروا

وقد أرسل اليه العالم العامل الفاضل المحقق المدقق شيخ جهابذة العلماء الاعلام في عصره رباني أهل وقته شيخ صنعاء اليمن وزبيدها وعمدة دقيقها وجليلها محمد بن اسمعيل الامير أرجوزة يثني فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى عقيدته ويشكره على أمره ونهيه وهي هذه

سلامي على نجد ومن حل في نجد * وان كان تسليمي على البعد لا يجدي
وقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا * رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح ان سرت * ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجدا وأهله * لقد زادني مسراك وجدا على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها * به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد * فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله * بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل * وما كل قول واجب الطرد والرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله * فذلك قول جل يا ذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فانها * تدور على حسب الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه * يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل * ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما * مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله * يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها * كما يهتف المضطر بالواحد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة * أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا * ويستلم الأركان منهن باليد
لقد سرني ما جاءني من طريقه * وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
يصب عليه سوط ذم وغيبة * ويجفوه من قد كان يهواه عن بعد
ويعزى اليه كل ما لا يقوله * لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية * ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه أتى * بتحكيم قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد * وهل غيره بالله في الشرع من يهدي
لئن عده الجهال ذنبا فحبذا * به حبذا يوم انفرادي في لحدي
سلامي على أهل الحديث فانني * نشأت على حب الاحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد * وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعني بهم أسلاف سنة أحمد * أولئك في بيت القصيدة هم قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم * وأحمد أهل الجد في العلم والجد
بحور وحاشاهم عن الجزر انما * لهم مدد يأتي من الله بالمد
رووا وارتووا من بحر علم محمد * وليس لهم تلك المذاهب من ورد

كفاهم كتاب الله والسنة التي * أتاهم بها صحب الرسول ذوو المجد
أنتم أهدى من صحابة أحمد * وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى في الطريقة منكم * فهم قدوتي حتى أوسد في لحدي
وشتان ما بين المقلد في الهدى * ومن يقتدي والضد يعرف بالضد
فمقتديا كن في الهدى لا مقلدا * وخل أخا التقليد في الاسر بالقد
وأكفر من في الارض من قال انه * اله فان الله جل عن الند
مسماه كل الكائنات جميعها * من الكلب والخنزير والفهد والقرد
وان عذاب النار عذب لاهلها * سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل السامري على هدى * ولائمهم في اللوم ليس على رشد
تناشدنا عنه نصوص فصوصه * تنادى خذوا في النظم مكنون ما عندي
وكنت امرأ من جند ابليس فارتقى * بي الدهر حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أدركت بعده * دقائق كفر ليس يدركها بعدي
يلدون عند العجز بالذوق ليتهم * يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد
نقول لهم ما الذوق قالوا مثاله * عزيز فلا بالشم يدرك والحد
فبشرهم بالكشف والذوق مشعر * بانهم عن مطلب الحق في بعد
ومن يطلب الانصاف يدلي بحجة * ويرجع أحيانا ويهدي ويستهدي
وهيهات كل في الديانات تابع * أباه كأن الحق في الاب والجد
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا * على ملة الآباء فردا على فرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فانني * غريب وأصحابي كثير بلا عد
اذا ما رأوني عظموني وان أغب * فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي
* هنيأ مريئا في اغتيابي فوائد * فكل فتى يغتابني فهو لي يهدي
يصلي ولي أجر الصلاة وصومه * ولي كل شئ من محاسنه يبدي
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه * ولكنه غيظ الاسير على القد
ودونكها تحوي علوما جليلة * منزهة عن وصف حد وعن قد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب * ولا هي ذمت هجر سعدى ولا هند
اليك طوت عرض الفيافي وطولها * وكم جاوزت غورا ونجدا الى نجد
أناخت بجد فاستراحت ركابها * وراح خليا عن رحيل وعن شد
فاحسن قراها بالقراءة ناظما * عليها جوابا فهي من جملة الوفد
وقد طولت جبرا لضعف نظامها * كما ستر الوجه المشوه بالبرد
وصل على المختار والآل انهم * لحسن ختام النظم واسطة العقد

وقد صفحنا عن جوابها ايجازا واختصارا ادراكا للمأمول وتحصيلا للمسئول فالشيخ محمد بن عبد الوهاب لما قام يدعوا الناس الى اقامة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ودينه وهديه ليقتدوا به ويحجبه من بعده فيقوموا الشريعة التي عليها من سلف من الامة عاداه الناس وآذوه ونسبوا كل

عقيدة باطلة وفعل قبيح اليه وانقسموا فيه بين مكفر ومخرج وأجلبوا بجيوشهم ومدافعهم عليه وما
ذنبه الا أنه يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فهو الداعي اليه وهو القائم عليه ممتثلا
قول الله تبارك وتعالى ومقتديا برسوله صلى الله عليه وسلم وبمن مضى من الصحابة والتابعين في اقامة
الدين ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن
ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال
انني من المسلمين ومن أعرض ونأى بجانبه عن ملة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة الداعي
الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فقد أخطأ وضل وأضل فالى أين العدول عن ملته أين تطلب
النجاة في غير طريقته أيدعي مسلم اتباع من لا يشك انه على الصراط المستقيم وانه رسول رب العالمين
أرسله بالهدى ودين الحق فيتركه ويتبع الشيطان الرجيم الذي قد أخبر الله عنه انما يدعو حزبه
ليكونوا من أصحاب السعير * وأما قولكم ﴿بل طالع بعضا من مؤلفات أبي العباس بن تيمية
ومؤلفات تلميذه ابن القيم وقلدهما من غير اتقان مع انهما يحرمان التقليد وأخذ العلم من غير تسديد﴾
معناه ان هذا الرجل لم يقرأ على أحد من العلماء يدله على أمره ويساعده على قصده بل اكتفى
عن ذلك بمطالعة بعض الكتب التي ألفها شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية وتلميذه أبو عبد الله
ابن القيم فقلدهما فيما قالاه في كتبهما وهما لا يجوزان التقليد وأخذ العلم من المؤلفات بلا تسديد
فنقول لا يلزم من مطالعة كتب الثقات وامعان النظر فيها وفي دلائل ما تضمنته وفهم معاني ما حكته
عدم أخذ العلم عن أهله وممارسته وتكرار درسه ولا تنافيه بل أخذ العلم بحثا وتقريرا عن العلماء
الثقات عند الخاص والعام والجهابذة الاعلام هو الحامل عليها وهو الدال اليها وقراءته وفهمه
فيها هما الحاملان عليها وفهمه في كل فن هو الحامل على تمحيض أمره في نصحه وايجاد قصده القائم
في ذهنه وهو المقتضي لأمره ونهيه * ودليل ذلك اعتناؤه بكتب الثقات من أولي العلم والرجوع
الى الآيات البينات والاحاديث الصحيحة عند اختلافهم أخذا من كلام الأئمة النقاد وما صححوه
مما اتفقوا عليه أو اختلفوا فيه لا مدعي الاجتهاد وليس هو يدعو الناس الى الاتفاق في مسائل
الفروع التي قد وقع الاختلاف فيها وانما يدعوهم الى العمل بما هو مطلوب منهم اتفاقا مما لا تقليد فيه
وترك ما نهوا عنه كذلك والرجوع الى الكتاب والرسول والاجماع ليس بتقليد لقيام الحجة في ذلك
اذ وجود الباري تعالى وتقدس وتوحيده واخلاص العبادة له والايمان برسالة محمد صلى الله
عليه وسلم وبما جاء به لا تقليد فيه فتجب معرفة وجود ذات الله بصفات الكمال شرعا بالنظر في
الوجود والموجود على كل مكلف قادر وهي أول واجب له تعالى وتقدس وكذلك وحدانيته وألوهيته
فيستدل عليهما بمخلوقاته ومصنوعاته * قال تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون
فمعرفة ذلك ليست ضرورية بل نظرية بخلاف علمه سبحانه وتعالى بجميع مخلوقاته فليس هو
بضروري ولا نظري ولا كسبي ولا استدلالي بل هو قديم باق ذاتي محيط بكل معلوم كلي أو جزئي على
ما هو عليه فلا يتجدد بتجدد المعلومات ولا يتعدد بتعددها * قال الأصوليون التقليد لغة وضع الشيء في
العنق محيطا به * واصطلاحا أخذ قول الغير من غير حجة والرجوع الى الرسول والى الاجماع ليس بتقليد
لقيام الحجة * ثم قالوا وهل يصح ايمان المقلد على قولين للعلماء فعند الاشعري لا يصح ومن قال يصح
يوجب عليه الاستدلال بالنظر والرجوع الى الدلائل الظاهرة والآيات الباهرة ثم ان من قام في

ذهنه دلائل قصده ومطلوبه فارادا قامته اعلى ما ادعاه من كتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة الاعلام فباحث وناقش ودل واستدل فتوافق هو وغيره في الدليل والاستدلال والعقيدة فيما هو مطلوب لا محال لا لزم من ذلك التقليد لذلك الغير بل ولا يؤديه معناه لوجهين * أحدهما ان كثيرا ما يوافق مجتهد مجتهدا وليس هو مقلدا له فيما قاله وانما هو موافق له فيه فالواقع انما هو اتفاقهما في الحكم والدليل لا تقليد أحدهما الآخر فيه * وهذا مشاهد في كلام الائمة وتوافقهم في المسائل الاجتهادية وقد وافق الامام الشافعي الامام زيد بن ثابت رضي الله عنهما مع ان الشافعي ليس مقلدا لزيد * الثاني ان تعريف التقليد هو أخذ قول الغير والعمل به من غير حجة للمقلد وانما هو اعتماد على قول مقلده وقصر على منطوقه ومفهومه بلا نظر في دليله من ضعفه أو ترجيحه قاله الاصوليون * وقالوا يلزمه ان يقلد في مسائل الفروع الارجح الفاضل عنده فيجتهد في ذلك على الاصح * وأما توحيد البارى تعالى وتقدس في معاملته واخلاص عبادته فلا تقليد فيه ألبتة وانما يقتدي اللاحق بالسابق فيه والاقتداء ليس بتقليد فكان شيخ الاسلام تقي الدين قد استدل في وقته بالكتاب والسنة وبكلام صالح سلف الامة على التوحيد الذي هو وظيفة العبد وعلى الشرك ومعناه الذي هو ضد التوحيد وحرمه الله وأوهنه وعلق على وجوده عدم المغفرة فعودي وأوذي كذلك هذا الرجل لما قام بأمر أهل وقته باخلاص التوحيد لله وحده ولا يجعل حقه تعالى لغيره أو معه ومع غيره وميز لهم التوحيد من ضده وأقام عليه الدلائل والبراهين من الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الأمة من غير تقليد لاحد فيه ان كان ولابد فهو نقل كلام لامام مجتهد حجة على من قلده ليعلم ذلك المقلد أنه قد خالف مقلده فيما قاله واعتقده نسبوه الى تقليد الشيخ تقي الدين في التوحيد ولعل كلامه وافق كلام شيخ الاسلام تقي الدين في شيء من ذلك حتى في استدلاله فليس هو تقليدا له ولا أخذا منه * والشيخ تقي الدين وتلميذه رحمهما الله تعالى بل وغيرهما انما يحرمون التقليد في توحيد الله ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم وما علم كونه من الدين ضرورة كاركان الاسلام ويدعيان الاجماع على ذلك وعبارتهما التقليد السائغ في المسائل المستفتي فيها وهي الاجتهادية وأما العقلية كوجود البارى تعالى وتوحيده والرسالة فلا تقليد فيها وكذا ما علم كونه من الدين ضرورة كاركان الاسلام اجماعا * وقال الشيخ تقي الدين في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم إمسائل الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها والتقليد لاريب ان المجتهد فيها على أجر فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر وكذا المقلد له أجر على حسن قصده وعمله وانما انكارهما شديد على من أوجب اتباع طريقة شيخ من مشايخ الدين والصلاح كالشيخ عبد القادر والشيخ ... ونحوهما * وكذلك من أوجب اتباع امام معين من أئمة العلم والدين والزم الناس الاقتصار عليه في كل ما قاله أو أمر به ونهى عنه وعلى من عادى ووالى في هذه المذاهب أو عليها كالأئمة الاربعة لما فيه من الترجيح قال ولكن طاعة الرسول انما تمكن مع العلم بما جاء به والقدرة على العمل به فاذا ضعف العلم والقدرة صار الوقت وقت فترة في ذلك الامر وان كان وقت دعوة ونبوة في غيره * وقال أيضا في رسالته السنية وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أو قرفندي أو نقشبندي فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلي ولا قرفندي ولا نقشبندي والواجب على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلي ولا قرفندي ولا نقشبندي

بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله * وقد روينا ان معاوية بن أبي سفيان سأل عبد الله بن
عباس رضي الله تعالى عنهما فقال أنت على ملة علي أو على ملة عثمان فقال لست على ملة علي ولا ملة
عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكذلك كان كثير من السلف يقولون كل هذه
الاهواء في النار ويقول أحدهم ما أبالي أي النعمتين أعظم على ان هداني الله للاسلام وان جنبني
هذه الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله لا يعدل عن الاسماء التي
سمانا الله بها الى أسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان بل الاسماء التي
يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الى امام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتسابهم
الى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب الى القبائل كالقيسي واليماني أو الى
الامصار كالشامي والعراقي والمصري لا يجوز لاحد ان يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء
ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم
الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا
يتقون وقد أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله تعالى ليس البر ان
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب
وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون * والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه انتهى
* وأما التقليد في أصل الدين من التوحيد فقد أغنى الشارع صلى الله عليه وسلم بالتفصيل وبين الحق
وسواء السبيل * ونص على ما يعصم من المهالك نصا قاطعا للعذر قال تعالى وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا وقال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى وما على رسوله
البلاغ المبين وقال ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وقال تعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم الآية والتي بعدها وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من طائر يقلب جناحيه
الا ذكر لنا فيه علما * وفي صحيح مسلم ان بعض المشركين قال لسلمان لقد علمكم نبيكم كل شئ حتى
الخراءة قال أجل * وقال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي
الا هالك * وقال ما تركت من شئ يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا من شئ يقربكم من النار الا وقد
حدثتكم به وقال ما بعث الله من نبي الا كان حقا عليه ان يدل أمته على خير ما يعلمه خيرا لهم وينهاهم
عن شر ما يعلمه شرا لهم * وهذا يعلم بتأصيله والبحث والنظر والتتبع والاستقراء والطلب لعلم هذه
المسائل في الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الامة فمن طلب ذلك وجد في الكتاب والسنة
من النصوص القاطعة للعذر في ذلك ما يبهره ويهديه ويشفيه وذلك يكون بشيئين أحدهما
معرفة معاني الكتاب والسنة والثاني معرفة معاني الالفاظ التي يطلقها المخالفون حتى يحسن ان
يطبق التمييز بين معاني التنزيل ومعاني أهل الخوض في أصول الدين حتى يتبين له ان الكتاب
حاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين

ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله * وقال تعالى فان
تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وقال تعالى ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك
وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان
أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك
صدودا فكل العبارات من الالفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل فكان السلف والأئمة
ينهون عن اطلاق موارد النزاع بالنفي والاثبات لان في اثباتها اثبات حق وباطل وفي نفيها نفي حق
وباطل فيمتنع من كلا الاطلاقين تقليدا وغيره وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق ولا قصورا أو تقصيرا
في بيانه وانما هو لقطع المادة بخلاف النصوص الالهية * فانها فرقان فرق الله بها بين الحق والباطل
ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله وكلام رسوله هو الامام والفرقان الذي يجب اتباعه
فيثبتون ما أثبت الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ويجعلون العبارات المجملة المحدثة المتشابهة
ممنوعا من اطلاقها نفيا واثباتا لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه الا بعد الاستفسار والتفصيل فاذا بين المعنى
اثبت حقه ونفي باطله بخلاف كلام الله ورسوله فانه حق يجب قبوله وان لم يفهم معناه * وكلام غير
المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه وأما المختلفون في الكتاب والمخالفون له فتجعل كل طائفة
ما أصلته من أصول دينها الذي ابتدعته اماما لها تتبعه أو المحلات المتشابهات من الكتاب والسنة
التي لا يجوز اتباعها بل يجب ردها الى المحكم * ويتعين حملها عليه فهم يتبعونها ابتغاء الفتنة ويحملونها
على ما يوافق أصلهم الذي ابتدعوه وهذان الصنفان يشبهان ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى
أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون الآيات الى قوله فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون فان الله ذم الذين يحرفون
الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة على ما أصله من البدع الباطلة وذم الذين
لا يعلمون الكتاب الا أماني وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم الا مجرد تلاوة حروفه باللسان
ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله لينال به رياسة أو جاها أو دينا وقال هذا هو الشرع
والدين كما لو قال هذا من عند الله وهذا هو معنى الكتاب والسنة وهذا قول السلف والأئمة وهذا هو
أصول الدين الذي يجب اعتقاده على الاعيان والكفاية ومتناول لمن كتم ما عنده من معنى الكتاب
والسنة لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله وهذه الامور كثيرة جدا في كلام أهل الاهواء جملة
كالرافضة والجهمية وأهل الاعتقادات الفاسدة والبدع المضلة نسأل الله العفو والعافية * وأما قوله
(فاحتاج الى تمييز خطا عن الصواب والقشر عن اللباب وبيان ما عليه الفرقة الناجية وهم أهل
السنة والجماعة كي يظهر الحق لقليل البضاعة) هذا مفرع على قوله وأخذ العلم من غير تسديد
معناه ان هذا الرجل لما لم يأخذ العلم عن تسديد احتاج الى تمييز الخطا الذي هو ضد الصواب عن
الصواب الذي هو مطابق للحق أي احتاج الى من يميز له ذلك ويفرق له بينهما ويميز له أيضا بين ما التبس
عليه من القشر الذي هو الظرف الساتر عن اللباب الذي قد ستره القشر فهو مظروف فيه استعار
لفظ القشر واللباب للتشبيه واشتكيه من عدم تمييز معاني المسائل التي يفصل بعضها عن بعض

في اللفظ والمعنى لاخذه العلم من غير تسديد والى من عيزله بيان ما عليه الفرقة الناجية وهم أهل السنة
والجماعة من ضدهم وهم من ترك السنة وفارق الجماعة والعلة في اعتباره التمييز بين هذه الاشياء
المذكورة ظهور الحق بلا التباس بضده لقليل البضاعة من المعرفة بمعاني مسائل العلم قبل ظهور
الحق له بالتمييز المذكور فنقول يكفي في تمييزه ومعرفته وادراكه في قصده ومرامه ما قد شاع عنه وذاع
وتقطعت به الاسماع من أنه يدعو الناس الى سبيل النجاة والفوز الابدي وهو الصراط المستقيم الذي
أمر الله تعالى عباده أن يسألوه اياه في كل صلاة والدليل على ذلك ان لا أحد كائنا من كان [illegible]
يحبها الله ويكرهها أهل الفساد والعناد الا ونسب ذلك [illegible] الى [illegible]
أو عارضي أو شرقي وهذا كقول كفار قريش لمن تبع ما جاء من عند الله [illegible] صابئ وان كان ذلك [illegible]
في نفس الامر عدلا ظاهرا وباطنا نسبوه [illegible] ولو لم يكن فيه من السمة [illegible]
وتمييزه وهديه الا ذلك لكفى * مناقب شهد العدو بفضلها * والفضل ما شهدت به الاعداء * فذلك
يستدل على فضله المستدلون ويهتدي بما دعا اليه المهتدون ويرجع الى اتباع الحق [illegible]
عن خوضهم في طغيانهم الخائضون فان من رزق التوفيق تأمل بعين انصافه ما [illegible] الرحمن
ودعا الناس اليه من الاخلاص للملك الناس فميز بينه وبين ما عند [illegible] العقائد الفاسدة
والبضائع من الدين الكاسدة الآمرين بالباطل والقائمين عليه والناهين عن سبيل الحق [illegible]
اليه وهم المجوزون لمن شاء ان يتخذ معتقدا من الخلق يدعوه [illegible]
عند أي شدة كانت يعتقد فيه لذلك بانيا كان معتقده أو قريبه * ومن [illegible]
معناه وسيلة وهي جائزة مطلوبة وهذا مذهبهم فهم أمروا بذلك وجوزوا شرك [illegible]
وعاداه وأهله [illegible] وبدعوه وقاتلوه زيادة على جنس المنكر [illegible]
قال الله فيه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم [illegible]
الباطل والحق فلم يرض من نفسه الا اتباع الحق [illegible]
[illegible] الى ذلك تأمل أحوال هؤلاء المشركين وما هم عليه من [illegible]
معتقداتهم * وتأمل معنى قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا
ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون [illegible] هؤلاء المعتقدين [illegible]
واستعينوا به وحده واستغفروه ونظروا الى [illegible]
لقوله وكراهة * وزعموا أنه قسب الاولياء و[illegible]
عليهم بل اثنى عليهم وعلى عقيدتهم وان [illegible]
استبشروا وسروا واتخذوه صديقا لهم والله [illegible] باليوم الآخر [illegible]
الرسل وأنزل به الكتب [illegible] على العبيد وقد صح [illegible]
مع شدة العداوة له [illegible] الاول اما تقليدا وجهلا أو تكبرا أو تجبرا عن [illegible]
اكتسبوا منه وأخذوا عنه ولكن يسبونه ودينه وما أمر به عنادا وبغيا وحسدا [illegible]
مضوا قبله وذلك كله دليل على فضله وعلمه وانه قدم بين [illegible] والصواب [illegible]
لتفرقته بين ما أمر الله به العباد وأرسل به الرسل و[illegible] الكتب ومعنده وكيفية [illegible]
وعلق على وجوده عدم المغفرة مع انه كتب على نفسه الرحمة [illegible]

ومعنى كل منها ثم انه دعا الناس الى الحق وأسر وقال مفسر كابين ماعليه الفرقة الناجية ويحجهم بسيماهم ويزهم عن ضدهم فبينهم بعلاماتهم وانما الذى لم يميز بين معنى قوله ومافى تسطيره فهو الناقض لحكم الله ورسوله قولا واعتقادا مستدلا على ذلك بما يخالفه منطوقه ومفهومه لكن ضاقت عليه مدارج الادراك والشعور فعدل الى مجرد الادعاء بلا نور كما قيل الاقرع يفخر بجمة ابن عمه وابن الحمقاء يذكر حالته اذا عيب بامه * وأما قولكم ﴿ وتقريعكم فى مقدمتكم التى قال فيها قائلكم فاقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق أجمعت الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبى صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابى وهم الاشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة على حدوث العالم ووجود البارى وانه لاخالق سواه ﴾ فنقول معنى التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة ضد الخذلان لانه حصول الشر والمعصية وأزمة الشئ مايقوم بها وينتهى اليها والتحقيق هو المعنى المطابق للحق وهو اسم مصدر حقق والواو فى قوله وبالله واو الحال وهذا اقرار القائل بلسانه فان صح اعتقاده حصلت الموافقة لقوله وهو أقرب والافهو مجرد لفظ * والاجماع لغة يطلق على معنيين أحدهما العزم كقوله فأجمعوا أمركم أى اعزموا ومنه لاصيام لمن لايجمع الصيام من الليل * وثانيهما الاتفاق وحقيقة أجمع صار ذا جمع كالبن وأتمر * وفى الاصطلاح اتفاق خاص وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر على أمر فلا يعتبر موافقة المقلد ومخالفته والمراد بقولنا فى عصر فى زمان ما قل أو كثر وقولنا على أمر يتناول الدينى والدنيوى ثم انه قد اختلف فى انه هل يشترط فى الاجماع وانعقاده حجة انقراض عصر المجمعين فمن اشترط ذلك لايكفى عنده الاتفاق فى عصر بل يجب استمراره مابقى من المجمعين واحد فيزيد فى الحد الى انقراض العصر ليخرج اتفاقهم اذا رجع بعضهم فانه ليس بالاجماع المقصود وهو ما يكون حجة شرعا وأيضا قد اختلف الاصوليون فى انه هل يجوز حصول الاجماع بعد خلاف مستقر من حى أوميت أم لا فان جاز فهل ينعقد أم لا فمن قال يجوز أو قال يجوز وينعقد ولا يحتاج الى اخراجه عن الحد ومن يرى انه لايجوز ولا ينعقد فلابد ان يخرجه عن الحد بان يزيد فيه ولم يستقر خلاف مجتهد وقال الغزالى هو اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الامور الدينية مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لاتجتمع أمتى على ضلالة وبقوله لاتزال طائفة من أمتى على الحق حتى تقوم الساعة وبقوله يد الله على الجماعة من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية واستدل الامام الشافعى على حجية الاجماع بقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين بضمه الى مشاقة الرسول التى هى كفر فيحرم اذلا يضم مباح الى حرام فى الوعيد واذا حرم اتباع غير سبيلهم فيجب اتباع سبيلهم اذلا مخرج عن طاعة الرسول واتباع سبيل المؤمنين وهذا أصل كلى خال من معارض طنى اذ متابعة الرسول شاملة لنصرته فى حياته أو شريعته بعده ولما به صاروا مؤمنين وهو التوحيد والايمان به لامخصوصة بما لايخرج عن شريعته * وقولكم ﴿ الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبى صلى الله عليه وسلم فيهم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابى وهم الاشاعرة ﴾ هذا غلط ظاهر لوجوه (منها) ان هؤلاء المنتسبين الى عقيدة الاشعرى لم يرجعوا عنها كما رجع عنها وتاب وأقلع منها فانه اسمه على بن اسمعيل بن اسحق الاشعرى من ذريه أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة سبعين وقيل ستين ومائتين وتوفى ببغداد ودفن بها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة كما قاله ابن الصلاح وكان من تلامذة

المعتزلة كأبي علي الجبائي ومال الى طريقة ابن كلاب وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة ثم انه رجع الى بغداد فتاب من عقيدته وانتسب الى الامام أحمد وغيره من السلف وانتصر الطريقة أحمد كما ذكر ذلك الاشعري في كتبه التي صنفها ومنها كتابه الابانة الذي سماه في أصول الديانة وكتابه الذي صنفه في اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين وكما قاله أبو اسحق الشيرازي انما حل الاشعري في قلوب الناس لانتسابه الى الحنابلة وكان أئمة الحنبلية المتقدمين كأبي بكر عبد العزيز وأبي الحسين التميمي ونحوهما يذكرون كلام الاشعري ورجوعه وتوبته في كتبهم وتفقه على أبي اسحق المروزي الحنبلي وأخذ عن حنبلية بغداد أمورا من العقائد وسائر العلوم الشرعية وكان ذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم ومن أجل أصحابه القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم فهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده وقد تاب عن عقيدته وما يقوله أهل الكلام ورجع الى سلف الامة وخيارها ذكره ابن الصلاح والشيخ تقي الدين وغيرهما فالمنتسبون اليه لم يرجعوا كما رجع بل خاضوا في علم الكلام حتى زعموا ان النصوص عارضها من معقولاتهم ما يجب تقديمه وهم حيارى في أصول مسائل التوحيد ولهذا كثير منهم لما لم يتبين له الهدى نكص على عقبيه فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه أو رياسته وماله ونحو ذلك لعدم العلم واليقين بما كان عليه السلف الصالح وفي الحديث المأثور ان أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن في قلوبكم وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية يجتمع فيهم هذا وهذا انهم بخلاف الفرقة المستثناة ﴿ومنها﴾ ان غالب ما يعتمدونه يؤول الى دعوى لا حقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كلية لا تصح الا جزئية أو دعوى اجماع لا حقيقة له والتمسك في المذهب والدليل بالالفاظ المشتركة ﴿واذا كان فحول النظر﴾ وشياطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر الى الغاية وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الا الى حيرة وارتياب واما الى الاختلاف بين الاحزاب فكيف غيرهم المقلدون لهم ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه أم كيف يكون هؤلاء المقلدون للمتكلمين الذين قد كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم حيث يقول

لعمري لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو الفخر الرازي

نهاية اقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

من الذين أثنى الله عليهم في كتابه وهم من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم في جملة اتباعه وأحبابه لان هؤلاء داخلون في عموم قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز

العظيم فهم ورثة الانبياء وخلفاء الرشد وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبه نطق الكتاب وبه نطقوا وقد وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق مالو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة بعكس من نبذ الكتاب وراءه واستدل بقول الاخطل * فان من تأمل عقيدة المتكلم والمقلد له تأملا يميز به بين الضدين ويفرق فيه بين الجنسين * علم يقينا ان من أعرض عن الكتاب لم يعارضه الا بما هو جهل بسيط أو مركب ، فالاول كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب والثاني أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فأهل البسيط أهل الحيرة وأهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمونها عقليات ﴿ ومنها ﴾ ان الامام الشافعي رضي الله عنه تكلم على أهل الكلام ومن قلدهم فقال رحمه الله حكمي فيهم أن يضربوا بالجريد والنعل ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام والله قال فيهم أو تواذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومن كان عليما بذلك ظهر له من الفرقة المستثناة وكيف كان حذقهم وغناهم وعلمهم وان من لم يقتصر على ما جاء عن الله ورسوله لم يزدد من الله الا بعدا فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم ﴿ اذا عرفت ذلك فنقول معرفة السلف ﴾ وهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأفضل الاصحاب الخلفاء الراشدون الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ﴿ ومنهم أيضا الائمة المجتهدون ﴾ الذين يقولون الحق وبه كانوا يعدلون ثم من تبعهم باحسان واقتفى أثرهم على ان لا يطرق قبهم الى آخر الزمان لم يغير ولم يبدل ما كانوا يقولون ويعتقدون وهؤلاء هم الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ما أنا عليه اليوم وأصحابي وكثير من المبتدعة الضالين يضلون طريقة غيرهم ظانين ان طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الاميين الذين قال الله فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان طريقة غيرهم هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بانواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب قولهم طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم فانه لا يجوز أن يكون الخلف أعلم من السالفين فلم يعرف قدر السلف من هذا وصفه بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حقيقة المعرفة المأمور بها ان هؤلاء المحجوبين المقوصين المسبوقين الحيارى لم يكونوا عرفوا الله وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء والذين الدين وهبهم الله علم الكتاب وحكمته وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن حقائقه ما عجز ولئك عن فهم معانيه وادراكه ثم كيف يكون خير قرون الأمة انقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون المتفلسفة واتباعهم والبونانيون وورثة المجوس والمشركين وضلال من اليهود والنصارى واشكالهم أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن والايمان وقد استولى الضلال

والتهوك على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم واعراضهم عما بعث الله به محمدا
من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتماسهم علم معرفة الله تعالى بصفات
الكمال ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه وبشهادة الأمة عليه وبدلالات كثيرة منها انهم يزعمون
وهم يكذبون وهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التى مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر وقد كذبوا
على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة غيرهم وسبب ذلك اعتقادهم انه ليس فى نفس الأمر
صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التى اشركوا فيها اخوانهم من المتفلسفين فلما
اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الأمر وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان
باللفظ وتفويض المعنى وهى التى يسمونها طريقة السلف وبين صرف اللفظ لمعان بنوع تكلف وهى
التى يسمونها طريقة غيرهم فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل وانكار السمع فان النفى
انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهى شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه فلما
انبنى امرهم على هاتين القاعدتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد
انهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم
الالهى وان غيرهم هم الفضلاء فقد حاز واقصب السبق فى هذا كله ثم هذا القول اذا تدبره الانسان
وجده فى غاية الجهالة بل وغاية الضلال فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم من أولها الى آخرها ثم كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة ان من اتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا فليس أهل السنة والجماعة الا السلف الصالح
وذووا العقل الراجح والوقوف عند النص من كتاب الله وسنة رسوله مستغنين بهما عن كل هاجس وقول
مخالف للكتاب والسنة مما هو عارض نائح فهم بحبل الله معتصمون وبكلام رسوله آخذون وعليه
واقفون وبالعروة الوثقى مستمسكون والدليل على ذلك انهم فى باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل
التعطيل الذين يلحدون فى أسمائه وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى شبهوه بالمعدوم
والاموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوق فتؤمن أهل السنة
والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل
وتكييف وهم فى باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدر الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة
ومشيئته الشاملة وخلقه كل شئ وبين المفسدين لذلك الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا
قدرة ولا عمل لا يعقلون الأمر والنهى والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فيؤمن أهل السنة والجماعة بان الله على كل شئ قدير
فيقدر ان يهدى العباد ويقلب قلوبهم وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون فى ملكه ما لا يريد
ولا يعجز عن انفاذ أمره وانه خالق كل شئ من الاعيان والصفات والحركات ويؤمنون ان العبد له
قدرة ومشيئة وعمل وانه مختار لا يسمونه مجبورا اذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله
سبحانه جعل العبد مختارا لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير
فانه ليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله وهم فى باب الاسماء والاحكام والوعد والوعيد
وسط بين الذين يحكمون على اهل الكبائر من المسلمين بالوعيد بالنار ويخرجونهم من الايمان بالكلية
ويكذبون بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان

الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان و يكذبون بالعقاب بالكلية فتؤمن أهل السنة والجماعة بان فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله وليس معهم جميع الايمان الواجب الذى يستوجبون به الجنة وانهم لا يخلدون فى النار بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان أو مثقال خردلة من ايمان وان النبى صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته وهم أيضا فى صحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط بين الغالية الذين يغلون فى على رضى الله عنه فيفضلونه على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أو يعتقدون انه الامام المعصوم دونهما وان الصحابة رضى الله عنهم ظلموا وفسقوا وكفروا والأمة بعدهم كذلك واغماحد لودنيا والها و بين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان و يستحلون دمهما ودماء من تولاهما أو يستحلون سب على وعثمان ونحوهما أو يقدحون فى خلافة على وامامته وكذلك فى سائر أبواب السنة هم وسط لانهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ﴿وقولكم على حدوث العالم ووجود بارى ونه لاخالق سواه﴾ فنحن نقول كل ما سوى الله وصفاته حادث والله سبحانه هو الذى أوجده وخلقه وابتدأه من العدم لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا بل بالحق والحكمة التى لولم يكن منها الا ليعرف بسائر صفات الكمال فيعبد وحده لا يشرك به ويكون الدين كله باتواعه له مختص بجلاله كما ان الأمر كله له تعالى ولا خالق لجسم ولا جوهر ولا عرض ولا شئ الا هو تعالى و جميع أفعال العباد كسب لهم وهى مخلوقة لله خيرها وشرها حسنها وقبيحها فالله خالق لا مكتسب والعبد مكتسب لا خالق وخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والرياح والسحاب وغير ذلك من الاجسام العظيمة دال على وحدانية الصانع فهو المتفرد بالالوهية كما انه متفرد بالربوبية فهو الخالق لجميع العوالم كلها وبه قامت الحوادث كلها اذ هو القادر على ان يمسك العالم كله فى قبضته كما جاءت به الآثار الالهية وكما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد ثبت فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة وابن عمر وابن مسعود وابن عباس ما يوافق مضمون هذه الآية وان الله تعالى يقبض العالم العلوى والسفلى ويمسكه ويهزه ويقول انا الملك اين ملوك الارض وفى بعض الآثار و يدحوها كما يدحو أحدكم الكرة وقال ابن عباس ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن الا كخردلة فى يد أحدكم وهو تعالى لا خالق سواه وهذا مما أجمع عليه أهل الملل كلهم فلم ينكر احد انه خالق لجميع المخلوقات الا انه قد جرى للمعتزلة كلام فى خلق الانسان أفعال نفسه وخلافهم غير معتد به [illegible] والله خلقكم وما تعملون وقوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون فان العبد [illegible] لا يستحق طعن فى ألوهية الاجسام بسبب انها لا تخلق شيأ فهذا يقتضى [illegible] كانت حركات العبد خالقا لافعال نفسه لكان الها ولما كان ذلك باطلا [illegible] الدليل على ذلك عند كل أحد تقرير الله الخلق اقرار [illegible] خلق السموات والارض وسخر [illegible] فى قوله عز وجل قل هل من شركائكم [illegible] أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم [illegible] الخلق [illegible] المخلوق أو هو

والجمهور يقولون الخالق غير المخلوق والفعل غير المفعول اذ الخلق مصدر والمخلوق هو المفعول
والمصدر مغاير للمفعول لا نفسه وهذا قول جمهور الصوفية وأهل الحديث بل كلهم ولأصحاب
مالك والشافعي وأحمد في ذلك قولان الذي عليه أئمتهم أن الخلق غير المخلوق وهو أيضا قول أكثر
أهل الكلام وهو الذي حكاه البغوي عن أهل السنة (و[illegible] وانه قديم متصف بالعلم والقدرة
وسائر صفات الكمال والجلال منزه عن سمات النقص) فقوله تعالى قديم أزلي فان كل أزلي
قديم ولا عكس فهو لا أول له ولا بداية ولا آخر ولا نهاية لم يزل ولا يزال متصف بصفاته العليا
وأسمائه الحسنى وهو واحد لا شريك له [illegible] ولا يتجزأ [illegible] صمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا يشبه مخلوقاته ولا مثل له في ذاته ولا صفاته ولا في
أفعاله حي موجود لم يزل ولا يزال [illegible] وهو عالم تعالى بعلم واحد قديم باق ذاتي
محيط بكل معلوم كلي أو جزئي على ما هو عليه ولا يتجدد علمه تعالى بتجدد المعلومات ولا يتعدد بتعددها
ليس بضروري ولا كسبي ولا نظري ولا استدلالي ومتصف بالقدرة فهو على كل شئ قدير وقدرته
واحدة وجودية قديمة قائمة بذاته متعلقة بكل ممكن فلم يوجد شئ الا بها لأن الفعل صفة وانه قادر
عليه لا يمنعه منه مانع وقد خلق المخلوقات فوجدت بأمره الذي هو الخلق بقدرة الله تعالى والقدرة
على خلق المخلوق هي القدرة على الفعل قال تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على
أن يخلق مثلهم بلى وقوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى وقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن
نقول له كن فيكون وقوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية ونحو ذلك مما فيه
وصف الله بالقدرة على الأفعال [illegible] والتأويلات وفيه بيان أن خلق ليس هو المخلوق لأن نفس
خلقه السموات والأرض غير السموات والأرض ومتصف سبحانه بسائر صفات الكمال والجلال
فهو تعالى مريد بارادة وجودية قديمة باقية [illegible] وهو تعالى حي بحياة واحدة وجودية
قديمة ذاتية وهو تعالى سميع بسمع بصير ببصر [illegible] متعلقين بكل مسموع ومبصر
وهو تعالى قائل ومتكلم بكلام قديم ذاتي [illegible] غير مخلوق ولا محدث [illegible] ولا تشبيه ولا تمثيل
ولا تكييف [illegible] من [illegible]
محدث [illegible]
تذكير [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] (قص) [illegible]
لا تحله الحوادث ولا [illegible] في كل مكان
[illegible] عرشه [illegible] بكيف [illegible]
[illegible] الله تعالى كان ولا مكان [illegible]
يعرف بالحواس ولا [illegible]
وهو الغني عن كل شئ [illegible]
تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة [illegible]
[illegible]
[illegible]

وخلود الكفار في النار ﴿ فنقول هذا مما أجمع عليه المسلمون قاطبة وعلم من الدين ضرورة أن إعادة الأجسام على هيئتها قبل الموت مبعوثة ثم مجازاة ومحاسبة فهذا حق واجب الإيمان به قال تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جدا منها حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه فالمؤمن على إيمانه والكافر على كفره وكذا حديث جبريل حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ومنه الإيمان باليوم الآخر والمجازاة على فعل الخير والشر قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والمحاسبة على ما مضى من جميع الأعمال حق قال تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فأما من أوتي كتابه بيمينه الآية وقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وحديث من نوقش الحساب عذب رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها فيحاسب المسلمون المكلفون إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤول ويسأل الله من شاء من الرسل عن الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل فالكفار لا يحاسبون ولا توزن صحائفهم قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وإن فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو عمل حسن وفي له في حياته الدنيا وليس له في الآخرة جزاء عمل لكن نرجو أن يخفف عنه من عذاب معاصيه لحديث ثويبة حين أعتقها أبو طالب وكذا الصراط وهو جسر ممدود على ظهر جهنم مدحضة مزلة أحد من السيف وأدق من الشعر وأحر من الجمر عليه خطاطيف تأخذ الأقدام وعبوره بقدر الأعمال مشاة وركبانا وزحفا ويرد عليه المسلم والكافر فيجوزه المؤمن كالبرق والريح وأجاويد الخيل والركاب والمشاة فناج مسلم ومخدوش ومكردس في النار وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى وصفة الصراط أنه سبع جسور ويحاسب العبد في أولها على الإيمان فإن سلم إيمانه من النفاق والرياء والشك والعجب نجا ولا تردى في النار وفي الثانية عن الصلاة فإن أداها مكملا شروطها وأركانها وواجباتها نجا وإلا تردى في النار وفي الثالثة عن الزكاة فإن أداها تامة بطيب نفس نجا وإلا تردى في النار وفي الرابعة عن الصيام فإن أداه تاما نجا وإلا تردى في النار وفي الخامسة عن الحج والعمرة فإن أداهما تامين بشرائطهما وأركانهما نجا وإلا تردى في النار وفي السادسة عن الوضوء والغسل من الجنابة فإن أداهما تامين نجا وإلا تردى في النار وفي السابعة عن بر الوالدين وصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تم نجا وإلا تردى في النار * وكذا الميزان الذي توزن به الأعمال من الحسنات والسيئات وفيه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فهو حق وله لسان وكفتان توزن بهما صحائف الأعمال قال ابن عباس رضي الله عنهما توزن الحسنات في أحسن صورة وتوزن السيئات في أقبح صورة وكذا خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن فعن أبي سلمة وهو ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد
الا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب
وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فلما خلق النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر
اليها ثم جاء فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر
اليها فذهب فنظر اليها فقال اى رب وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى أحد الا دخلها رواه أبو داود
والترمذى والنسائى قال الترمذى حسن صحيح * وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أنس بن مالك
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وأخرجه أيضا فى صحيحه من حديث الاعرج عن أبى هريرة وقد ذكر بعضهم أن هذا من بديع
الكلام وجوامعه الذى أوتيه صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن و [illegible] الشئ [illegible]
خبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يوصل الى الجنة الا بتخطى المكاره وكذلك النار لا يوصل اليها الا بتخطى
الشهوات وما تميل اليه النفوس وأن اتباع الشهوات يلقى فى النار ويدخلها وانه لا يعصمه الا من
تجنب الشهوات فى هذا الحديث حث على اجتنابها وعن سهل بن حوشب أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وعن أبى سعيد الخدرى مرفوعا أن أهل الجنة
يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب
لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعن البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم [illegible] مات
ابراهيم ان له مرضعا فى الجنة وعن أبى هريرة مرفوعا اشتكت النار الى ربها فقالت رب أكل بعضى
بعضا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون
من الزمهرير وعنه أيضا مرفوعا ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله ان
كانت لكافية قال لقد فضلت عليها بتسعة وتسعين جزأ كلهن مثل حرها وحديث أبى هريرة رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن أبى قال من
أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى أخرجه [illegible] فى صحيحه وخلود أهل الجنة فيها وخلود
أهل النار فى النار قال عز من قائل فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها قال ابن
عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق [illegible]
خمار والشهيق آخره [illegible]
فيها أى مقيمين ما دامت السموات والارض [illegible] وأرضها
وكل ما علاك وأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدماك فهو أرض [illegible] فى
هذا خبر دال على التأبيد [illegible] الا ما شاء ربك [illegible] ما دامت
السموات والارض [illegible] الا ما شاء
ربك فقال بعضهم هو فى الاول [illegible] يخرج من النار [illegible]
الجنة [illegible]
أنس بن مالك رضى الله عنه وعمران بن حصين [illegible] سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ليصيبن أقواما سفع من نار [illegible] ثم يدخلهم الله الجنة بفضله

وجنته يقال لهم الجهنميون وأما حديث ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم بإذن الله فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميين * وما وإن كان وضعها لما لا يعقل غالبا فهي هنا للوقت ولكن لما كان الكلام عن حال من يعقل صار لها مناسبة فيه وقال بعضهم الا بمعنى سوى أي خالدين فيها هذا القدر سوى ماشاء الله من الزيادة عليه وقيل الا بمعنى الواو أي وماشاء ربك كقولهم لعمر أبيك الا الفرقدان * أي والفرقدان وأما معناه في الثاني وهو قوله وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك فهو استثناء متصل أدلا يخرج من الجنة بعد دخولها أحد ومعناه يرجع لمدة لبث هؤلاء المستثنين في النار قبل دخولهم الجنة * وقيل ماشاء ربك من الفريقين من تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث قبل مصيرهم الى الجنة والنار يعني هم خالدون في الجنة والنار الا هذا المقدار * ولذلك قال الضحاك عند قوله الا ماشاء ربك أي الا ما مكثوا في النار حتى دخلوا الجنة فهو مراد الفريقين وظاهر اللفظ يأباه وقال قتادة الله أعلم بثنياه والحاصل انه يجب علينا اعتقاد ان المؤمن يخلد في الجنة وان الكافر يخلد في النار وان كلا لا يخرج عن محله بعد ان يدخله وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه فمعناه عند أهل السنة ان ثبت أن لا يبقى فيها أحد من أهل التوحيد والايمان * فاما مواضع الكفار فممتلئة منهم ومعنى قوله تعالى لابثين فيها أحقابا واحدها حقب وهو ثمانون سنة قال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلثمائة وستون يوما مقدار اليوم ألف سنة من أيام الدنيا وقال الحسن لم يجعل الله لاهل النار مدة بل قال أحقابا والله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر هكذا أبدا وقد بشر الله أهل الجنة بدوام لبثهم فيها قال عطاء غير مجذوذ وقال في الآية الاخرى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴿وأما قولكم ويجوز العفو عن المذنبين﴾ فنقول أجمع أهل السنة على ان المسلم لا يكفر بذنب فكل من لم يأت بما يقتضي الخروج عن الملة يجوز العفو عنه ويدخل تحت مشيئته تعالى ان شاء غفر له بفضله وان شاء عاقبه بعدله مع عدم تخليده في النار كما نطق به القرآن والسنة قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم فسماهم مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وفي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا يشرب الخمر يقال له عبد الله فأتي به شاربا فلعنه رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وفي المسند للامام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيأ وديوان لا يترك منه شيأ وديوان لا يغفره الله فاما الديوان الذي لا يغفره فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه وصلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز عنه ان شاء وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيأ فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة وأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك قال عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ثم ان كانت الذنوب صغيرة وضابطها ما أوجب تعزيرا فاقيل فهذا يغفر بالوضوء والصلاة والجمعة والصيام ما اجتنبت الكبائر

وان كانت كبيرة فان استحلت فهي كفر وضابطها ما أوجب حدا في الدنيا ووعيدا في الآخرة وان لم تستحل فان تاب قبل الغرغرة أو رؤية الملك قبلت التوبة مالم تطلع الشمس من مغربها وان لم يتب بان مات مصرا فأمره مفوض الى ربه ان شاء عاقبه وان شاء غفر له وفي صحيح مسلم من حديث المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بقرابها مغفرة وخرج الامام أحمد من رواية أخفش السدوسي قال دخلت على أنس رضي الله عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم غفرت لكم ﴿ وأما قولكم والشفاعة حق وبعثة الرسل بالمعجزات حق من آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴾ فنقول أما الشفاعة فقد قال أهل المعاني انها مأخوذة من الشفع المقابل للوتر فاستعملت في الشفيع باعتبارين الاول كونه شافعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الثاني كونه شافعا للمسؤول منه قضاء الحاجة في قضائها الذي لم تقتض الا بسبب شفاعته فكأنه شاركه وشفعه فيها * في الاول قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها * ومن الثاني قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية وقوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴿ ثم ان الشفاعة ﴾ من حيث هي قد افترق الناس فيها ثلاث فرق طرفان ووسط فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الامة قد أثبتوا الشفاعة التي نفاها الله وذلك انهم اتخذوا وسائط ووسائل من الخلق شفعاء لهم يسمونهم آلهة ومنه قول صاحب يس أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين لكن هؤلاء الباقون نفوا بألسنتهم اسم الاله عما سوى الله وأثبتوا معناه في معتقدهم وقولهم الذي يسمونه واسطتهم ووسيلتهم من الخلق في تفريج كربهم وكشف شدائدهم كما تكون الوسائط والوسائل بين السلطان ورعيته فشبهوا الخالق تعالى بالمخلوق وصريح القرآن من أوله الى آخره راد عليهم اذ السلاطين جاهلون أحوال الخلق الا بعينه ومفطن والله تعالى عالم يعلم ما في السموات وما في الارض كان له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء والملوك عاجزون عن تدبير الخلق الا بمعين ومظاهر والله تعالى هو المدبر للاشياء كلها وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا والملوك محتاجون الى محرك خارجي يحركهم بالموعظة ونحوها والله تعالى لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع بل هو الخالق للسبب والمسبب وليس في الاسباب ما هو مستقل بل هي جميعها من الله وحده لا شريك له لا قيام لها الا بمشيئته وقدرته فلا حول وهي الحركة والتحول من حال الى حال ولا قوة على ذلك الحول الا به تعالى وسواء في ذلك الحول والقوة الموجود في

السموات والارض والآدميين والملائكة والجن وسائر الدواب وغيرها قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فليس لغيره ملك ولا شرك في ملك غيره ولا شريك له * وهذان الصنفان هما اللذان لهما ملك اما كامل واما مشاع ومن ليس له ملك فاما أن يكون عونا للمالك كالوكلاء والاجراء والغلمان والجند والاولياء واما أن يكون سائلا طالبا منه لانه اما أن ينفع المالك فيكون له عليه حق واما أن لا ينفع لكن يسأله فاخبر سبحانه انه ليس له من المخلوقات من ظهير وأما مسئلة الشفاعة فلم ينفها لكن أخبر انها لا تكون ولا تنفع الا لمن أذن له فالشفاعة بعد رضائه تعالى عن المشفوع فيه وهذا بخلاف الشفعاء المخلوقين فانهم قد يشفعون لمن لم يؤذن لهم في الشفاعة له وقبل استئذان المشفوع اليه وهكذا كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون وهذا يوجب انقطاع تعلق القلوب بغيره ولو كان ملكا أو نبيا فكيف بالمشايخ والعلماء والملوك فان غاية الراجي لهم المعتمد عليهم أن يقول هم يشفعون لي فقد أخبر سبحانه انه ما من شفيع الا من بعد اذنه وأنكر ان يشفع أحد الا باذنه وأخبر أن الشفاعة لا تنفع الا لمن أذن له ولهذا اذا جاء سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة الى ربه ورآه سجد وحمد بمحامد يفتحها عليه ولا يبتدئ بالشفاعة حتى يقال له أي محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع * وبهذا تتبين الشفاعة المنفية يوم القيامة كما قال جل ذكره واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله وذلك ان الانسان في الدنيا يحصل ما ينفعه تارة يكون بمعاوضة حسية وتارة معنوية والله تعالى خالق كل شئ وربه ومليكه فهو الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بخلاف الخلق فانهم محتاجون الى ظهير يظاهرهم ويعاونهم وهذه الوسائط في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك كما ليس له شريك في استحقاق العبادة بل هو المختص بها ولا تليق الا بجلاله وعظمته فلا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ولهذا حسم مادة الشفاعة عن كل أحد بغير اذن الاله فلا أحد يشفع عنده الا باذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما الا ان من شفع عند غيره بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب لانه أثر فيه بشفاعته لاسيما أن كانت من غير اذنه فجعله يفعل ما طلب منه والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه ولهذا قال عز من قائل قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون * وقال تعالى مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون والآيات في ذلك كثيرة جدا رادة على المشركين قولهم وعقيدتهم * وأما الخوارج والمعتزلة فقد أنكروا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته * بل أنكرت طائفة من أهل البدع والاهواء انتفاع الانسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه غير الواجب باصل الشرع عنه * وأنكروا الشفاعة من أصلها محتجين بقوله تعالى من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وبقوله ما للظالمين من

حميم ولا شفيع يطاع وغير ذلك * وأما سلف الأمة وخيارها وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم * ففي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيأ وروى حديث الشفاعة بطوله أنس بن مالك * وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه * قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون ثم ساق الحديث بطوله والشفاعة العظمى العامة هي المقام المحمود الذي جاء منكرا في الآية لعظم شأنه قال تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فأهل السنة والجماعة أثبتوا ما أثبت الله ورسوله ونفوا ما نفى الله ورسوله * (وكذلك بعثة الرسل بالمعجزات حق) قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقد جعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من الايمان وفسره به في حديث جبريل الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب والايمان المفسر والاعتقاد فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وفي رواية واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره * وقد ذكر الله في كتابه الايمان بهذه الأصول الخمسة في مواضع كقوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله * وقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين * وقال تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * والايمان بالرسل يلزم منه الايمان بجميع ما جاؤا به من الكتب والتوحيد ومعجزاتهم التي جعلها الله لهم علامة على صدقهم فيما يدعونه ويقولونه وما أخبروا به مما غاب عنا * وكذلك الملائكة والكتب والأنبياء والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به من صفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار * ومن كذب بشيء من ذلك بأن نفى ما أثبتوه أو أثبت ما نفوه فقد كذبهم وإن نطق بذكرهم بلسانه إذ الغرض من الايمان بهم تصديقهم في جميع ما أخبروا به * والايمان بجميع ما جاؤا به والعمل بمقتضى ذلك إذ لازم الايمان العمل فلا يكون بدونه ولا ينفك عنه * قال علماء السلف وأهل الحديث إن الايمان قول وعمل ونية وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الايمان * وحكى الإمام الشافعي اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وقد أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الايمان انكارا شديدا * وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري وابن أبي كثير وغيرهم قال الأوزاعي كان من مضى من السلف لا يعرفون الايمان إلا العمل * وقد دل على ذلك قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله أولئك هم المؤمنون حقا وقوله إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون * وسيأتي إن شاء الله تعالى بحث الايمان في محله بأتم من هذا * وبين الفرق بينه وبين الاسلام * والرسول عام يطلق على الملك والبشر * والنبي خاص لا يطلق إلا على البشر * وفي معالم التنزيل وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل

منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن منهم ثمانية عشر نبيا وأولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم ونوح وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم وأول الرسل نوح كما قال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده فذكر عدة من الرسل الذين أوحى اليهم وبدأ بذكر نوح لانه أول نبي من أنبياء الشريعة المرسل بها وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك الله أهل الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له سن ولم تشب له شعرة ولم ينقص له قوة ولم يصبر على أذى قومه أحد ما صبر هو على طول عمره * وأما آدم صلى الله عليه وسلم فهو نبي لا رسول الى أمة وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بالنص والاجماع والنبي من أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول هو المأمور بالتبليغ وفي العمدة لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن يؤيده قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى * وفي ربيع الابرار للزمخشري عن فرقد السبخي لم يبعث نبي قط من مصر من الامصار وانما بعثوا من القرى لان أهل الامصار أهل السواد والريف وأهل القرى أرق * وعن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله من أول الانبياء قال آدم قال قلت من أول الرسل قال نوح ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط وخاط ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر وأول أنبياء بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى * قلت كم أنزل الله من كتاب قال مائة صحيفة وأربعة كتب على شيث خمسين صحيفة وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والزبور والانجيل والفرقان ولم يذكر آدم ﴿ وأما قولكم وكذلك أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة وأهل بدر من أهل الجنة ﴾ فنقول اما الشجرة فهي شجرة كانت في الحديبية وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع شجرة توهموا انها الشجرة التي بويع الصحابة تحتها بيعة الرضوان لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها كأنها المسجد الحرام أو مسجد المدينة * وأما الصحابة المبايعون رضي الله عنهم فكان عددهم ألفا وأربعمائة وقيل وسبعمائة وقيل وثلاثمائة وقيل وستمائة وقيل وخمسمائة وعشرين وقد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم تحتها على أن لا يفروا من قريش وأن يناجزوهم وذلك في قول بعضهم

على الموت بايعت الرسول قتالا * فاما النصر واما الموت للاوزار

وكان سبب البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا عام الحديبية وأرسل خراش بن أمية الخزاعي لقريش يعلمهم بمجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له وحمل على جمل يقال له الثعلب فعقروا به الجمل وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل لهم عثمان ابن عفان مخبرا بمجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاره أبان بن سعيد بن العاص حتى اذا بلغ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ثم حبسوه عندهم فشاع في الناس ان عثمان قتل ولم يبرح رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكان الذي بلغه فيه الخبر حتى بايع أصحابه * ثم أتاه الخبر ان عثمان رضي الله عنه لم يقتل وأنزل الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية * وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها قال النووي في شرحه قال العلماء معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا كما صرح به

في الحديث الذي قبله حديث حاطب بن أبي بلتعة وإنما قال ان شاء الله للتبرك وأهل بدر عددهم
ثلاثمائة وثلاثة عشر * وقد قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لعمر بن الخطاب وما يدريك لعل الله اطلع
على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الحديث في مسلم قال النووي قال العلماء معناه
الغفران لهم في الآخرة والا فلو توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا ونقل القاضي
عياض الاجماع على اقامة الحد وأقامه عمر رضي الله عنه على بعضهم قال وضرب النبي صلى الله عليه
وسلم مسطح الحد وكان بدريا وهم فضل الصحابة بعد العشرة {وأما قولكم الامام يجب نصبه على
المكلفين} فنقول هذا الحد وهو ان نصبه فرض كفاية وحده شرعا ما اذا قام به من يكفي سقط عن
الباقين فهو مباين للواجب لغة مرادف له شرعا الا ان الواجب وضعه على الاعيان والكفاية على العموم
* وقالت الحنفية الكفاية آكد من الواجب لان حده ما ثبت بدليل قطعي والواجب ما ثبت بدليل
ظني وهو رواية عن أحمد وحد الواجب من حيث هو ما عوقب تاركه أو توعد بالعقاب على تركه
* فنصب الامام فرض كفاية يخاطب به طائفتان من الناس احداهما أهل الاجتهاد حتى يختاروا
الاصلح * الثانية من توجد فيه شرائط الامامة حتى ينتصب أحدهم لها ويعتبر في أهل الاختيار ثلاثة
شروط * أحدها العدالة * الثاني العلم المتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة * الثالث ان يكونوا
من أهل الرأي والتدبير المؤديين الى اختيار من هو الأصلح للامامة * ويشترط فيه الحرية والذكورة
والعدالة والعلم بالاحكام الشرعية والكفاية في أمر المسلمين وسياستهم واقامة الحدود ولا تلحقه رأفة
في ذلك ويجبر شخص متعين لها وهو وكيل المسلمين فيما لهم وما عليهم ويثبت نصبه باجماع أهل
الحل والعقد وبنص امام قبله على من بعده لان أبا بكر رضي الله عنه عهد الى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ولم يحتج في ذلك الى أحد ويثبت باجتهاد كفعل عمر وجعله الامر شورى بين ستة من الصحابة
ويثبت بقهر كما لو تنازع الامامة عدد يصلح كل منهم لها وقهر أحدهم من سواه فانه تثبت له الامامة
وتلزم الرعية طاعته لما في الخروج على من ثبتت امامته بالقهر من شق عصى المسلمين واراقة دمائهم
وذهاب أموالهم والخارج قد دخل في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم من خرج على أمتي وهم
جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان * وقريش ان وجدوا وتوفرت فيهم الشروط المذكورة
أحق لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها أخرجه
الحاكم من حديث علي بن أبي طالب وله شواهد أخرجه صلى الله عليه وسلم والمراد بالفجار الفسقة
المسلمون وانما نصب الامام لان بالناس اليه حاجة لحماية بيضة المسلمين والذب عنهم واقامة
الحدود واستيفاء الحقوق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي نصب الامام مصالح الدنيا والآخرة
وسعادة المسلمين في الدنيا ونظم مصالحهم في معايشهم وما يستعينون به على اظهار دينهم وطاعة ربهم
كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان الناس لا يصلحهم الا امام برا كان أو فاجرا يعبد المؤمن ربه
* وقال الحسن في الامراء انهم يلون من أمورنا خمسا الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود
والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون * ويحرم مشاقة
الامام والخروج عن طاعته فيما ليس بمعصية فأخرج الخلال في كتاب الامارة من حديث أبي امامة
قال أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه حين صلوا العشاء احشدوا فان لي اليكم حاجة فلما فرغوا
من صلاة الصبح قال فهل حشدتم كما أمرتكم قالوا نعم قال اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا هل عقلتم هذه

ثلاث مرات قلنا نعم قال أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة هل عقلتم هذه ثلاث مرات قلنا نعم قال اسمعوا وأطيعوا هل عقلتم هذه ثلاث مرات قلنا نعم قال فكنا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم كلاما طويلا ثم نظرنا في كلامه فاذا هو قد جمع لنا الامر كله * فبالسمع والطاعة وصى النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع فأخرج الامام أحمد والترمذي من رواية أم الحصين الاحمسية رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فسمعته يقول يا أيها الناس اتقوا الله وان أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله * وأخرج الامام أحمد والترمذي أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم وفي رواية أخرى يا أيها الناس انه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم * وذكر الحديث بمعناه وفي المسند للامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لقي الله لا يشرك به شيأ وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة أو دخل الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة متفق عليه ﴿وأما قولكم والامام الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر﴾ فنقول قد روى مسلم في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سئلت عمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل لها من بعد أبي بكر قالت عمر ثم قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة ابن الجراح ثم انتهت الى هذا يعني وقفت على أبي عبيدة وفيه أيضا عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ادعي لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول انا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر ففي الحديث الأول دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر ثم عمر للخلافة مع اجماع الصحابة وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم على خلافته صريحا بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الانصار وغيرهم أولا ولذكر حافظ النص ما معه ولرجعوا اليه لكن تنازعوا أولا ولم يكن هناك نص * ثم اتفقوا على أبي بكر واستقر الامر وما تدعيه الشيعة من النص على علي والوصية اليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين والاتفاق على بطلان دعواهم في زمن علي * وأول من كذبهم في شأن علي رضي الله عنه قوله ما عندنا الا ما في هذه الصحيفة الحديث ولو كان عنده نص لذكره ولم ينقل انه ذكره في يوم من الايام ولا أن أحدا ذكره له * وفي الحديث الثاني دلالة ظاهرة لأهل السنة بفضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واخبار منه صلى الله عليه وسلم بما سيقع في المستقبل بعد وفاته وبان المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره وفيه اشارة الى انه سيقع نزاع ووقع كل ذلك وقد عجز النبي صلى الله عليه وسلم عن حضور الجماعة فاستخلف الصديق غير مرة بل مرات متعددة وتقديمه في الامامة الصغرى دليل على تقديمه في الكبرى * وقد قيل لعلي كرم الله وجهه عن ذلك فقال قد كنت أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج وشعري قد ملأ وجهي فلا مرة من المرات اذا تخلف قال لي صل بالناس بل يقول مروا أبا بكر فليصل بالناس فرجل رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا * وخلافة عمر رضي الله عنه

ثنتين سنتين من أبي بكر ﴿ثم عثمان بن عفان﴾ رضي الله تعالى عنه وكان نصبه باجتهاد من الصحابة واتفاق من ذوي الشورى الذين عهد اليهم عمر رضي الله عنه في المشاورة في أمر الامامة وقد رضي علي به وله واطمأنت نفسه فلم يخالف ولم ينازع ﴿ثم علي﴾ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد خلافة عثمان ﴿والافضلية بهذا الترتيب﴾ قال الامام أبو عبد الله المازري رحمه الله تعالى اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض فقالت فرقة لا يفاضل بل يمسك عن ذلك * وقال الجمهور بالتفضيل * ثم اختلفوا فقال أهل السنة والجماعة أفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقالت الخطابية أفضلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالت الراوندية أفضلهم العباس رضي الله عنه * وقالت الشيعة علي رضي الله عنه واتفق أهل السنة على ان أفضلهم أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما * وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان والصحيح المشهور تقديم عثمان رضي الله عنه * قال أبو منصور البغدادي أصحابنا مجمعون على ان أفضلهم الخلفاء الراشدون الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان وممن له مزية أهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان وفي قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر * وذهبت طائفة منهم ابن عبد البر الى ان من توفي من الصحابة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ممن بقي بعده * وهذا القول غير مرضي ولا مقبول * واختلف العلماء في ان تفضيل المذكور قطعي أم لا وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة بعد الاتفاق على ان جميعهم في الجنة بالنص القطعي من النبي صلى الله عليه وسلم * وممن قال انه قطعي أبو الحسن الاشعري قال وهم في الفضل على ترتيبهم في حديث العشرة والامامة * وممن قال انه اجتهادي ظني أبو بكر بن الباقلاني * وذكر ابن الباقلاني اختلاف العلماء في ان الفضل هل هو في الظاهر أم في الظاهر والباطن جميعا * وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة رضي الله عنهما أيتهما أفضل * وفي عائشة وفاطمة رضي الله عنهن أجمعين * وحقيقة القول فيه ان عائشة أفضل من جهة العلم وفاطمة أفضل من جهة الذات فانها بضعة من أفضل الخلق * فاما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالاجماع وقتل مظلوما وقتلته الفسقة لان موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه ما يقتضيه ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة وانما قتله همج من الناس ورعاع في غوغاء القبائل وسفلة الاطراف والاراذل تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالاجماع * وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره * وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضي الله عنهم * وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها القائمة في ذهنها وكلهم عدول رضي الله عنهم * ومتأولون في حروبهم وغيرها ولا يخرج شيء من ذلك أحدا منهم عن العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ﴿واعلم﴾ ان سبب تلك الحروب ان القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام ﴿قسم﴾ ظهر لهم الاجتهاد ان الحق في هذا الطرف * وان مخالفهم باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن

مساعدة امام العدل في قتال البغاة في اعتقادهم ﴿وقسم﴾ عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد ان الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه ﴿وقسم ثالث﴾ اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أي الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حق هؤلاء لانه لا رجحان ولا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر انه مستحق لذلك ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وانه الحق لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه فكلهم عدول رضي الله عنهم ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الاجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين ﴿وأما قولكم ولا نكفر أحدا من أهل القبلة الا بما فيه نفي للصانع القادر العليم أو شرك العليم أو انكار ما علم مجيئه صلى الله عليه وسلم به ضرورة أو انكار لمجمع عليه كاستحلال المحرمات التي أجمع على حرمتها﴾ فنقول أهل القبلة هم الموحدون الله تعالى في عبادته ومعاملته كما أمرهم بجعلهم الدين الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه كله لله وحده لا شريك له فهم فيه لله مستسلمون ومنقادون ولما أحل الله ورسوله محلون ولما حرم الله على لسان رسوله محرمون وعما ينافي الاسلام تاركون قال سبحانه وتعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فاذا شهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله فقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الخلق وقتالهم حتى يقولوا هذه الكلمة الطيبة ويتركوا المنافي لها من الاشراك بالله فلا تتأله قلوبهم غيره تعالى وحتى يؤدوا حقها ومنها ان يصلوا الصلاة المفروضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى امته المضافة الى الموصوفين بهم باتباعه وهي لا تضاف اليهم الا أن تكون طيبة أي صالحة بصلاح شروطها واركانها وواجباتها اذ الطيب لا يقبل الا الطيبات وان يؤدوا الحق الواجب في أموالهم وأن يستقبلوا قبلتهم وأن يأكلوا ذبيحتهم وهذه الاضافة في الصلاة والقبلة والذبيحة للتشريف شرف الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف ملته الحنيفية ودينها الاسلام فجعل منه تلك الصلاة التي فيها كمال العبودية والتواضع لله تبارك وتعالى وجعل منه هذه القبلة المشرفة وهي قبلتهم في الصلاة وغيرها أحياء وأمواتا وأحل ذبيحتهم وجعل أكلها علامة الايمان وذلك لتشريفهم وتشريف ملتهم ودينهم وهديهم والمستوجبون لذلك معصومة دماؤهم وأموالهم لاتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم في دينه وملته فليس أهل القبلة الا من عمل بمعنى الشهادتين اللذين هما رأس دين الاسلام وملته وقوامه وصحته شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قولا وعملا واعتقادا فان الشهادة لله بانه لا اله الا هو تتضمن اخلاص الالوهية له سبحانه وتعالى فلا يتأله القلب ولا اللسان غيره تعالى لا بحب ولا خشية ولا انابة ولا توكل ولا رجاء ولا اجلال ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد ان يكون الدين كله لله كما قال عز من قائل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فاذا جعل بعض الدين قولا وعملا واعتقادا لله وبعضه كذلك لغيره لم يكن الدين

كله لله بل قد تأله معه غيره فأهل القبلة يحبون الله والمشركون يحبون مع الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وأهل القبلة يخلصون الدعوة لله والمشركون يجعلونها لغير الله كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال والشهادة بأن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه صلى الله عليه وسلم في جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه في كل ما أتى وأمر به فما أثبته وجب اثباته وما نفاه وجب نفيه وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وروى أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول جاءت الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان قالوا فالدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس أي مميز بين مؤمنهم وكافرهم فأهل القبلة هم أهل الاسلام وهو الاستسلام والانقياد لله وحده وترك جميع الآلهة سواه وهذا هو تحقيق معنى لا اله الا الله وحده لا شريك له واخلاصها له فمن استسلم وانقاد لله ولغيره في معناها فهو مشرك والله لا يغفر ان يشرك به فلفظ الاسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الاخلاص أخذا من قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فأهل القبلة هم العابدون الله بدين الحق المتبع لا بهوى النفوس والبدع ﴿فمن الاول﴾ قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص يعني من الشرك وما سواه من الاديان فليس بدين الله المأمور به بل هو عين ما نهى الله عنه قال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله والقيام بمعناها وحقوقها ﴿ومن الثاني﴾ اتخذوا من دونه شفعاء يعتقدون بهم ويتقربون بشفاعتهم كما قال عز من قائل والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعني ليشفعوا لنا الى الله وذلك التقرب هو الشفاعة في قول المفسرين والزلفى القربى اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال الا ليقربنا الى الله تقريبا ﴿ومعنى العبادة﴾ في اللغة الذل والانقياد كما قاله أهل المعاني ﴿وأما معناها﴾ حقيقة فهي ما كان مختصا لله لانها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ولذلك توعد سبحانه هؤلاء الذين جعلوا حقه لغيره بقوله تعالى ان الله يحكم بينهم يوم القيامة يعني بين المتفرقين من أهل الاديان فيما هم فيه يختلفون من أمر الدين كل يقول الحق ديني فهم مختلفون وحكم الله بينهم ان يخلد في النار من لم يتبع كتاب الله بل نبذه ورغب عنه باتباع هواه ولا يتدين بدين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم أخبر تعالى انه لا يهديهم الى طريق الهداة فقال ان الله لا يهدي من هو كاذب في زعمه ان معتقده يشفع له كفار في اتخاذه أولياء من دون الله أو عبده ليشفعوا له ويقربوه فالدين المأمور بالاقامة عليه واحد وهو دين الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة الانبياء لم يختلفوا في أصله كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم فيما صح عنه انا معاشر الانبياء ديننا واحد الانبياء اخوة لعلات وانما تنوعت شرائعهم فيه كتنويع القبلة في وقتين فانه قد كان في وقت يجب استقبال الصخرة التي في بيت المقدس في الصلاة وذلك بعد هجرته صلى الله عليه وسلم فصلى اليها بضعة عشر شهرا ثم بعد ذلك وجب استقبال الكعبة فهذا التنوع الذي قد كان بين الانبياء لا يوجب اختلاف الملة وانما يوجبه من لم يفرق بين عبادة الرحمن وعبادة الشيطان قال سبحانه وتعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة أي هذه ملتكم دينكم الاسلام ملة واحدة فلا تتفرقوا عنها وأنا ربكم أي معبودكم الذي خلقتكم وأمرتكم بعبادتي واخلاصها لي وحدي فاتقون لا تشركوا بي شيأ بل احذروا عقابي خطاب لهم وقصد لغيرهم وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون فاهل القبلة لله مخلصون وفي الدين متفقون وأهل الاشراك عن الحق معرضون وهم متفرقون قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فاهل الرحمة هم أهل القبلة لانهم فيما شرع الله متفقون وفيه مجتمعون وعليه واقفون وبه آخذون فهم فيما أمرهم الله ورسوله به عاملون وعلى ما رضي الله ورسوله مقتصرون وعما لم يشرعه الله مضادون وأما من نبذ القرآن وراءه ولم يعمل بما أنزل لاجله فليس من أهل القبلة بل من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وان تلاه بلسانه تلاوة وهو يتدين بشرك كما يتدين به الاولون وتنسك به المضادون ومجرد تلاوة القرآن بلا عمل فيما هو الموجب لانزاله من التوحيد لاله كل العبيد والانحياز عن منافيه من الشرك الذي لا يغفره الا بالتوبة منه والتجرد لا تخرجه تلك التلاوة عن ملة الاولين قال سبحانه وتعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولهذا يوحد ما أحدث من الشرك والبدع قد تعرق فيه أهله فكان لكل قوم منهم معتقد يعتقدون فيه دفع الضر وجلب الخير يهتفون باسمه عند نزول الشدة نائيا كان المعتقد أو ميتا فكل منهم يدعو معتقده ليكشف عنه شدته ويفرج كربته ويجلي غمه فالموحدون لله وحده لا شريك له العاكفون على توحيده من اخلاص الدعوة له هم أهل القبلة قال تعالى ألا لله الدين الخالص وضدهم هؤلاء المشركون العاكفون على ما يرجونه ويخافونه من دون الله ويتخذونه من تلك المعتقدات في الاحياء الغائبين والاموات يشركون به في عبادة الله ومعاملته فيرجونه بفرج كربتهم ويكشف شدتهم راغبين راهبين منيبين اليه متوكلين عليه أولئك شافعا لهم عند الله في قضاء مطالبهم فقد عطلوا توحيد الله تبارك وتعالى في ألوهيته وصمديته باشراكهم معه في عبادته ومعاملته وبجعلهم الدين لغيره ونفي الصانع القادر لم يقل به أحد من المشركين الذين كفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم فان المشركين الاولين لم يكن أحد منهم يقول ان العالم له خالقان بل ولا يقولون ان الله له اله يساويه في صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل كانوا مقرين بان خالق السموات والارض واحد كما أخبر الله عنهم في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون

لله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وقوله قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله وكانوا يقولون في تلبيتهم لاشريك لك الاشريك هو لك تملكه وماملك كما يقوله هؤلاء المشركون الذين لمشا كلهم مقتفون ان هؤلاء الذين اعتقدناهم ودعوناهم ورجوناهم وسألناهم وسائطنا الى الله فانه فوض اليهم وأعطاهم فلهم مايشاؤن ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ومنهم من يصرح بقوله وهم في الكون يتصرفون فو خدمهم الله تعالى وذمهم ولامهم وضرب لهم الامثال في ذلك فقال عز من قائل ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم الآية ولكن تتأله قلوبهم وألسنتهم امانبيا أو وليا أو ملكا أو غيرهم مما يصورونه على صورة أحد هؤلاء يتخذونه واسطة تقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم كما قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وقال تعالى ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الامن شهد بالحق وهم يعلمون فقد قطع الله تعالى بهذه الآيات جميع الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا قطعا يعلم من تأمله ويحقق من تدبره ان من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت قال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون فمن استمسك بغير الله في حال شدته وكربه وعمه فدعاه ورجاه مالا يقدر عليه الا الله فليس في يده ممن استمسك به سواه تعالى الا كمن يستمسك بيت العنكبوت وانه لايجدى عنه شيأ ولو علم المستمسك هذا الحال لما اتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا وهذا بخلاف أهل القبلة فانهم لله مخلصون وله في العمل مستسلمون ومحسنون وفي اتباع ماجاء من الله على لسان رسوله منقادون وبالله معتصمون وبالعروة الوثقى مستمسكون وهي العقد الوثيق المحكم في الدين التي لاانفصام لها لقوتها وثباتها وهي الكلمة الطيبة لا اله الا الله قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى والطاغوت كل باطل ليس من الدين وكل ماطغى من شيطان جني أو انسي وكل عبادة ليست لله فهي باطلة فالمشرك انما يتخذ أحدا غير الله لما يحصل له في زعمه من النفع وهو لا يكون الافيمن كانت فيه خصلة من أربع اما ان يكون مالكا لما يريد منه فان لم يكن مالكا كان معينا فان لم يكن كان ظهيرا فان لم يكن كان شفيعا فنفى سبحانه وتعالى هذه المراتب الاربع نفيا مرتبا منتقلا من الاعلى الى الادنى فنفى الملك عن غيره والشركة والمظاهرة والشفاعة التي لاجلها وقعت المخالفة والعداوة والمخاصمة وأثبت سبحانه شفاعة لانصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه لمن رضي عنه في قوله سبحانه وتعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له الآية واعاد كر ذلك تعالى لانهم دعوا الملائكة دعاء عبادة لشفاعتهم لهم قاله المفسرون فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك وكافية لمن عقلها على ان القرآن مملوء بامثالها ونظائرها ولكن الغفلة والجهل هما المؤديان الى وهم قصوراهم على السبب فالامر كما قال عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ولم يميز بين ما عابه القرآن وذمه وبين ما أنزل لاحله ودعا اليه فصوب المستقبح وحسنه وهو لا يعرف حقيقة وصفه وانه الذى كان عليه الجاهلية أو نظيره أو أسوأ منه أو دونه فتنقض عرى الاسلام بذلك ويعود المنكر معروفا والمعروف منكرا والسنة بدعة والبدعة سنة وهذا بعينه مشاهد فانه قد آل الامر الى الشك بالشرك والتدين به فى اتخاذ الوسائل والوسائط من الاولياء والانبياء بل والشياطين من الجن والانس المعاندين والاشجار والغيران والقبور يدعونهم ويرجونهم ويتوكلون عليهم وينسكون النسك لهم راغبين اليهم راهبين منهم ويستدلون على جواز ما اعتقدوه وفعلوه بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة والى فعل الولايات لقبض النذور على الاموات لدفع ما حل من البلايا والمصيبات ويجعل للقادمين الى محل الميت الضيافات وتصرف بابه قبته النحائر من الانعام للتقرب اليه ورجاء ما لديه فهذا بعينه هو الذى كان عليه عباد الاصنام وقد أخرج الامام أحمد وأبو داود من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا عقر فى الاسلام قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر بقرة أوشاة وكل ما تقدم مما ذكرنا داخل فى معنى لا اله الا الله التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الخلق وقتالهم حتى يقولوها ويتركوا المنافى لها من الاشراك بالله قولا وعملا واعتقادا وأما حقها فقد جعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه فعل الصلاة وايتاء الزكاة منه ومن العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج * واستدلوا بحديث جبريل حين سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام فعد منه هذين الركنين فمن لم يقومهما مع القدرة عليهما مات بالاسلام اذ أركانه لا يقوم بعضها ولا ينوب عن بعض * واستدلوا أيضا بحديث أبى بكر حين بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس ويقول عمر لو ترك الناس الحج لقاتلناهم عليه وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليا يوم حنين فاعطاه الراية وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار على ما شاء الله ثم وقف فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس فقال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وفى رواية الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل فجعل من حقها الامتناع من الصلاة والزكاة مع الدخول فى الاسلام كما فهمه الصحابة رضى الله عنهم * ومما يدل على قتال الجماعة الممتنعين من اقام الصلاة وايتاء الزكاة قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم * وقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله * وقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا لم يغر حتى يصبح فان سمع مؤذنا والا أغار عليهم وكان يوصى سراياه اذا سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلوا أحدا قال العلماء معنى ذلك والمقصود فيه اذا أظهر قوم توحيد الله والقيام بشرائعه وجب الكف عنهم لان فعلهم ذلك دليل على اسلامهم ثم ان أظهروا منكرا من الشرع ولم ينتهوا عنه الا بقتال فللامام قتالهم كما لو تركوا فرض كفاية فيقاتلهم على تركه * ولذلك أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على أسامة ابن زيد قتل الرجل الذى أظهر الاسلام طانا أسامة أنه انما قال الشهادتين والسلام جونا وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست

مؤمنا الآية فانه لم يدع الاسلام قبل ذلك ثم انه قد قاله وصدر منه بلا وجود مناف له لا في معناه ولا فيما هو حق له ولهذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتثبت لذلك * وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه من محمد النبي الى أهل عمان وكان بعضهم يدعي الاسلام سلام عليكم أما بعد فاقروا بشهادة ان لا اله الا الله وأني رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد والا غزوتكم أخرجه البزار والطبراني وغيرهما فهذا يدل على انه كان يغير على الداخلين في الاسلام اذا لم يمتثلوا أمر الله ولم يقوموا بشرائعه فان أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وقاموا الشرائع كف عنهم الا يمتنع عن قتالهم وفي هذا وقع تناظر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه كفر من كفر من العرب فقاتلهم على الاسلام وقاتل أناسا يدعون الاسلام قد امتنعوا من أداء الزكاة قال عمر لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر رضي الله عنه لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه فقال له عمر رضي الله عنه فوالله ما رأيت الا أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق فابو بكر رضي الله عنه أخذ قتالهم بقوله صلى الله عليه وسلم الا بحقه ودل على ان قتال من أتى بالشهادتين ومنع حقهما جائز ومن حقهما اداء حق المال الواجب وعمر رضي الله عنه ظن أن مجرد الاتيان بالشهادتين يعصم الدم في الدنيا تمسكا بعموم ألفاظ وردت وليست حال الامر على ذلك ثم ان عمر رضي الله عنه رجع الى موافقة أبي بكر رضي الله عنهما وقد خرج النسائي قصة تواقف مناظرة أبي بكر وعمر بزيادة وهي ان أبا بكر قال لعمر رضي الله عنهما انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ليأتوا بذلك كله وخرجه ابن خزيمة في صحيحه وانما قال ابو بكر لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال اخذا والله أعلم من قوله الا بحقها وفي رواية الا بحق الاسلام فجعل من حق الاسلام فعل الصلاة وايتاء الزكاة كما ان من حقه أن لا يرتكب الحدود وجعل كل ذلك مما استثني من قوله الا بحقها وقوله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال يدل على ان من ترك الصلاة فانه يقاتل لانها حق البدن فكذلك من ترك الزكاة فانها حق المال وهذا فيه اشارة الى ان تارك الصلاة قتاله امر مجمع عليه لانه جعله أصلا مقيسا عليه الزكاة عقد اعليه وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر وانما أخذه من قوله الا بحقها فكذا الزكاة فانها من حقها وكل ذلك من حقوق الاسلام ويستدل أيضا على قتال تاركي الصلاة بما في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع فقالوا يا رسول الله الا نقاتلهم قال لا ما صلوا وحكم ترك سائر اركان الاسلام أو واحد منها ان يقاتلوا عليها كما يقاتلوا على ترك الصلاة والزكاة فروى ابن شهاب عن حنظلة عن علي بن الاسقع ان ابا بكر رضي الله عنه بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه وامره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة من الخمس قاتله عليها كما يقاتل على الخمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام وقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب لو ان الناس

تركوا الحج لقاتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة وهذا الكلام في قتال الطائفة الممتنعة
عن شيء من هذه الواجبات وأما قتل الواحد الممتنع فأكثر العلماء على أنه يقتل الممتنع من الصلاة
وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم ويدل على ذلك ما في الصحيحين عن
أبي سعيد الخدري أن خالد بن الوليد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل رجل فقال لعله
يكون مصليا فقال خالد فكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال إني لم أومر أن أنقب عن قلوب
الناس ولا أشق قلوبهم وفي مسند الإمام أحمد عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلا من الأنصار
حدثه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في قتل رجل من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم أليس يشهد أن لا إله إلا الله قال بلى ولا شهادة له قال أليس يصلي قال بلى ولا صلاة له قال أولئك
الذين نهاني الله عز وجل عن قتلهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم المانع من قتله كونه يصلي
فدل على أن من لم يصل يقتل ولهذا قال في الحديث الآخر نهيت عن قتل المصلين فدل على أن غير
المصلين لم ينهه الله عن قتلهم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى تارك الصلاة إذا كان واحدا يحبس حتى
يموت وتقاتل الجماعة وأما قتل الرجل الواحد الممتنع عن أداء الزكاة والصوم والحج مع القدرة
فعن أحمد والشافعي ومالك أنه يقتل تارك الزكاة وهي الرواية المشهورة عنهم ويستدلون بحديث
ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس الحديث وأما الصوم فقال أحمد ومالك في رواية عنه يقتل بتركه
واستدلا بما روى ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أن من ترك الشهادتين أو الصلاة أو الصوم
فهو كافر حلال الدم قال الشافعي في رواية عنه وأحمد في الرواية الأخرى لا يقتل الواحد بل يؤدبه
الإمام بالحبس والضرب على ما يرى حتى يصوم واستدلا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وغيره مما في
معناه فإنه ليس فيه ذكر الصوم ولهذا قال أحمد في رواية أبي طالب الصوم لم يجئ فيه شيء وهذا
والله أعلم قبل أن يثبت عنده حديث ابن عباس فقد رواه ابن الجوزجاني عن ابن عباس قال ولا
أحسبه إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس
الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم شهر رمضان من ترك منهن واحدة فهو بها كافر
حلال الدم ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد موقوفا ومختصرا ورواه سعيد بن زيد أخو حماد
عن ابن مالك بهذا الإسناد مرفوعا وقال من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وقد حل دمه وماله ولم يذكر ما بعده وأما الحج إذا تركه رجل واحد مع القدرة عليه فعن
أحمد في القتل بتركه روايتان وحمل بعض أصحابه رواية قتله على من أخره عازما على تركه بالكلية
أو أخره مع غلبة ظنه على موته في ذلك العام فأما من أخره معتقدا أنه على التراخي كما يقوله بعض العلماء فلا
قتل في ذلك وقد روي عن عمر رضي الله عنه ضرب الجزية على من لم يحج وقال ابن عيينة المرجئة يسمون
ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم وإن ترك الصلاة والزكاة خاصة كفر دون الصيام والحج وقال
قد روي عن عمر ضرب الجزية على من لم يحج وقال ليسوا بمسلمين ولا إله إلا الله مفتاح الجنة وحقها
أسنانه ولا مفتاح إلا بأسنان رواه البخاري عن وهب بن منبه ولفظه قال البخاري قيل لوهب بن منبه
أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح
لك وإلا لم يفتح لك وأما استحلال المحرمات المجمع على حرمتها أو بالعكس فهو كفر اعتقادي لأنه لا يجحد
تحليل ما أحل الله ورسوله أو تحريم ما حرم الله ورسوله إلا معاند للإسلام ممتنع من التزام الأحكام

غير قابل الكتاب والسنة واجماع الامة وذلك كالو جحد حل بهيمة الانعام أو غيرها مما أحله الله فى كتابه و رسوله اوفى سنته مما لم يجر فيه اختلاف بين الامة بخلاف حل النبيذ ونحوه من المسائل الاجتهادية المختلف فيها بين العلماء فلا تكفير بذلك او جحد امرا مجمعا عليه قال بعضهم اجماعا قطعيا لاشبهة فيه ولا تأويل ولذلك لم يحكم كثير من الفقهاء بكفر ابن ملجم قاتل أفضل الخلق فى وقته ولا بكفر مادحه عمران بن حطان حيث قال

يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وقد رد عليه فى ذلك فقيل

يا ضربة من شقى لم يزل أبدا * بها عليه اله الخلق غضبانا
انى لاعلم ان الله خاذله * أوفى البرية عند الله خسرانا

وكذا قد اختلف العلماء فى كفر الخوارج الذين قتلوا الموحدين وأخذوا أموالهم بالتأويل مثل قوم ذى الخويصرة التميمى فان من الفقهاء من لم يحكم بكفرهم لادعائهم وتأويلهم فى نصرة دين الله والاجتهاد فيه وفى اظهاره طالبين المصلحة فى ذلك ﴿وأما قولكم﴾ ثم الكفر كفران كفر اعتقاد وكفر عمل فكفر الاعتقاد حكمه قتل مرتكبه وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وهؤلاء الذين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى التوحيد ولا يدفع عنهم هذا الحكم و يعصمهم الا الاقرار والاعتراف منهم بالشهادتين و بكل ما علم بالضرورة مجيئه صلى الله عليه وسلم به ﴿فنقول﴾ الاعتقاد المكفر أقسام ﴿منها﴾ قدم العالم و بقاؤه والشك فى ذلك ﴿ومنها﴾ تناسخ الارواح وانتقالها من شخص فى شخص أبد الابد ﴿ومنها﴾ اثبات شريعة غير الشريعة المحمدية وان للشريعة باطنا لا يعلمه العلماء ولها ظاهر وهى خيالات يقولون بها ويعملون ﴿ومنها﴾ ان ظواهر الشريعة وأكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان و يكون فى الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خوطب بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم ﴿ومنها﴾ خلق القرآن ﴿ومنها﴾ التكذيب بالشفاعة التى أثبتها الله فى كتابه والصراط والميزان ﴿ومنها﴾ خيانة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام وان المبعوث أولا على بن أبى طالب أو ان عائشة لم يبرئها الله ﴿ومنها﴾ مجالسة الله تعالى لبعض خلقه فى الدنيا وحلوله فى الاشخاص ﴿ومنها﴾ تجويز الكذب على الانبياء أو تكذيبهم فيما أتوا به أو انهم كتموا منه شيأ ﴿ومنها﴾ القدح فى كلام الله من كونه سحرا أو شعرا أو منسوخا جملة ﴿ومنها﴾ نسبة الصاحبة والولد اليه سبحانه وتعالى ﴿ومنها﴾ اعتقاد الذين اتخذوا من دون الله أولياء لينصروهم و يشفعوا لهم و يقربوهم كالذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و الذين قال الله فيهم مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض الآية وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ الآيتين وقال تعالى و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية وكل هذه الفرق من أصحاب الاعتقادات المتقدمة كفار باجماع المسلمين والذين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم يدعوهم الى التوحيد فأبوا وامتنعوا فجاهدهم لكفرهم وعنادهم وانزل القرآن بسبب اعتقادهم لم يكونوا يعتقدوا فى معتقداتهم

كشف ضرأو جلب نفع بل انما قصدهم رضا رب العالمين والقرب اليه والتوسل لما الديه لكن ضرهم جهل الكيفية الموجبة لحسن الماهية التي يكون بها التعبد اجل مطلوب ومقربا الى المحبوب قال تعالى الا لله الدين الخالص وهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا اذا جاءتهم الشدة أخلصوا الدين لله وحده قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الآية والمتخذون وليا او نصيرا من دون الله أو معه من أهل هذا الزمان اعتقادهم أسوأ وأشد جناية ممن نزل القرآن بسبب اعتقادهم وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهادهم فان من تأمل أحوال هؤلاء المشركين الذين يرجون من معتقداتهم كشف الشدائد وتفريج الكربات ودفع المضار وقضاء المطالب والدعوات وتيسير الحاجات التي لا يقدر على كشفها وتفريجها ودفعها وجلبها الا الله رب العالمين من سلامة غائب وعافية مريض ورزق وتحصيل عقيم مع أحوال مشركي الأولين علم يقينا ان بينهم مباينة كلية في اعتقاد الضر والنفع ومجانسة حسية في اتخاذ تلك المعتقدات للشفاعة وقضاء الحاجات والأولون وان تفرق اعتقادهم وتنوع عما ينسبونه لله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا أجناسهم فليس وجود هذه الاجناس من الخبائث المتقدمة واجتماعها شرطا في اثبات حكم الله ورسوله من القتل والسبي وخلود النار وهذا لم يقل به عالم من العلماء بل وجود واحد منها كاف فانه لم يقل أحد بان الكفر الاعتقادي لا يحكم به على المعتقد الا ان اعتقد اجتماع الصاحبة والولد مع وجود معين يعاونه وظهير يظاهره وشريك يستحق معه وشفيع عنده بلا اذنه بل اتفق العلماء قاطبة على انه لو وجدت من ذلك خصلة لكفت في الحكم عليه الا ان الاولين اشد حذقهم ومعرفتهم معنى الاله وموضوعه فانه عندهم كل مألوه ومتأله أبت قلوبهم ان تنفر ما تألهته لتتقرب به الى الله وتنال بهم رضاه ونفي الاله غير الله باللسان مع العكوف عليه في الاعتقاد والجنان يدعوه ويرجوه ويتوكل عليه ويقصده ليتقرب بشفاعته اليه لا يوجب نفيه حقيقة والايمان بالقرآن قول باللسان واليوم الآخر بالجنان وفعل الصلاة والصوم وسائر الاعمال يشترط لصحتها وجود التوحيد والاسلام والشرك الاكبر في القول والعقيدة منافيا للشهادة برسالة المبعوث بالحجة البيضاء والعرفان وشهادة ان محمدا رسول الله لا تغني عن شهادة ان لا اله الا الله وهذه الشهادة لا تصح ولا تعصم مع التأله مع الله فهذا الاعتقاد حصلت المخاصمة والعداوة ولاجله حصل التمييز بين الفرقة الناجية والهالكة وشرع الجهاد لدحضه مع سائر الفساد فيعبد الله وحده وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ونحن لم نجاهد ونعاد ونوال الا في ذلك ولم يجر بيننا وبين الخلق اختلاف في سائر المحرمات ووجوب ازالتها في أصل الدين الذي هو منهاج المرسلين وصراط رب العالمين الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله فلا يكون لسواه ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون مع ازالة سائر الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها استحلال ما حرم الله كالفواحش ما ظهر منها وما بطن وأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق أو اثبات ما نفى الله أو نفي ما اثبت أو تحريم ما أحل الله كزينة التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وكمل أهل الجاهلية من البحر والسوائب معتقدا لحلها قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن

ولا أحد أحب اليه المدح منه فلذلك مدح نفسه وكما يكون الكفر بالاعتقاد يكون أيضا بالقول كسب الله أو رسوله أو دينه أو الاستهزاء به قال تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وبالفعل أيضا كالقاء المصحف في القاذورات والسجود لغير الله ونحوهما وهذان وان حدث فيهما العقيدة فالقول والفعل علامتان على الظهور رهما واسلام أهل العقائد المكفرة الرجوع عنها والبراءة منها مع تجديد الشهادتين واخلاص الالوهية لله وحده قولا وعملا واعتقادا فلا بد بن الله الا بذلك ولا يرضى الا به من نفسه وغيره مع الايمان بجميع الرسل ومعجزاتهم وانهم بلغوا الرسالة وأدوا الامانة ونصحوا الامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتمهم وأفضلهم مع الايمان بما تضمنه قوله سبحانه وتعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله الآية وكذا أولياء الله والترضي عنهم والاقرار بكراماتهم لا عبادتهم واتخاذهم في جلب النفع ودفع الضر الذين لا يقدر على جلبهما ودفعهما الا الله تبارك وتعالى ولا اثبات الشفاعة التي نفاها الله في كتابه أو نفي ما أثبتها فيه بل لا بد من اثبات ما أثبته الله منها ونفي ما نفاه وكذا المستحل لما حرم الله والمحرم لما أحل يحتاج مع الاتيان بالشهادتين الى تحليل الحلال وتحريم الحرام فيثبت ما أثبت الله وينفي ما نفاه ومن حكم عليه باسلام فسب الله أو رسوله أو دينه فهل تقبل توبته ظاهرا على قولين للعلماء فمنهم من قال تقبل توبته وهو أصح قولي الشافعي ومن وافقه ومنهم من لا يقبلها وهي الرواية المشهورة عن أحمد وكذا الخلاف فيمن تكرر ردته والزنديق وهو المنافق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر والكافر الاصلي تقبل توبته قولا واحدا واذا لم يتب حكمه القتل وسبي الاهل والاولاد والمرتد يستتاب على الاصح فان تاب والا قتل وماله فيء الا في حالة الحرب واذا فيجب على الامام قتالهم وغزوهم لفعل الصحابة رضي الله عنهم وما أخذ منهم في حالة الحرب فهو غنيمة واذا علمت الدعوة فلا يلزم الامام تجديدها قبل الغارة بحيشه لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ﴿وأما قولكم وكفر العمل هو الكفر باتيان الكبائر وارتكابها كما ورد في تارك الصلاة انه يكفر بتركها اياها أخرجه مسلم في صحيحه وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة رواه أهل السنن وصححه الترمذي ومن حديث بريدة بن الحصيب الاسلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر أخرجه الطبراني وقال الاسناد صحيح على شرط مسلم ومن حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك وفي هذا الباب أحاديث كثيرة يسمي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة عمدا كافرا﴾ فنقول اما الكبائر من الذنوب فقد تقدم كلامنا فيها وياتي له ان شاء الله تتمة وأما الصلاة فهي لغة الدعاء بخير قال تعالى وصل عليهم أي ادع لهم وعدي لتضمنه معنى الانزال أي انزل رحمتك عليهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعي أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل وشرعا أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ولا يرد عليه صلاة الاخرس ونحوه لان الاقوال فيها مقدرة والمقدر كالموجود وهذا التعريف باعتبار الغالب فلا يرد صلاة الجنازة وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء وقيل لانها ثانية الشهادتين كالمصلي من خيل الحلبة واشتقاقها من الصلوين واحدهما صلى كعصى وهما عرقان من جانبي الذنب وقيل عظمان ينحنيان في الركوع والسجود

وفرضت ليلة الاسراء أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من حديث أنس وكانت قبل الهجرة بخمس
سنين وقيل بسنة والاول هو المشهور عند الاكثر وكان في رجب وقيل في رمضان والأول هو الصحيح
وترك الصلاة كفر عملي يشترك فيه عمل القلب والجوارح كالاستهانة بالمصحف وقتل الانبياء لا ككفر
سائر أعمال المعاصي التي لا تخرج عن الملة كما توهمه صاحب المقدمة لان عمل القلب هو محبته وانقياده
للاوامر باق على حاله وانما غلب عليه افراط الشهوة وران الغفلة ولعله أن يكون مستندا لحديث
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن
محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار
حق أدخله الله الجنة على ما كان منه من العمل أخرجاه في الصحيحين وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لمعاذ وهو رديفه على الرحل يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من عبد
يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس
فيستبشرون قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته متفق على صحته وعن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه رواه البخاري وعن أبي ذر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية في القرآن يرددها حتى صلاة الغداة وقال دعوت لامتي وأجبت
بالذي لو اطلع عليه كثير منهم تركوا الصلاة فقال أبو ذر أفلا أبشر الناس قال بلى فانطلق فقال عمر
انك ان تبعث الى الناس يتكلوا عن العبادة فناداه أن ارجع فرجع والآية ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم رواه الامام أحمد في مسنده وفي المسند أيضا من حديث
عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة ديوان
لا يعبأ الله به شيأ وديوان لا يترك منه شيأ وديوان لا يغفره الله فأما الديوان الذي لا يعبأ به فظلم العبد نفسه
فيما بينه وبين ربه من صوم تركه أو صلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز عنه ان شاء
وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيأ فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة وأما الديوان الذي
لا يغفره الله فالشرك قال الله عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال
تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وفي المسند أيضا عن عبادة بن الصامت
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له
عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وفي
المسند أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم
القيامة الصلاة المكتوبة فان أتمها والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكملت به
الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك رواه أهل السنن وقال الترمذي
حديث حسن وبما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي
لفظ آخر من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وفي الصحيح قصة عتبان بن مالك وفيها ان الله قد
حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله وفي حديث الشفاعة يقول الله عز وجل وعزتي
وجلالي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله وفيه فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وفي السنن
والمسانيد قصة صاحب البطاقة الذي ينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يخرج له
بطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فترجح بسيئاته ولم يذكر في بطاقته غير الشهادة ولو كان فيها غيرها لقال ثم

يخرج له صحائف حسناته فتوزن سيئاته ويكفي في هذا قوله فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط اذ
لو كان كافرا لكان مخلدا في النار غير خارج منها فظاهر هذه الاحاديث المنع من تكفير تاركها او تخليده
في النار والوجوب له من الرجاء ما يرجى لسائر أهل الكبائر ولان الكفر جحود التوحيد والاستهزاء به
ومعاداته ومشاقة أهله او جحود شيء منه وانكار الرسالة والمعاد وجحد ما جاء به الرسول عنادا وهذا مقر
بالوحدانية عامل بها شاهد أن محمدا رسول الله مؤمن بالله وبما جاء عن الله ومن انه تعالى يبعث من في
القبور فكيف يحكم بكفره والايمان هو التصديق وضده التكذيب لا ترك العمل أم كيف يحكم
للمصدق بحكم المكذب ﴿والجواب عن ذلك كله﴾ ان رواة هذه الأحاديث التي قد يستدل بظاهرها
على عدم تكفير تارك الصلاة هم الذين حفظ عنهم تكفير تاركها بأعيانهم وهم أعلم بمعناها من غيرهم
قال أبو محمد بن حزم وغيره من الأئمة الاعلام ان كبار الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين
يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالردة منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابنه
عبد الله وابن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة
وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وعبادة بن الصامت وغيرهم من سائر الصحابة ان من
ترك صلاة فرض واحد متعمدا حتى خرج وقتها فهو كافر مرتد قالوا ولا يعلم لهؤلاء مخالف من الصحابة وممن
ذهب الى تكفيره التكفير المذكور من غير الصحابة أحمد بن حنبل والشافعي في أحد روايتيه
وهي المشهورة عند بعض أصحابه واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم بن
عيينة وأيوب السختياني وابو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الائمة والتابعين كلهم قد قال بكفر
تاركها وانه ليس من أهل الاسلام بل يقتل كفرا وماله في ما لم يتب وتلك الاحاديث المتقدمة أعني
قوله صلى الله عليه وسلم من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة
ونحوها جميعها محمولة عند من تقدم ذكرهم على عدم المحافظة عليهن في وقتهن مع الاتيان بهن بعد
بدليل الاحاديث الواردة في تركها بالكلية فانها مقيدة وتلك مطلقة والمطلق يحمل على المقيد اذا
أمكن الحمل ولم يوجد نسخ ولذلك لم يأخذ رواة تلك الاحاديث المطلقة ولا غيرهم من الأئمة الاعلام
بظاهرها في عدم تكفير تاركها بل حملوها على الآيات والأحاديث المقيدة الآتي بيانها وأما اخراج
الله من النار من لم يعمل خيرا قط بل كفى عن العمل وجود أدنى ايمان في قلبه واقرار بالشهادتين
في لسانه نهو اما لعدم تمكنه من أداء ما افترض الله عليه من أركان الاسلام بل بمجرد أدنى ايمان في
قلبه وشهادة بلسانه حرمته المنية لكنه قد عمل عملا مستقابه لوجود ما صدر منه عالمانه فاستحق دخول
النار عليه واما لكونه نشأ في مكان قريب من أهل الدين والايمان ولم يعلم ما أوجب الله على خلقه من
تفاصيل الدين والايمان والاسلام وأركانه بل جهل ذلك ولم يسأل أهل الذكر عنه وبان الله أوجب
على خلقه المكلفين التفقه في الدين وان لم يحصل الا بقطع مسافة كثيرة لانه غير معذور بهذا الجهل
اذ مثله لا يجهل ذلك اقربه من المسلمين فيعاقبه الله على ترك تعلم ما أوجب الله عليه ولهذا لا يخلد في
النار ان لم يوجد منه مناف للاسلام من انكار أمر علم من الدين ضرورة ولم يمتنع من اجابة امام المسلمين
اذا دعاه لتقويم اركان الدين بل هو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر لا ينكر
منه شيأ وباركان الاسلام كلها لكنه جهل تفاصيل ذلك وأحكامه وما يجب عليه منه والايمان يتفاوت
ويختلف بحسب أحوال الخلق فمنهم من ايمانه كالجبال الراسيات بحيث لا يزحزحه مزحزح فيزيد

الى مالانهاية له ومنهم من ينقص ايمانه حتى ينتهى الى مثقال الذرة فالاول سببه الطاعة والعلم والتفكر فى مصنوعات الله والثانى سببه المعاصى والجهل والغفلة والنسيان وهذا السبب الثانى لا يوجب الخلود فى النار حيث وجد الايمان وما استطاع عليه من أركان الاسلام لكن لجهله أو غفلته أونسيانه أو معاصيه وهن ايمانه ولا يلزم من وهنه عدم فعل الصلاة وسائر الاركان للاسلام مما يقدر عليه بل قد يفعلها وايمانه ضعيف حتى ينتهى الى مثقال الذرة واطلاق عدم العمل عليه لكونه عمل جاهل ولذلك أكثر العلماء منهم الامام مالك يقول بعدم صحة عبادة الجاهل بتفاصيل أعمال الصلاة فلا يميز بين أركانها وواجباتها وسننها وكذا غير الصلاة فكأنه فى هذه الحالة لم يعمل واخراجه من النار ودخوله الجنة سببه الايمان الذى صدر منه لا مجرد فعل الصلاة من غير ايمان ولذلك لم يقبل الله صلاة المنافق ولا سائر عمله بل جعله الله فى الدرك الاسفل من النار مخلدا مع انه يعمل الصلاة وسائر الطاعات حتى الجهاد فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم وغيره لكن لما كان صلاته وعمله من غير ايمان بطل من أصله ولا يخرج بعمله ذلك عن الكفر الا انه ظاهرا يعصم ماله ودمه فاما مجرد الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر وسائر ما كلف الله به العبيد مع العمل فهو الكلى والصلاة قوام الدين وعماد اليقين فمن تركها فقد أضاعه ﴿وقد دل على كفر تارك الصلاة الكتاب والسنة واجماع الصحابة﴾ أما الكتاب فقوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون الى قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فوجه الدلالة من الآية انه سبحانه أخبر انه لا يجعل المسلمين كالمجرمين وان هذا الامر لا يليق بحكمته ولا حكمه ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين بقوله يوم يكشف عن ساق وانهم يدعون الى السجود لربهم تبارك وتعالى فحال بينهم وبينه فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود مع المصلين فى دار الدنيا وهذا يدل على انهم مع الكفار والمنافقين الذين تبقى ظهورهم اذا سجد المسلمون كصياصى البقر ولو كانوا من المسلمين لاذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين ولو كانوا ممن يسجد وجوبها رأسا ولم يدع الايمان بها لذهب مع الذاهبين الذين قيل لهم الا تردوا أو اتتبعهم كل أمة ما كانت تعبد اذ لا يخلوا ان يكون من أحد الطائفتين ولم يبق مع من يدعى الاسلام العاملين به وغير العاملين (الدليل الثانى) قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فلا يخلو هؤلاء اما ان يكون كل واحد من هذه الخصال هو الذى سلكهم فى سقر وجعلهم من المجرمين أو مجموعها فان كل واحد منها مستقل بذلك فالدلالة ظاهرة وان كان مجموع الاربعة فهذا انما هو لتغليظ كفرهم وعقوبتهم والا فكل واحد منها مقتض للعقوبة الى ماله ومستقبل بمجموعها ومن المعلوم ان ترك الصلاة وما ذكر معه ليس شرطا فى العقوبة على التكذيب بيوم الدين بل هو وحده كاف فى العقوبة فدل على ان كل وصف ذكر معه كذلك اذ لا يمكن قائل ان يقول لا يعذب الكافر ولا يحكم عليه بالكفر الا من جمع هذه الاوصاف واذا كان كل واحد منها موجبا للاجرام وقد جعل الله

سبحانه وتعالى المجرمين ضد المسلمين كان تارك الصلاة من المجرمين السالكين فى سقر وقد قال تعالى ان المجرمين فى عذاب جهنم وقال تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وقال تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون فجعل ضد المؤمنين (الدليل الثالث) قوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون فوجه الدلالة انه تعالى علق حصول الرحمة لهم بفعل هذه الامور ولو كان ترك الصلاة لا يوجب تكفيرهم وخلودهم فى النار لكانوا مرحومين بدون فعل الصلاة والرب تعالى انما جعلهم على رجاء الرحمة اذا فعلوها ﴿الدليل الرابع﴾ قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال أهل المعانى السهو فى الشئ تركه من غير علم به والسهو عنه تركه مع العلم به والفرق بين الساهى والناسى ان الساهى متى ذكر تذكر والناسى لا يتذكر مع التذكير وقد اختلف السلف الصالح فى معنى السهو عنها فقال سعد بن أبى وقاص ومسروق بن الأجدع وغيرهما هو تركها حتى يخرج وقتها وقد روى ذلك فى حديث مرفوع قال محمد بن نصر المروزى قال حدثنا شيبان بن أبى شيبة قال حدثنا عكرمة بن ابراهيم قال حدثنا عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه سعد رضى الله عنهما انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقال حماد بن زيد حدثنا عاصم عن مصعب بن سعد قال قلت لأبى يا أبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يحدث نفسه قال انه ليس ذلك ولكنه اضاعة الوقت وقال حيوة بن شريح أخبرنى أبو صخر انه سأل محمد بن كعب القرظى عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو تاركها ثم سأله عن الماعون قال منع المال من حقه وأكثر المفسرين على انه اسم شامل لكل ما يحتاج اليه كابرة وفاس وقدر وقصعة وآنية البيت اذا طلبت للعارية كما صححه الحاكم عن ابن عباس فهو اسم شامل لجميع أنواع المعروف وحصول الويل شرط فى اجتماع الثلاثة غالبا كما جاء عن عكرمة حيث سأله بسام قال الماعون القدر والفاس والدلو قال بسام قلت لعكرمة من منع هذا فله الويل قلت لا ولكن من جمعهن من رآى فى صلاته وسها عنها ومنع هذا فله الويل والا فمجرد السهو عنها كاف فى حصول الويل وان لم يوجد المنع لكن وصف الساهين بالمانعين للحكم الأعلى ومجرد المنع بلا سهو ولا مراآة لا يوجب الويل الاعلى من يقول بوجوب العارية ولعله مع الاضطرار اليها ولم يلحق ربها ضرر باعارته اياها ولم يكن وقت الاستعارة محتاجا اليها والامر بها اذن أحق بها فلا تجب عليه الاعارة اذا علم هذا فالوعيد بالويل مطرد فى القرآن للكفار كقوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وقوله ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها الى قوله ولهم عذاب مهين وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد الا فى موضعين منه وهما فى ويل للمطففين وويل لكل همزة فعلق الويل بالتطفيف وهو نقص المكيال والميزان والمطفف الذى يبخس فى الكيل والوزن ومثله العدو الذرع قال الزجاج وانما قيل للذى ينقص المكيال والميزان ونحوهما مطفف لانه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان الا الشئ اليسير الطفيف والهماز كثير الطعن فى الناس ويكون باليد والعين أيضا واللماز آكل لحوم الناس باعتيابه لهم واللمز هو العيب ومنه قوله تعالى ولا

تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا فجعل فيه من العيب ما ليس فيه ﴿ واذا فهم ﴾ ذلك فقد علق سبحانه الويل بالتطفيف والهمز واللمز وهذا لا يكتفى به بمجرده فويل تارك الصلاة اما أن يكون ملحقا بويل الكفار أو بويل الفساق والحاقه بويل الكفار هو الحق لوجهين ﴿ أحدهما ﴾ انه قد صح عن سعد ابن أبى وقاص فى هذه الآية أنه قال لو تركوها لكانوا كفارا ولكن ضيعوها عن وقتها فجعل تركها كفرا ﴿ والثانى ﴾ ما سنذكره من الأدلة الدالة على كفره بوضعه الدليل الخامس هو قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه هو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان أودية جهنم لتستعيذ منه ومن حره سيل قيحا ودما قال كعب هو أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البهيم فتستعر منه لشدة حرارته وعذابه وما أعد الله فيه لأعدائه فوجه الدلالة من الآية ان الله تعالى جعل هذا المكان لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات ولو كانوا مع عصاة المسلمين لكانوا فى الطبقة العليا من جهنم ولم يكونوا فى هذا المكان الذى هو من أسفلها فان هذا ليس من أمكنة أهل الاسلام بل من أمكنة الكفار وفى الآية دليل آخر وهو قوله تعالى فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلو كان مضيع الصلاة مؤمنا لم يشترط فى توبته الايمان فانه يكون تحصيلا للحاصل ﴿ فان قيل ﴾ قد قال عبد الله بن مسعود وابراهيم النخعى فى تفسير أضاعوا الصلاة بأن أخروها عن وقتها لغير عذر وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا يصلى العصر حتى يأتى المغرب ومفهوم قولهم ان المضيعين عن وقتها يصلونها قضاء ومن أخرها عن وقتها حتى خرج ثم قضاها بعد ذلك فهو فاسق لا كافر مرتد وأيضا فقد ورد فى السنة ان ذلك الوادى الذى فيه تلك البئر البهيم أعده الله لمن لم يتب من الزناة ومدمنى الخمر وآكلة الربى وعاق والديه وشاهد الزور وهؤلاء فسقة ليسوا بكفار اذا لم يستحلوا ذلك والطبقة العليا من النار انما هى للعصاة من الموحدين وهذا الغى فيها ﴿ الجواب ﴾ ان الاضاعة ليست خاصة فى تأخيرها عن الوقت مع القضاء بعد ذلك بل هى فيمن تركها بالكلية أولى ولذلك ذهب عبد الله ابن مسعود وغيره من الصحابة والتابعين الى تكفير تاركها مطلقا وأولوا الآية على ذلك فالترك أخص والاضاعة أعم وقد قال مجاهد وقتادة هم فى هذه الامة أضاعوا الصلاة أى تركوا الصلاة المفروضة فلم يأتوا بها والله سبحانه أوعد المضيعين للصلاة بهذا الغى ولا مانع من اشتراك الكافرين والفاسقين فى نوع المعذب فيه ويختلفون فى الم اذا العذاب على الكافر اشد منه على العاصى والله على كل شئ قدير وظاهر كلام ابن عباس رضى الله عنهما كغيره من الصحابة أن الغى فى جهنم خاصة لا فى غيرها من طبقات النار اذ هى سبع طبقات بعضها فوق بعض قال على كرم الله وجهه تدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم وفيها يعذب الله العاصين من الموحدين وفى قعرها هذا الوادى الذى سمى الغى تستعيذ منه جميع أوديتها يعذب الله فيه من أضاع الصلاة واتبع الشهوات وانما عذب فيه تارك الصلاة بالكلية مع الحكم عليه بعدم الاسلام والكفر المخلد فى العذاب لان كفره عناد بعدم فعله لها لا بجحود ولا انكار ولا نفاق فليس فيه من مجانسة أفعال من يستحق الدركات

الباقية لاشرك ولا غيره ولما كان المضيع للصلاة عن وقتها مع قضائه لها بعد فيه مجانسة في نوع عمل التارك لها بالكلية عذب معه في نوع المعذب فيه وفارقه في ألم العذاب لا عيانه الذي قدمات عليه ثم الثانية لظى للنصارى ثم الثالثة الحطمة لليهود ثم الرابعة السعير للصابئين ثم الخامسة سقر للمجوس ثم السادسة الجحيم لاهل الشرك ثم السابعة الهاوية للمنافقين وبهذا الترتيب يعلم ان عذاب أهل الشرك أشد عذابا من الكافرين بترك الصلاة ولا ريب في ذلك ان توحيد الله لا أفضل منه فهو أساس الصلاة وكل عبادة فلا تصح الا به ولا تثبت الا عليه ولذلك قدمت الشهادتان رتبة على سائر الأركان ﴿الدليل الخامس﴾ قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين فعلق أخوتهم في الدين بفعل الصلاة فاذا لم يفعلوها لم يكونوا اخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين لقوله انما المؤمنون اخوة ﴿الدليل السابع﴾ قوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى فلما كان الاسلام تصديق الخبر والانقياد للامر جعل الله سبحانه له ضدين عدم التصديق وعدم الصلاة وقابل التصديق بالتكذيب والصلاة بالتولي فقال ولكن كذب وتولى فكما ان المكذب كافر فالمتولي عن الصلاة كافر وكما يزول الاسلام بالتكذيب يزول بالتولي عن الصلاة قال سعيد عن قتادة لا صدق ولا صلى لا صدق بكتاب الله ولا صلى ولكن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وعيد على أثر وعيد أي الذم والعذاب أولى لك من غيره فاولى أي لك أيضا وهذا وان كان السبب خاصا فالحكم عام اذ الآية محكمة الى يوم القيامة ﴿الدليل الثامن﴾ قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون قال ابن جريج سمعت عطاء بن أبي رباح يقول هي الصلاة المكتوبة ووجه الاستدلال بالآية الكريمة انه سبحانه حكم بالخسران المطلق لمن ألهاه ماله وولده عن الصلاة والخسران المطلق لا يحصل الا للكافرين فان المسلم لو خسر بذنوبه ومعاصيه فآخر أمره الى الربح يوضحه انه سبحانه أكد خسران تارك الصلاة في هذه الآية بانواع من التأكيد * أحدها انه بلفظ الاسم الدال على ثبوت الخسران ولزومه دون الفعل الدال على التجدد والحدوث * الثاني تصدير الاسم بالالف واللام المشعر بحصول كمال المسمى لهم فانه اذا قيل زيد العالم والصالح أفاد ذلك اثبات كل العلم والصلاح له بخلاف ما اذا قيل عالم وصالح الثالث اتيانه سبحانه بالمبتدا والخبر معرفين وذلك من علامات انحصار الخبر في المبتدا في قوله تعالى فاولئك هم الخاسرون كما في وأولئك هم المفلحون والكافرون هم الظالمون وأولئك هم المؤمنون حقا ونظائره * الرابع ادخاله ضمير الفصل بين المبتدا والخبر وهو يفيد مع الفصل فائدتين أخريين قوة الاسناد واختصاص المسند اليه بالمسند كقوله وان الله لهو الغني الحميد وقوله والله هو السميع العليم وقوله وان الله لهو الغفور الرحيم ونظائر ذلك ﴿الدليل التاسع﴾ قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ووجه الاستدلال بالآية انه سبحانه نفى الايمان عمن اذا ذكر بآيات الله لم يخر ساجدا مسبحا بحمد ربه ومن أعظم التذكير بآيات الله التذكير بآيات الصلاة فمن ذكر بها فلم يتذكر ولم يصل لم يؤمن بها لانه سبحانه خص المؤمنين بها بانهم أهل السجود وهذا من أحسن الاستدلال وأقربه فلم يؤمن بقوله تعالى وأقيموا الصلاة الا من التزم اقامتها ﴿الدليل العاشر﴾ قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل

يومئذ للمكذبين ذكر هذا بعد قوله كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ثم توعدهم تعالى على ترك الركوع
وهو الصلاة اذا دعوا اليها ولا يقال انما توعدهم على التكذيب فانه سبحانه انما أخبرهم عن تركهم لها
وعليه وقع الوعيد على أنا نقول لا يصر على ترك الصلاة اصرارا مستمرا من يصدق بأن الله أمر بها أصلا
فانه يستحيل في العادة والطبيعة أن يكون الرجل مصدقا تصديقا جازما بأن الله سبحانه فرض عليه في
كل يوم وليلة خمس صلوات وانه تعالى يعاقبه على تركها أشد العقاب وهو مع ذلك مصر على تركها
مصدق بفرضها أبدا فان الايمان يأمر صاحبه بها فحيث لم يكن في قلبه ما يأمره بها فليس في قلبه شئ من
الايمان ولا يصغي الى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها وليتأمل هل في الطبيعة
أن يقوم بقلب العبد ايمان بالوعيد والوعد والجنة والنار وان الله تعالى فرض عليه الصلاة وانه معاقبه
على تركها وهو محافظ على الترك في صحته وعافيته وعدم الموانع المانعة من الفعل وهذا القدر هو
الذي خفي على ذي الجهل المركب حيث أثبت الايمان المدعى مع تركه من الاسلام أعظم الأركان
وجعله الايمان مجرد التصديق وان لم يقارنه فعل واجب ولا ترك محرم وهذا من أمحل المحال أن يقوم
بقلب العبد ايمان جازم وليس من لازمه ولا يقتضيه القيام بالاركان ولا فعل طاعته وترك معصيته
ونحن نقول الايمان هو التصديق ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد ايمانا
والا لكان ابليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود والذين عرفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول
الله كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين وقد قال تعالى فانهم لا يكذبونك أي يعتقدون انك صادق
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحد لا يكون الا بعد معرفة الحق وقال تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر وقال تعالى عن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وأبلغ من هذا قول النفر من اليهود لما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عما دلهم على نبوته فقالا
نشهد انك نبي فقال ما يمنعكما عن اتباعي قالا ان داود دعا أن لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان
اتبعناك تقتلنا يهود فهؤلاء قد أقروا بألسنتهم اقرارا مطابقا لمعتقدهم انه نبي ولم يدخلوا بهذا التصديق
والاقرار في الايمان لانهم لم يلتزموا طاعته والانقياد لامره ومن هذا كفر أبي طالب فانه عرف حقيقة
المعرفة أنه صادق وأقر بذلك بلسانه وصرح به في شعره ولم يدخل بذلك في الاسلام فالتصديق انما يتم
بأمرين أحدهما اعتقاد الصدق والثاني محبة القلب والانقياد ولهذا قال تعالى لابراهيم قد صدقت
الرؤيا وابراهيم كان معتقدا لصدق رؤياه حين رآها فان رؤيا الانبياء وحي وانما جعله مصدقا لها
بعد أن فعل ما أمر به وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم والفرج يصدق ذلك أو يكذبه فجعل التصديق
عمل الفرج ما تمناه القلب والتكذيب تركه لذلك وهذا صريح في أن التصديق لا يصح الا بالعمل
وقال الحسن ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وقد روى هذا مرفوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه والمقصود انه يمتنع من التصديق الجازم بوجوب
الصلاة والوعد على فعلها والوعيد على تركها المحافظة على تركها واجتماعهما محال ﴿وأما الاستدلال
بالسنة على ذلك فمن وجوه الدليل الأول﴾ ما روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ورواه أهل السنن وصححه
الترمذي ﴿الدليل الثاني﴾ ما رواه بريدة بن الحصيب الأسلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه الامام أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حسن صحيح اسناده على شرط مسلم ﴿الدليل الثالث﴾ ما رواه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك رواه هبة الله الطبري وقال اسناده صحيح على شرط مسلم ﴿الدليل الرابع﴾ ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف رواه الامام أحمد في مسنده وأبو حاتم بن حبان في صحيحه وانما خص هؤلاء الاربعة بالذكر لانهم من رؤس الكفر وفيه نكتة بديعة وهي ان تارك المحافظة على الصلاة اما أن يشغله عنها ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته فمن يشغله عنها ماله فهو مع قارون ومن يشغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن يشغله عنها رياسته من وزارة وغيرها فهو مع هامان وزير فرعون ومن يشغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف ﴿الدليل الخامس﴾ ما رواه عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشركوا بالله شيأ ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج عن الملة رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في سننه ﴿الدليل السادس﴾ ما رواه معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه الامام أحمد ولو كان باقيا على اسلامه لكانت له ذمة الاسلام ﴿الدليل السابع﴾ ما رواه أبو الدرداء قال أوصاني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن لا أترك الصلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في سننه ﴿الدليل الثامن﴾ ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وهو حديث صحيح مختصر ووجه الاستدلال به انه أخبر ان الصلاة من الاسلام بمنزلة العمود الذي تقوم عليه الخيمة يسقط عمودها فهكذا يذهب الاسلام بذهاب الصلاة وقد احتج الامام أحمد بهذا الحديث بعينه ﴿الدليل التاسع﴾ ما في الصحيحين والسنن والمسانيد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت رواه مسلم ورواه الامام أحمد في بعض ألفاظه الاسلام خمس ذكره ووجه الاستدلال به من وجوه أحدها انه جعل الاسلام كالقبة المبنية على خمسة أركان فاذا وقع ركنها الاعظم وقعت قبة الاسلام الثاني انه جعل هذه الاركان في كونها أركانا لقبة الاسلام قرينة الشهادتين فهما ركن والصلاة ركن والزكاة ركن فما بال قبة الاسلام تبقى بعد سقوط أحد أركانها دون بقية أركانها الثالث انه جعل هذه الاركان نفس الاسلام وداخلة في مسمى اسمه وما كان اسما لمجموع أمور اذا ذهب بعضها ذهب ذلك المسمى ولا سيما اذا كان من أركانه لا من أجزائه التي ليست ركنا له كالحائط للبيت فانه اذا سقط سقط البيت بخلاف العمود والخشبة واللبنة ونحوها ﴿الدليل العاشر﴾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا ووجه الدلالة فيه من وجهين أحدهما انه انما جعله مسلما بهذه الاربعة فلا يكون مسلما بدونها الثاني أنه اذا صلى الى المشرق والقبلة في غير ناحيته بالنسبة اليه لم يكن مسلما حتى يصلي الى جهة قبلة

المسلمين فكيف اذا ترك الصلاة بالكلية ﴿الدليل الحادي عشر﴾ ما رواه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفتاح الجنة الصلاة وهذا يدل على أن من لم يكن من أهل الصلاة لم تفتح له الجنة وهي تفتح لكل مسلم فليس تارك الصلاة بمسلم ولا تناقض بين هذا وبين الحديث الآخر وهو قوله مفتاح الجنة شهادة أن لا اله الا الله فان الشهادة أصل المفتاح والصلاة وبقية الاركان أسنانه التي لا يحصل الفتح الا بها اذ دخول الجنة موقوف على المفتاح وأسنانه وقال البخاري وقيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك ﴿الدليل الثاني عشر﴾ ما رواه محجن بن الاذرع الاسلمي انه كان في مجلس مع النبي صلى الله عليه وسلم فأذن بالصلاة فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع ومحجن في مجلسه فقال له ما منعك أن تصلي ألست برجل مسلم قال بلى ولكني صليت في أهلي فقال له اذا جئت فصل مع الناس وان كنت قد صليت رواه الامام أحمد والنسائي فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة ويوجد تحت ألفاظ الحديث انك لو كنت مسلما لصليت ولم تصل في بيتك وهذا كما يقال لرجل حي ناطق مالك لا تتكلم ألست بناطق ومالك لا تتحرك ألست بحي ولو كان الاسلام يثبت مع عدم الصلاة لما قال لمن رآه لا يصلي ألست برجل مسلم ﴿وأما الاستدلال باجماع الصحابة﴾ فقد تقدم ذلك عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبي الدرداء وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وغيرهم ولا يعلم عن صحابي خلافهم وعلى هذا نهج الأئمة الاسلاف كسفيان بن سعيد الثوري وأبي عمرو الاوزاعي وعبد الله بن المبارك وحماد بن زيد ووكيع بن الجراح والامام مالك بن أنس ومحمد بن ادريس الشافعي في أشهر قوليهما وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأصحابهم كلهم قالوا بكفر تاركها وقتله ثم جمهورهم قالوا يقتل بالسيف ضربا في عنقه وقال بعض الشافعية يضرب بالخشب الى أن يصلي أو يموت وقال ابن شريح ينخس بالسيف نخسا حتى يموت لانه أبلغ والجمهور على ضرب عنقه بالسيف لانه أحسن القتلات وأحسنها ازهاقا وقد سن الله سبحانه في قتل الكفار والمرتدين ضرب الاعناق دون النخس بالسيف والجمهور عند هؤلاء كلهم انه يستتاب فان تاب ترك والا قتل هذا قول الشافعي وأحمد وأحد القولين في مذهب مالك وقال أبو بكر الطرطوشي في تعليقه مذهب مالك انه يقال له ما دام الوقت باقيا صل فان فعل ترك وان امتنع حتى خرج الوقت هل يستتاب أم لا قال بعض أصحابنا يستتاب فان تاب والا قتل وقال بعضهم لا يستتاب لان هذا تحتم ولا يسقط كالحد وهذا الذي حكاه الطرطوشي عن بعض أصحابهم انه يقتل من غير استتابة هو رواية عن مالك وفي استتابة المرتد روايتان عن أحمد وقولان للشافعي ومن أوجب الاستتابة قال الرعاية اليها شرط في قتله لانه قد يتركها لعذر أو ما طنه عذرا أو لكسل لا يستمر ولذلك أذن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة نافلة خلف الامراء الذين يؤخرون الصلاة حتى يخرج الوقت ولم يأمر بقتالهم ولم يأذن في قتالهم لانهم لا يصروا على تركها فاذا دعي فامتنع لا من عذر حتى خرج الوقت تحقق تركه واصراره وهل يقتل بترك صلاة أو صلاتين أو ثلاث صلوات هذا فيه خلاف بين الناس فقال سفيان الثوري ومالك وأحمد في احدى الروايات عنه يقتل بترك صلاة واحدة وهو ظاهر مذهب الشافعي وأحمد ووجه هذا القول

ما تقدم من الاحاديث الدالة على قتل تارك الصلاة فقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه الامام أحمد فى مسنده وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال أوصانى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمدا فمن ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة رواه عبد الرحمن بن أبى حاتم فى سننه ولانه اذا دعى الى فعلها فى وقتها فقال لا أصلى ولا عذر له فقد ظهر اصراره فتعين ايجاب قتله واهدار دمه واعتبار التكرار ثلاثا ليس عليه دليل من نص ولا اجماع ولا قول صحابى وقال أبو اسحق من أصحاب أحمد ان كانت الصلاة المتروكة تجمع الى ما بعدها كالظهر والمغرب لم يقتل حتى يخرج وقت الثانية لان وقتها وقت الاولى فى حال الجمع فاورثت شبهة ههنا وان كانت لا تجمع الى ما بعدها كالصبح والعصر وعشاء الآخرة قتل بتركها وحدها اذ لا شبهة فى التأخير وهذا القول حكاه اسحق عن عبد الله بن المبارك أو عن وكيع بن الجراح الشك من اسحق فى تعيينه فعلى هذا متى دعى الى الصلاة فى وقتها فقال لا أصلى وامتنع حتى فاتت وجب قتله وان لم يضق وقت الثانية نص عليه الامام أحمد قال القاضى وأصحابه كابن عقيل وأبى الخطاب لا يقتل حتى يتضايق وقت التى بعدها وقال شيخ الاسلام أبو البركات تقى الدين متى دعى الى الصلاة فى وقتها فقال لا أصلى وامتنع حتى فاتت وجب قتله وان لم يضق وقت الثانية وفى المثال الذى ذكر يعنى أبا الخطاب أولى لان القتل بتركها دون الاولى لانه لما دعى اليها كانت فائتة والفوائت لا يقتل تاركها وكذا حكم ترك الوضوء والغسل من الجنابة واستقبال القبلة وستر العورة والقيام فى الفرض لقادر أو الركوع أو السجود لقادر عليهما كترك الصلاة وكذا حكم ترك الجمعة لما روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم وصريح القرآن مشعر بفرضيتها وآمر باقامتها الزاما وأخطأ على الشافعى من نسب اليه القول بان صلاة الجمعة فرض كفاية اذا قام بها قوم سقطت عن الباقين ولم يقل الشافعى هذا قط وانما غلط عليه من نسب ذلك اليه بسبب قوله فى صلاة العيد انها تجب على من تجب عليه صلاة الجمعة بل هذا نص من الشافعى رضى الله عنه على ان صلاة العيد واجبة على الاعيان وهذا هو الصحيح فى الدليل فان صلاة العيدين من أعظم شعائر الاسلام الظاهرة ولم يكن يتخلف عنها أحد من الصحابة ولا تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ولو كانت سنة لتركها ولو مرة واحدة كما ترك قيام رمضان وعلى انا نقول بفرضية صلاة العيدين لا نكفر من تركها لجريان الخلاف فى فرضيتها بخلاف ما تقدم من الصلوات ولذلك لم يختلف أحد ممن تقدم فى قتل تارك الصلاة الا أبو حنيفة رحمه الله ومحمد بن شهاب الزهرى وداود بن على المزنى فانهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها رواه البخارى ومسلم وحجة من قال بالقتل وهم من تقدم من الصحابة والتابعين والأئمة من كبار المجتهدين تعليقه فى الحديث بحقها قالوا وهذه الصلاة من أعظم حقها وقد قال تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فامر بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والقول بانه متى تاب من شركه سقط عنه القتل وان لم يقم الصلاة ولا آتى الزكاة خلاف ظاهر القرآن والسنة

وإجماع صدر الأمة فلا يعتد به بعد انعقاد الإجماع والله تعالى أعلم ﴿وأما قولكم وأخرج الطبراني والبزار عن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن رواه أبو هريرة في الصحيح وابن عمر وعائشة وجماعة آخرون فنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الإيمان ومن لازمه اثبات الكفر لهم وأخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد وأمثال هذا كثير في كلام الصادق المصدوق بهذا النوع الذي هو الكفر العملي وإن أطلقه الشارع على مرتكب هذه الكبائر فإنه لا يخرج به العبد من الإيمان ولا يفارق به الملة المحمدية ولا يباح ماله ودمه وأهله كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين ولم يميز بين الأمرين﴾ فنقول يحتاج كل قائل ومعترض إلى تحقيق معاني قوله وما يعارض به ومن أعظم المناحة في ذلك تحقيق معاني كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إذا عورض به أمر لا بد من التأمل والتحقيق حتى يسوغ التكلم وتسوغ المعارضة والعاقل اللبيب إذا تأمل ووعى ما نحن فيه مما اعتقدناه وقلناه علم يقينا الفرق بين ما عنيناه وقصدناه من عقيدتنا ودليلنا ومدلولنا وبين معارضتنا بهذه الأحاديث والاعتراض بها علينا وعلم أيضا أن بين ما عارضه صاحب المقدمة من عقائدنا ودلائلنا وبين ما عارضنا به من نقل هذه الأحاديث واعتقاده فينا مباينة ومخالفة من وجوه أحدها أنه لم يفهم قصدنا ولا ما اعتقدنا وقلنا فإن أعظم قصدنا وأمرنا الحث والأمر بتوحيد الله وحده لا شريك له في عبادته ومعاملته حتى تثبت وتتم الألوهية كلها له وحده لا شريك له فكما أنه تعالى منفرد بالربوبية فكذلك هو منفرد بالألوهية قولا وعملا واعتقادا فلا يرجى في جلب نفع أو كشف ضر إلا الله وحده ولا يتوكل إلا عليه وأن الخلق ليس لهم ولي من دونه ولا شفيع إلا من بعد إذنه وصاحب المقدمة قد فهم فينا ما لم نقله واعتقد متقولا علينا ما لا نعتقده فإنه يزعم أنا نكفر بالذنوب بدليل السياق والاعتراض ﴿الثاني﴾ أنه لم يميز بين ما حرم الله به دخول الجنة وأوجب الخلود في النار وبين ما هو تحت مشيئته تعالى إن شاء غفره فلم يعذب عليه وإن شاء طهر فاعله في النار ثم مآله إلى الجنة حيث مات موحدا بل عارض الأول بالثاني كما دل عليه صنيعه ﴿الثالث﴾ أنه لم يميز بين الإيمان الذي يستحق المتصف به أن لا يخلد في النار بل ترجى له الشفاعة بإذن الله والمغفرة منه له فضلا وكرما ويثبت له مناكحة المسلمين وموارثتهم وبين الإيمان الذي يستحق به النجاة من العذاب وتكفير السيئات وقبول الطاعة وكرامة الله ومثوبته وبه يستحق أن يكون محمودا مرضيا موصوفا بصفات الثناء لا بصفات الذم بل جعل القسمين قسما واحدا ﴿وأما الكلام﴾ على معنى هذه الأحاديث التي قد أدلى بها وأوردها صاحب المقدمة علينا فنقول لا يحقق ذلك إلا من حقق معنى الإيمان وعرفه ومازه حتى تحصل له المعرفة وكمال الإدراك بمعنى هذه الأحاديث وأمثالها والمدلى بها يحتاج إلى فهم معاني ما تضمنته من نفي الإيمان ومعرفة حقيقته وما هو وكيف هو وثم ينفي بها نفيا لا اثبات معه أو معه اثبات أو يثبت اثباتا لا نفي معه أو معه نفي ثم يفصل ويبين ذلك المثبت والمنفي وعكسهما إذا علم هذا فالإيمان قد اشتهر وشاع عن السلف وأهل الحديث أنه قول وعمل ونية وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان وحكى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا سعيد

ابن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم وقال الثوري هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره وقال الاوزاعي كان من مضى من السلف لا يعرفون الايمان الا العمل وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى أهل الامصار أما بعد فان للايمان فرائض وشرائع وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ذكره البخاري في صحيحه وقد دل على دخول الاعمال في الايمان قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوفد عبد القيس آمركم باربع الايمان بالله وهل تدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ولفظه لمسلم قال الخطابي هذا الحديث بيان ان الايمان الشرعي اسم بمعنى ذي شعب واجزاء له أدنى وأعلى فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وفيه اثبات التفاضل في الايمان وتباين المؤمنين في درجاته هذا آخر كلام الخطابي وقال الامام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي في حديث سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام وجوابه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام اسما لما ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال ليست من الايمان أو ان التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناولهما اسم الايمان والاسلام جميعا يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فاخبر سبحانه وتعالى ان الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل هذا كلام البغوي وقال الامام أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني الشافعي في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم الايمان في اللغة هو التصديق فان عنى به ذلك فلا يزيد ولا ينقص لان التصديق ليس شيأ يتجزأ حتى يتصور كماله تارة ونقصه أخرى والايمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالاركان واذا فسر بهذا تطرق اليه الزيادة والنقصان وهو مذهب أهل السنة وقال الامام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي المغربي في شرح صحيح البخاري مذهب جماعة أهل السنة ممن سلف من الامة وخلفها ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري رحمه الله تعالى من الآيات يعني قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى وزدناهم هدى وقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله تعالى ويزداد الذين آمنوا ايمانا وقوله تعالى أيكم زادته

هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وقوله تعالى فاخشوهم فزادهم ايمانا وقوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ومجرد التصديق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا ينقص الا شكا ولذلك توقف مالك رحمه الله تعالى في بعض الروايات مع القول بالزيادة عن القول بالنقصان اذ لا يجوز نقصان التصديق لانه اذا نقص صار شكا كالخروج عن اسم الايمان وقال بعضهم انما توقف مالك عن القول بنقصان الايمان خشية أن يتناول موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي بالذنوب والا فقد قال مالك بنقصان الايمان مثل قول جماعة أهل السنة قال عبد الرزاق سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحاب سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبد الله بن عمر والاوزاعي ومعمر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينة يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وعبد الله بن المبارك فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه الثلاثة الامور التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح وذلك انه لا خلاف بين الجميع انه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه فلا يستحق اسم مؤمن ولو عرفه بقلبه وجحده بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم المؤمن فكذلك اذا أقر بالله وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالاطلاق وان كان في كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله لقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا فاخبر سبحانه وتعالى ان المؤمن من كانت هذه صفته وقال ابن بطال في باب من قال الايمان هو العمل فان قيل قد تقدم ان الايمان هو التصديق قيل له التصديق هو أول منازل الايمان ويوجب للمصدق دخول الاعمال فيه ولا يوجب له استكمال منازله ولا يسمى مؤمنا مطلقا الا باستكمال شعب أعماله هذا مذهب جماعة أهل السنة وان الايمان قول وعمل قال أبو عبيد هو قول مالك والثوري والاوزاعي ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين وأهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم قال ابن بطال وهذا المعنى أراد البخاري رحمه الله اثباته في كتاب الايمان وعليه بوب أبوابه كلها فقال باب أمور الايمان وباب الصلاة من الايمان وباب الزكاة من الايمان وباب الجهاد من الايمان وسائر أبوابه وانما أراد الرد على المرجئة في قولهم ان الايمان قول بلا عمل وتبين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذهب الائمة ﴿وأما الفرق﴾ بين الايمان والاسلام فالتحقيق في الفرق بينهما ما قاله المحققون ان الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته مع الاعمال بجميع ما فرض الله والاسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله الاسلام دينا في كتابه تعالى وهو حديث جبريل حين سمى صلى الله عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان دينا وهذا أيضا مما يدل على ان أحد الاسمين اذا أفرد دخل فيه الآخر لجامعية الاعمال كلا منهما وان انفرد التصديق في دخول مسمى الايمان وانما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر فيكون حينئذ المراد بالايمان جنس تصديق القلب وبالاسلام جنس العمل فاما ما ورد من اثبات أحدهما ونفي الآخر من نحو قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فانما هو بالنظر الى معنييهما

الأمرين ولذلك ذكر الصدقة والصوم وغيرهما بعدهما بطريق العطف مع الاجماع على عدم خروج الأعمال عن الايمان والاسلام لكن الايمان أصله تصديق القلب بكل ما جاء عن الله ورسوله وهو لا يظهر الا بالعمل الظاهر علانية فهو الاسلام والاستسلام الانقياد لأوامر الله عز وجل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب أخرجه الامام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اذا صلى على الميت اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان لأن العمل بالجوارح انما يتمكن منه في حال الحياة فأما عند الموت فلا يبقى الا التصديق بالقلب ومن ههنا قال المحققون من العلماء كل مؤمن مسلم لأن من حقق الايمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الاسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب فلا يتحقق العبد الايمان الا وتنبعث الجوارح في أعمال الاسلام وليس كل مسلم مؤمنا فانه قد يكون الايمان ضعيفا فلا يتحقق القلب تحققا تاما مع عمل الجوارح في أعمال الاسلام فيكون مسلما وليس مؤمنا الايمان التام كما قال تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول عبد الله بن عباس وغيره بل كان ايمانهم ضعيفا ويدل عليه قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا يعني لا ينقصكم من أجورها فدل على ان معهم من الايمان ما يقبل به أعمالهم وكذلك ما روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا هو أعجبهم الي فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمنا فقال رسول الله أو مسلما فسكت قليلا ثم غلبني ما علمت منه فعدت لمقالتي فقلت مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمنا فقال أو مسلما ثم غلبني ما أعلم منه فعدت وأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ثم قال يا سعد اني لأعطي الرجل وغيره أحب الي منه خشية أن يكبه الله في النار على وجهه قال الزهري فيرى يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام هو الكلمة مع التزام الأعمال والايمان هو العمل الصالح قلنا فعلى هذا قد يخرج الرجل من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام الا الى الكفر بالله عز وجل فالايمان هو الاسلام وزيادة وحقيقته ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون وفي رواية بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان ولمسلم وأبي داود فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق وقد أخبر الله عن ملكة سبأ انها دخلت في الاسلام بهذه الكلمة رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأخبر عن يوسف عليه السلام انه دعا بالموت على الاسلام وهذا كله يدل على ان الاسلام المطلق يدخل فيه ما يدخل في الايمان من التصديق وفي سنن ابن ماجه عن عدي بن حاتم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عدي أسلم تسلم قلت وما الاسلام قال تشهد أن لا اله الا الله وتشهد أني رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها حلوها ومرها فهذا نص في أن الايمان بالقدر من الاسلام ثم ان الشهادتين من خصال الاسلام بغير نزاع وليس المراد الاتيان بلفظهما من غير تصديق بهما ولا عمل بمعناهما بل ذلك كله داخل في الاسلام وقد فسر

الاسلام المذكور فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام بالتوحيد قولا وعملا واعتقادا صادقا قاله طائفة من السلف منهم محمد بن جعفر بن الزبير وأما اذا نفى الايمان عن أحد وأثبت له الاسلام كالاعراب الذين أخبر الله عنهم فانه ينفى عنهم رسوخ الايمان فى القلب وأثبت لهم المشاركة فى اعمال الاسلام الظاهرة مع نوع ايمان يصحح لهم العمل اذ لولا هذا القدر لم يكونوا مسلمين وانما نفى عنهم الايمان لانتفاء ذوق حقائقه ونقص بعض واجباته وهذا مبنى على ان التصديق القائم بالقلوب يتفاضل وهذا هو الصحيح من مذاهب جماهير السلف وهو أصح الروايتين عن أحمد فان ايمان الصديقين الذين تتجلى أنوار المعرفة لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب ليس كايمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك ولهذا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبة الاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه وهذا لا يحصل لعموم المؤمنين ومن هنا قال بعضهم ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى صدره وسئل ابن عمر رضى الله عنهما هل كان الصحابة رضى الله عنهم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال واين هذا ممن الايمان فى قلبه يزن ذرة أو شعيرة كالذين يخرجون من أهل التوحيد من النار فهو لا يصح ان يقال لم يدخل الايمان فى قلوبهم لضعفه عندهم ﴿وهذه المسائل﴾ أعنى مسائل الايمان والاسلام والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا فان الله عز وجل علق بهذه الاسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار والاختلاف فى مسمياتها وقع فى هذه الامة وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الاسلام بالكلية وادخلوهم فى دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم ثم حدث بعد خلاف المعتزلة خلاف المرجئة القائلين ان الفاسق مؤمن كامل الايمان وقد صنف العلماء قديما وحديثا فى هذه المسائل تصانيف متعددة وممن صنف فى الايمان من أئمة السلف الامام أحمد وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن أسلم الطوسى وغيرهم من الأئمة الاعلام فمن حقق هذا المعنى فى الايمان وعرفه وما زه حصلت له المعرفة وكمال الادراك بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الحديث ثم صار وسطا بين طرفين فينفى بها نفيا معه اثبات ويثبت اثباتا معه نفى فلا يقول مؤمن كامل الايمان كما قالته المرجئة ولا كافر خارج عن الملة مخلد فى النار كما قالته الخوارج بل ليس ايمانه تاما فهو مؤمن واهن الايمان جارية عليه أحكام الاسلام قال النووى فى شرحه هذا الحديث وأمثاله مما اختلف العلماء فى معناه فالقول الصحيح الذى قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وهذا من الالفاظ التى تطلق على نفى الشئ ويراد نفى كماله ومختاره كما يقال لا علم الا ما نفع ولا مال الا الابل ولا عيش الا عيش الآخرة وانما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبى ذر وغيره من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور انهم بايعوه صلى الله عليه وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا قال لهم صلى الله عليه وسلم فمن وفى منكم فاجره على الله ومن فعل شيأ من ذلك فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فهذان الحديثان مع نظائرهما فى الصحيح مع قول الله

عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مع اجماع أهل الحق على ان الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الايمان ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فان شاء الله عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا وان شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة فكل هذه الدلائل تضطرنا الى تأويل هذا الحديث وشبهه ثم ان هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيرا واذا ورد حديثان مختلفان ظاهرا وجب الجمع بينهما وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعنا وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلا مع علمه بورود الشرع بتحريمه وقال الحسن وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري معناه ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال سارق وزان وفاجر وفاسق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه ينزع منه نور الايمان وقال المهذب تنزع منه بصيرته في طاعة الله وفيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنا العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان رواه الترمذي وأبو داود ﴿وقد انقسم الناس﴾ في الفاسق من أهل الملة كالسارق والزاني والشارب ونحوهم على ثلاثة أقسام طرفين ووسط ﴿أحد الطرفين﴾ انه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الايمان ثم من هؤلاء من يقول هو كافر كاليهودي والنصراني وهو قول الخوارج ومنهم من يقول ننزله منزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون ان أهل الكبائر يخلدون في النار وان أحدا منهم لا يخرج منها وهذا من مقالات أهل البدع التي دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان على خلافه قال الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي الى قوله انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم فسماهم الله مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وقال تعالى في بيان الكفارة فتحرير رقبة مؤمنة ولو أعتق مذنبا أجزأ عتقه باجماع العلماء ولهذا يقول العلماء السلف في المقدمات الاعتقادية لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يخرجه من الاسلام بعمل وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين بل جلد هذا وقطع هذا ورجم هذا وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول لا تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم وأحكام الاسلام كلها مرتبة على هذا الأصل ﴿الطرف الثاني﴾ قول من يقول ايمانهم باق كما كان لم ينقص بناء على ان الايمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم وهو لم يتغير وانما نقصت شرائع الاسلام وهذا قول المرجئة والجهمية ومن سلك سبيلهم وهو أيضا قول مخالف للكتاب والسنة واجماع السابقين والتابعين لهم باحسان قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون والآيات في ذلك والأحاديث كثيرة جدا كما تقدمت وقد تقدم أيضا اجماع السلف على ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ومعنى ذلك انه قول القلب وعمله ثم قول اللسان وعمل الجوارح فاما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر ويدخل في ذلك الايمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله

عليه وسلم لانه في معنى الايمان برسالته ﴿ثم الناس﴾ في هذا على أقسام ﴿ومنهم﴾ من صدق به جملة ولم يعرف التفصيل ﴿ومنهم﴾ من صدق به اجمالا وتفصيلا ﴿ثم منهم﴾ من يدوم استحضاره في مع ما قذف الله في قلبه من النور والآيات ﴿ومنهم﴾ من جزم به لدليل قد تعترضه منه شبهة أو لتقليد جازم وهذا التصديق يتبعه عمل القلب وهو حب الله ورسله وتعظيم الله ورسله وتعزير الرسول وتوقيره وخشية الله والانابة اليه والاخلاص له والتوكل عليه الى غير ذلك من الأحوال فهذه الأعمال القلبية كلها من الآيات وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد ايجاب العلة المعلول ويتبع الاعتقاد قول اللسان ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك وعند هذا فالقول الوسط الذي هو قول أهل السنة والجماعة انهم لا يسلبون اسم الايمان على الاطلاق ولا يثبتونه على الاطلاق بل يقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو هو مؤمن عاص أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ويقال ليس بمؤمن حقا أو ليس بصادق الايمان وكل كلام أطلق في الكتاب والسنة فلابد أن يبين المراد منه والأحكام منها ما يترتب على أصله وفرعه كاستحقاق الحمد والثواب وغفران السيآت ونحو ذلك اذا علمت هذه القاعدة فالذي في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا تنتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه أبصارهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن والزيادة التي رواها أبو داود والترمذي صحيحة وهي مفسرة للرواية المشهورة وفي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان دليل على أن الايمان لا يفارقه بالكلية فان الظلة تظلل صاحبها وهي متعلقة ومرتبطة به نوع ارتباط وأحسن ما قيل في معنى هذا الحديث أما نفس التصديق الفرق بينه وبين الكافر لم يعدمه لكن هذا التصديق لو بقي على حاله لكان صاحبه مصدقا بأن الله حرم هذه الكبيرة وانه تعالى توعد عليها بالعقوبة العظيمة وانه تعالى يرى الفاعل ويشاهده وهو تعالى مع عظمته وجلاله وكبريائه يمقت هذا الفاعل فلو تصور هذا التصور لامتنع صدور الفعل منه ومتى فعل هذه الخطيئة فلابد من أحد ثلاثة أمور اما اضطراب العقيدة بأن يعتقد ان الوعيد ظاهره ليس كباطنه وانما المقصود منه الزجر كما قالته المرجئة وانما يحرم هذا على العامة دون الخاصة كما قالته الاباحية وغير ذلك من العقائد المكفرة التي تخرج عن الملة وأما الغفلة والذهول عن التحريم وعظمة الرب تعالى وتقدس وشدة بأسه فيغتر بسعة رحمته وغفرانه ويقتحم هذا الذنب الكبير ولا يبالي وأما فرط الشهوة بحيث تقهر مقتضى الايمان وتمنع موجبه فيصير الاعتقاد مغمورا مقهورا كالعقل في النائم والسكران وكالروح في النائم ومعلوم أن الايمان الذي يسمى ايمانا ليس باقيا كما كان اذ ليس مستقرا في القلب ظاهرا واسم الايمان عند الاطلاق انما ينصرف الى من يكون ايمانه باقيا على حاله عاملا عمله وهو يشبه من بعض الوجوه روح النائم فان الله سبحانه يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فالنائم ميت من وجه حي من وجه وكذلك السكران والمغمى عليه عاقل من وجه وليس بعاقل من وجه فاذا قال القائل السكران ليس بعاقل فاذا صحا عاد عقله اليه كان صادقا مع العلم ليس بمنزلة البهيمة اذ عقله مستتر وعقل البهيمة معدوم بل الغضبان ينتهي به الغضب الى حالة يعزب فيها عقله

ورأيه وفي الاثر اذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم ليعتبروا فالعقل الذي به يكون التكليف لم يسلب وانما سلب العقل الذي به يكون صلاح الامور في الدنيا والآخرة كذلك الزاني والسارق والشارب والمنتهب لم يعدم الايمان الذي يستحق أن لا يخلد في النار وبه ترجى له الشفاعة والمغفرة وبه يستحق المناكحة والموارثة لكن عدم الايمان الذي يستحق به النجاة من العذاب ويستحق به تكفير السيآت وقبول الطاعات وكرامة الله ومثوبته وبه يستحق أن يكون محمودا مرضيا وهذا يبين ان الحديث على ظاهره الذي يليق به فلا يؤول بتأويلات تخرجه ونظائره عن مقصود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل كراهة تأويل أحاديث الوعيد عن علماء السلف كسفيان ابن عيينة وأحمد بن حنبل والزهري وانهم يقرؤن هذه الاحاديث ويمرونها كما جاءت ويكرهون تأويلها بما يخالف اللائق بها على مراد الرسول فيها ونص الامام أحمد رحمه الله تعالى على ان مثل هذا الحديث لا يتأول تأويلا يخرجه عن ظاهره المقصود به وقد تأوله الخطابي وغيره تأويلات مستنكرة مثل قولهم لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي أي ينبغي للمؤمن أن لا يفعل ذلك وقولهم المقصود به الوعيد والزجر دون حقيقة النفي وانما شاع ذلك لما بين حاله وحال من عدم الايمان من المشابهة والمقاربة وقولهم انما عدم كمال الايمان وتمامه أو شرائعه أو ثمرته ونحو ذلك فكل هذه التأويلات لا يخفى حالها على من أمعن النظر فيها فالحق ما تقدم من معنى القول فيها والله أعلم ﴿ وأما قولكم وقد عقد البخاري في صحيحه بابا الكفر دون كفر ﴾ فنقول من اطلق الشارع كفره بالمعاصي التي لا تخرجه عن الملة كدعواه لغير أبيه ومن أتى عرافا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو في دبرها ونحو ذلك فانما هو تشديد لا يخرج به عن ملة الاسلام بل كفر نعمة قاله طوائف من العلماء من أئمة الفقه والحديث وذكره ابن رجب في شرح البخاري كغيره من اشراح عن أكثر الشيوخ من العلماء وقد قال القاضي عياض وجماعة من العلماء في قوله من أتى عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد أي جحد تصديقه بكذبهم فقد يكون معناه ان اعتقد تصديقهم بعد معرفتهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لهم فهو كافر كفرا حقيقة وما قاله القاضي عياض رحمه الله تعالى لا مخالفة فيه اذا وجد شرطه اذ فيه تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وتكذيب الكتاب وهذا النوع ليس نعني هـ امع انه داخل في عموم دعوانا على أهل الباطل من انهم يصدقونهم فيما يقولون لهم ويعملون به بعد سماعهم نهي النبي عنهم وتكذيبه لهم بل أكثرهم يعلمونه ويسمونه عناد الدين واتباعا للشياطين والمعاندين وعبادة أوليائهم وهم مردة الشياطين وانما نعني ما هو كفر دون كفر لا يخرج عن الاسلام ككفران العشير وهو ما عنى البخاري رحمه الله تعالى وقوله باب كفران العشير وكفر دون كفر فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء يكفرن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط فقد أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن السائل القائل أيكفرن بالله فاجابه بما هو ليس من المخرج عن الملة بل من الذنوب التي يستقر معها حكم الاسلام فقال يكفرن العشير وكفران العشير كفران نعمة لا يخرج عن الملة وقد نص عليه أئمة الحديث من العلماء في شرح البخاري وغيره ولهم في هذه

الاحاديث التي تطلق الكفر فيها مسالك منهم من يحملها على من يفعل ذلك مستحلا ومنهم من حملها على التغليظ لا على الكفر الذي ينقل منهم ابن عباس وعطاء قال النخعي هو كفر بالنعم ونقل عن الامام أحمد وقاله طاوس وحكى ابن حامد عن الامام أحمد جواز اطلاق الكفر والشرك على بعض الذنوب التي لا تخرج عن الملة وروى عن أحمد انه كان يتوقى الكلام في تفسير هذه النصوص تورعا وعيرها كما جاءت من غير تفسير لها كغيره من أئمة السلف كما تقدم مع اعتقادهم ان المعاصي لا تخرج عن الملة وقد قال البخاري باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك لقول النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية وقول الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فسماهم مؤمنين ﴿وأما قوالكم﴾ وقال العلامة ابن القيم في كتابه في الصلاة الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة كفر عملي وتحقيقه ان الكفر كفر عملي وكفر جحود فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا فهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه اذ حقيقة الايمان التصديق وأما الكفر العملي فهو نوعان نوع يضاد الايمان ويصير فاعله في حكم الكفر الاعتقادي كالسجود للصنم وسب الرسول وقتله والاستهزاء والاستهانة بالمصحف والذي يقوى عندي أن يكون هذا من الكفر الاعتقادي والعملي معا فانه لا يسجد للصنم وهو مؤمن بالله ولا يهين المصحف أو يسب نبيا أو يقتله وهو مصدق انه نبي ألا ترى الى قريش في صلح الحديبية لم يرضوا ان يكتب هذا ما صالح عليه رسول الله وقالوا اكتب محمد ابن عبد الله لو نعلم انك رسول الله لما صددناك عن البيت الحديث ونوع لا يضاده كالحكم بغير ما أنزل الله فان الله سمى فاعله كافرا ومثله تارك الصلاة سماه رسول الله كافرا كما سمعته آنفا ولكن هذا كفر عملي لا كفر اعتقاد﴾ فنقول أنتم اغا فهمتم من كلام ابن القيم ان الكفر الصريح لا يكون عمليا بل هو خاص بالاعتقادي أو مع اقترانه بالعملي فاما مجرد العملي فلا يكون كفرا موجبا للردة حقيقة وفهمتم منه أيضا ان مراده بالكفر العملي عمل الجوارح الخاص بها وهذا فهم باطل وتعليل عاطل من وجوه ﴿أحدها﴾ ان ابن القيم رحمه الله تعالى قد شنع في كلامه التشنيع الكلي على من شك في كفر تارك الصلاة كفرا موجبا للردة والخلود في النار والحالة هذه وعبارته ما نصه ومن العجب ان يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعا الى فعلها على رؤس الملا وهو يرى بارقة السيف على رأسه وشد للقتل وعصبت عيناه وقيل له تصلي والا قتلناك فيقول اقتلوني ولا أصلي أبدا ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وبعضهم يقول هو مؤمن كامل الايمان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل أفلا يستحي من هذا قوله من انكاره تكفير من شهد بتكفيره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة ﴿الثاني﴾ انه جعل في كتابه في الصلاة شعب الايمان قسمين قولية وعملية وكذلك شعب الكفر نوعين قولية وعملية فكما ان من شعب الايمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الايمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الايمان كالصلاة وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر كذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف والصلاة وقتل الانبياء فانه كفر عملي ﴿الثالث﴾ انه جعل حقيقة الايمان مركبة من قول وقسمه الى قسمين قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام ومن عمل وقسمه الى قسمين أيضا عمل القلب وهو نيته واخلاصه

ومحبته وانقياده وعمل الجوارح ورتب زوال الايمان بكماله على زوال هذه الاربعة فان زال بعضها فان كان التصديق لم ينفع باقي ما أتى به وان كان غيره فان كان عمل القلب فقط أو مع الجوارح فأهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للاوامر وان عملت الجوارح ظاهرا أو مع انتفاء عملها اللازم منه انتفاء عمل القلب وعبارته ما نصها وههنا أصل آخر وهو ان حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان قول القلب وهو اعتقاده وتصديقه وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته واخلاصه وعمل الجوارح فاذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفعه بقية الاشياء فان تصديق القلب شرط في اعتبارها لكونها نافعة صحيحة واذا زال عمل القلب فقط مع وجود اعتقاد الصدق أو زال عمل الجوارح أيضا فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع مجرد التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده للاوامر سواء عملت الجوارح ظاهرا أولم تعمل ووجد التصديق كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر ان يزول بزوال أعظم عمل الجوارح ولاسيما اذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره فانه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب اذ لو أطاع القلب وانقاد لاطاعت الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الايمان فانه ليس مجرد التصديق كما تقدم كلاما منافيه ودلائلنا عليه وانما هو التصديق المستلزم لطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه وان سمى الاول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما أن التصديق وان سمى تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للايمان ﴿الرابع قوله﴾ وههنا أصل آخر وهو ان الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكام دينه وما جاءت به رسله وهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه وأما كفر العمل فينقسم الى ما يضاد الايمان والى ما لا يضاده فالاول كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه والاستهزاء بما جاء به والحكم بغير ما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا راضيا بذلك وترك الصلاة عنادا وبغيا والثاني من أتى بمعصية لا تخرجه عن الايمان بالكلية كالزاني والسارق وشارب الخمر ومن لا يأمن جاره بوائقه لكن السجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه والاستهزاء بما جاء به عمل أغلبي لظهوره مضادا للايمان وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي المحض قطعا ولا يمكن ان ينفي عنه اسم الكفر بعد ان أطلقه الله ورسوله عليه بلا قرينة تقتضي انتفاءه عنه كما انتفت حقيقته عن مرتكب الكبيرة مع تسميته كافرا فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هو كفر عملي لا كفر اعتقادي ومن الممتنع أن الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا وسمى رسوله تارك الصلاة كافرا ولا يطلق عليهما اسم الكفر حقيقة مع انتفاء نص على بقائهما مؤمنين فان مراد ابن القيم رحمه الله بالكفر العملي هنا ان والشعبة فعلية

موجب زوالها زوال الايمان وثبوت شعبة فعليه من شعب الكفر موجب ثبوتها ثبوت الكفر فالعملي هنا أعم من عمل القلب والجوارح في الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة وغيرهما وان بقي قول القلب وهو اعتقاده وتصديقه لانتفاء عمله وهو محبته وانقياده لفعل الاوامر وفائدة قوله العملي المحض أي مع بقاء تصديق القلب من غير انقياد وهو لا يستلزم الايمان الموجب للاسلام ﴿الخامس﴾ تصريحه بان ترك الصلاة عمدا والحكم بغير ما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا كفر حقيقة مضاد للايمان ﴿السادس﴾ تفصيله وتفرقته بين كفر تارك الصلاة والحاكم بغير ما أنزل الله بشرطه وبين كفر السارق والزاني وشارب الخمر ومن لم يأمن جاره بوائقه بجعل كفر هؤلاء من جهة أعمالهم الظاهرة في قوله وقد نفي النبي صلى الله عليه وسلم اسم الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لم يأمن جاره بوائقه واذا نفي عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل الظاهر منه منتف عنه كفر عمل القلب لبقاء محبته وانقياده حكما فحكم الاسلام جار عليه كما تقدم لكن ليس بؤمن حقا والى ذلك أشار بقوله وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد اذ عمل القلب هما باق لم يفقد زيادة على قوله الذي هو التصديق وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فهذا كفر عملي ظاهر في الجوارح فقط وعمل القلب على حاله كما تقدم في الذي قبله وكذا يقال في قوله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد وقوله اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما وأمثال هذا كما تقدم الكلام فيه موضحا ﴿السابع﴾ جمله الايمان العملي بضاده الكفر العملي فيما اذا اتصف شخص بذلك تارة وبهذا أخرى كالذين ثبت ايمانهم بما عملوا به من الميثاق المأخوذ عليهم في الكتاب لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم ثبت كفرهم بما تركوه منه ومخالفتهم له وكمن يؤمن عاملا ببعض ويعرض تارة عن بعض فالايمان الاعتقادي والحالة هذه يضاد الكفر الاعتقادي وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ففرق بين سبابه وقتاله وجعل أحدهما فسقا لا يكفر به والآخر كفر ومعلوم أنه انما أراد الكفر العملي الظاهر لا الاعتقادي وهو عمل القلب فما دام محبا منقادا لفعل الاوامر لزم منه فعل المأمورات من صلاة وغيرها ومتى فقد عمله فقدت المأمورات وان وجد قوله وهو مجرد التصديق بلا انقياد واذا حصلت هفوة القلب بوجود الران عليه من نحو شدة فرط الشهوة فحصل شيء من المعاصي المتقدمة الظاهرة في الجوارح وعمل القلب باق على ما كان عليه أولا فحكم الاسلام باق ولكن انتفى عنه كمال الايمان بظاهر أعماله السيئة ومتى أطلق عليه اسم الكفر بذلك فانه لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية كما تقدمت دلائله من الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وان زال عنه اسم الايمان وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقى هذه المسائل الا عنهم فان المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقا أخرجوا من الملة أهل الكبائر ونصوا على أصحابها بالخلود في النار وفريقا جعلوهم مؤمنين وهؤلاء الذين جعلوهم مؤمنين لا يرون ترك الصلاة كفرا بل عندهم الايمان مجرد التصديق وهو قول باطل بالكتاب والسنة واجماع صالح سلف الامة ﴿الثامن﴾ انه قد قال والمقصود ان سلب الايمان عن تارك الصلاة أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر وسلب اسم الاسلام عنه أولى من سلبه عمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فلا يسمى تارك الصلاة مسلما ولا مؤمنا الى ان قال هل هي

شرط لصحة الايمان هذا سر المسئلة والادلة التي ذكرناها تدل على انه لا يقبل من العبد شيء من اعماله الا بفعل الصلاة فهي مفتاح ديوانه ورأس مال ربحه ومحال بقاء الربح بلا رأس مال فاذا خسرها خسر أعماله كلها وان أتى بها صورة وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا في قوله وان ضيعها فهو لما سواها أضيع وفي قوله أول ما ينظر في أعماله الصلاة فان جازت له نظر في سائر أعماله وان لم تجز له لم ينظر في شيء من أعماله فصريح كلام ابن القيم المتقدم موافق لكلام الله وسنة رسوله ان تارك الصلاة عمدا كافر مستوجب لخلوده في النار وقد زعم صاحب المقدمة ان الكفر الحقيقي خاص بالاعتقاد وهو عدم تصديق القلب أو مع عمل الجوارح أيضا كالسجود لصنم واهانة المصحف وقتل النبي فاما فقدان عمل القلب فقط فلا يكون كفرا حقيقيا واستدل على ذلك بقوله ولا يهين المصحف أو يسب نبيا أو يقتله وهو مصدق انه نبي وبقول قريش لولم انك رسول الله لما صددناك عن البيت وزعمه ذلك وهم باطل وفهم عاطل من وجوه ﴿أحدها﴾ انه قد فهم ان العمل انما منشؤه ومورده الجوارح خاصة فاما القلب فليس فيه الا الاعتقاد وهو التصديق خاصة وهذا مناف لمعرفة حقيقة الايمان الذي تترتب على معرفته دعوى العلم والقول به فان حقيقته مركبة من عمل القلب وهو محبته وانقياده واخلاصه لفعل الأوامر واتباع الرسل في كل ما جاؤا به من عند الله وعمل الجوارح فيما يوجد من قبلها عند طاعة القلب وانقياده قال سبحانه وتعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ومن قوله وهو تصديقه في كل ما جاءت به الرسل وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام والاقرار بما يجب الايمان به ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ولفظه لمسلم ﴿الثاني﴾ انه فهم ان الايمان يكفي فيه مجرد التصديق القلبي وان لم يوجد عمله ولا عمل الجوارح وهذا بعينه قول المرجئة ومعتقدهم فانهم يقولون الايمان قول بلا عمل وقد رد البخاري وغيره من الأئمة الاعلام على هؤلاء القوم اللئام وبينوا غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة كمالك والثوري والاوزاعي ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين وأهل العراق والحجاز والشام وغيرهم قال البخاري في رده عليهم باب أمور الايمان وباب الصلاة من الايمان وباب الزكاة من الايمان وباب الجهاد من الايمان فاهل السنة مجمعون على انه متى زال عمل القلب فقط أو هو مع عمل الجوارح زال الايمان بكليته وان وجد مجرد التصديق فلا ينفع مجردا عن عمل القلب والجوارح معا أو أحدهما كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم سرا وجهرا ﴿الثالث﴾ قوله والذي يقوى عندي ان يكون هذا من الكفر الاعتقادي والعملي معا فانه عنى بالاعتقاد عدم التصديق من الذين سبوا الرسول واستهزؤا به وهذا يرده صريح قوله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قال المفسرون معنى ذلك انهم لا يكذبونك يا محمد ولكنهم يجحدون آيات الله فالجحدان والتكذيب راجع للآيات نفسها لا للرسول فان القوم لم يكونوا يكذبونه في السر بل وأكثرهم يصدقه علانية فان الحرث

ابن عامر من قريش قال يا محمد والله ما كذبت قط ولكن ان اتبعناك نتخطف من أرضنا فنحن لا نؤمن بك لهذا السبب وقال الاخنس بن شريق لأبي جهل يا أبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهم لا يكذبونه بقلوبهم بل ولا بألسنتهم فيما بينهم ولكن لا يعترفون به ظاهرا عنده فهم وان قالوا ظاهرا لولا أنزل عليه ملك يعرفونه في قلوبهم كما يعرفون أبناءهم لكن منهم من يتعنت فيقوله بلسانه يجب ان يكون رسول الله من جنس الملائكة وذكر الله ذلك عنهم في سورة الأنعام شبهتهم وأجاب تعالى عنهم ومنهم من يقول ان محمدا يخبرنا بالحشر والنشر بعد الموت وذلك محال وكانوا يستدلون بامتناع الحشر والنشر على الطعن في رسالته ظاهرا فذكر الله ذلك وأجاب عنهم بأجوبة كثيرة هي موجودة في القرآن فشاقوه بهم له بالسفاهة والاستهزاء أو القتل كما قتلوا الانبياء من قبل وقلوبهم معترفة ولكن جحدوا بآيات ربهم كما قال تعالى في قصة موسى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴿الرابع﴾ نعيه الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة ان يكونا عملي قلب بل جعلهما عمل جوارح خاصة واستدل به على عدم كفر من لم يحكم بما أنزل الله عمدا وتارك الصلاة عمدا لوجود التصديق والاكتفاء به فاما كفر من لم يحكم بما أنزل الله فقد قال العلماء هذا اذا ورد نص حكم الله عيانا عمدا لعدم انقياده له والعمل به محبة واتباعا فانه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب اذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعته الجوارح وانقادت ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده للنص عدم التصديق المستلزم للطاعة التي هي حقيقة الايمان واما مجرد التصديق من غير استلزام ولا انقياد فليس بايمان ألبتة واذا كان كذلك فترك الحكم بما أنزل الله والحكم بغيره من أعمال القلب لا سيما وقد قال قتادة والضحاك في سبب نزول هذه الآيات انه في اليهود الذين كانوا يعلمون صدق ما حكم عليهم في الكتاب فخالفوه وقد قال العلماء ان من خالف نص كتاب الله وحكم بضد ما فيه وما تضمنه عيانا عمدا تناوله حكم هذه لا ان أخطأ في التأويل وقال عكرمة من عرف بقلبه أنه حكم الله ولم يقر بلسانه و ينقاد اليه بقلبه بل جحده فقد كفر كفر الايمان معه أما من اعترف بقلبه ولسانه انه حكم الله ولكنه أخطأ الصواب أو حكم بضده مع علمه والاقرار به فلا كفر وقد قال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل متى وجد منه ذلك كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فقال انها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل فهو كافر ظالم فاسق فاما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع التي منشؤها الفروع لم يستوجب الكفر حقيقة وعلى هذا يحمل كلام ابن عباس وطاوس وأما ترك الصلاة عمدا فهو مناف لحقيقة الايمان المستلزم للاسلام المترتب على وجوده تخلية السبيل فانها وان اقترن فعلها بالجوارح ظاهرا فهي مستلزم عملها العمل القلب ظاهرا وباطنا فان وجد عملها وجدت وان عدم عدمت وقد تقدم الكلام عليها مستوفى مفصلا بادلته التفصيلية من الكتاب والسنة وكلام صالح سلف الامة ﴿وأما قولكم﴾ أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون انه ليس كفرا ينقل عن الملة انه كفر دون كفر وقال عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم

وفسق دون فسق ﴾ فنقول كلام ابن عباس رضي الله عنهما فيمن لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع التي منشأها الفروع خاصة مع الاعتراف بالقلب والاقرار باللسان انما عدل عنه هو حكم الله كما قال عكرمة في قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ان من عرف بقلبه انه حكم الله ولم يقر بلسانه ولم ينقد اليه بقلبه بل جحده فقد كفر كفر الا ايمان معه ان من اعترف بقلبه وأقر بلسانه انه حكم الله ولكنه أخطأ الصواب وأتى بما يضاده من مسائل الفروع التي ليس لها تعلق بالاصل من غير استحلال فلا يدخل في الكفر الحقيقي وقد سئل علقمة ومسروق وابن مسعود عن الرشوة في الحكم أهي من السحت فقال ذلك الكفر ثم تلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن لم يحكم بما أنزل الله الآية قال من لم ينقد اليه بقلبه ولم يقر بلسانه كفر كفرا حقيقيا ومن أقر به وانقاد اليه ولكنه لم يحكم به ظاهرا فهو ظالم فاسق رواه ابن جرير وقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هذا في المسلمين ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قال في اليهود ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون قال في النصارى وكذا رواه هشيم والثوري عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي وقال البراء وحذيفة وابن عباس والحسن وغيرهم نزل قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون في أهل الكتاب قال الحسن وهي علينا واجبة وقال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن ابراهيم الحربي نزلت في بني اسرائيل ورضي الله لهذه الامة تنبيها فنفى عنها الكفر وسبب النزول وان كان خاصا فعموم اللفظ اذا لم يكن منسوخا معتبر ولان قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله كلام داخل فيه كلمة من في معرض الشرط فتكون للعموم لكن تحقيق معنى الآية ان الحكم بغير ما أنزل الله ان كان في الاصل من التوحيد وترك الشرك أو كان في الفروع ولم يقر اللسان و ينقد القلب فهو كفر حقيقي لا ايمان معه كما تقدم عن عكرمة فاما من اعترف بقلبه وأقر بلسانه بحكم الله ولكنه عمل بضده ظاهرا في الفروع خاصة فليس بكفر ينقل عن الملة قال طاوس ليس ككفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثوري عن ابن جريج عن عطاء انه قال هذا كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق رواه جرير وقال وكيع عن سعيد المكي عن طاوس قال ليس الحكم في الفروع بغير ما أنزل الله مع الاقرار بحكمه والمحبة له ينقل عن الملة وعن طاوس عن ابن عباس قال ليس بالكفر الذي تذهبون اليه رواه الحاكم وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد جنح الخوارج الى العموم لظاهر الآية وقالوا انها نص في ان كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله فوجب أن يكون كافرا وقد انعقد اجماع أهل السنة والجماعة على خلافهم ونحن لم نكفر الا من لم يحكم بما أنزل الله من التوحيد بل حكم بضده وفعل الشرك ووالى أهله وظاهرهم على الموحدين أو من لم يقم أركان الدين عنادا وبغيا بعد ان دعوناه فامتنع وأصر أو من جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من سائر الامور الدينية والمغيبات الايمانية ﴿ وأما قولكم قال ابن القيم ان الصحابة والتابعين لما رأوا تعارض الاحاديث مثل حديث حتى يقولوا لا اله الا الله وحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق مع أن الجنة محرمة على الكافرين كما دلت عليه النصوص القرآنية مع هذه الاحاديث التي تقدم ذكرها من وصف من أتى بهذه المعاصي من عدم الحكم بما

أنزل الله وترك الصلاة عامدا واتيان الكاهن وغيرها بالكفر مع ان مرتكب هذه الخصال مقر بالشهادتين معتقد لهما ذهبوا الى تقسيم الكفر الى القسمين المذكورين اللذين هما كفر اعتقاد وكفر عمل ﴾ فنقول أما كلام ابن القيم الذى قاله بفمه وكتبه بقلمه فهو ان الاعتقاد ما كان من وظائف القلب الشامل لعمله كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر وتصديق الرسول فيما جاء به واخبر عنه والعمل بمقتضى ذلك شرط فى صحة الايمان أو ما يضاده من التكذيب أو الشرك أو عدم العمل به بعدم الحكم بما أنزل الله ان كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا وترك الصلاة بالكلية عامدا عنادا * فالاول هو الدين الذى لا يقبل الله غيره * والثانى هو الكفر الذى ليس معه ايمان * فاما اعمال الجوارح الظاهرة كالزنا وشرب الخمر واتيان الكاهن بلا تقدم لكلامه على كلام الرسول ومن لم يأمن جاره بوائقه وضرب أعناق بعض المسلمين بعضا وعدم الحكم بما أنزل الله فى الفروع التى ليست من أصل الدين مع الاعتراف بحكم الله فى قلبه وقوله ومحبته واختياره وانقياده اليه فيهما وعدم المحافظة على الصلاة فى أوقاتها فهذا وان أطلق الشارع على مرتكبه الكفر فلا يخرج به عن الملة لحديث أبى ذر وغيره وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور مع قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعلى هذا مضى سلف الامة وخيارها وهم أعلم بمعنى كلام الله ونص رسوله صلى الله عليه وسلم * فان الصحابة والتابعين لما رأوا تعارض الاحاديث مثل حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق مع هذه الاحاديث التى تقدم ذكرها من وصف من أتى بهذه المعاصى كعدم الحكم بما أنزل الله وترك الصلاة عن وقتها عامدا واتيان الكاهن وغيرها بالكفر ونفى الايمان عن الزانى والسارق والشارب مع ان الجنة محرمة على الكافرين كما دلت عليه النصوص القرآنية ومرتكب هذه الخصال مقر بالشهادتين معتقد لهما ذهبوا الى تقسيم الكفر الى القسمين المذكورين اللذين هما كفر اعتقاد وكفر عمل فمنه يعلم معنى جعله ترك الصلاة بالكلية وعدم الحكم بما أنزل الله حيث كان فيه رد لنص حكم الله عيانا عمدا كفر عمل على انه عنى عمل القلب وهو عدم انقياده ومحبته لأوامر الله والعمل بها ظاهرا وباطنا فأما ان كان قد جحد وأنكر شيأ من أركان الدين فهو اعتقاد محض وان كان الترك مع الاقرار والاعتراف فهو من عمل القلب المحض وعمله ملحق باعتقاده فى عدم انقياده كما قدمه آنفا فبذلك فارق أعمال الجوارح الظاهرة من سائر المعاصى التى لا تخرج عن الملة وتقسيم اسم الكفر الى قسمين باعتبار أعمال الجوارح الظاهرة واعتقاد القلب الشامل لعمله ولان قوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله دليل على انه لا بد من اقامة حقها ومن أعظمه اقام الصلاة وايتاء الزكاة كما تقدم عن الصحابة والتابعين ولحديث ابن عمر بنى الاسلام على خمس فعد منه هذين الركنين اللذين هما أعظم دعائمه بعد الشهادتين وكذا الحكم بما أنزل الله فيما نص على حكمه عيانا وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به وأخبر عنه والعمل بمقتضى ذلك شرط فى صحة الايمان المقتضى للاسلام وحديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة مطلق والاحاديث التى وردت فى الصلاة ونفى الشرك مقيدة وكذا الآيات والمطلق يحمل على المقيد * وقد انعقد الاجماع على أن كلام الله وكلام رسوله لا يخالف بعضه بعضا وانه لا يخرج أحد من المسلمين بعمل ذنب من غير

استدلال له فيا سبحان الله كيف يدلي علينا بكلام ابن القيم من لم يعلم حقيقة أمرنا وما أدلى به علينا فانه يزعم انا نكفر بالذنوب وهذا توهم منه وجراءة وبهتان بلا خشية علام الغيوب فهو من القول بلا حلم والحكم بلا علم ومن تصدر لدعوى القول والقيل فانما يطلب منه الدليل * واذا أقررتم بالكفر الاعتقادي وبالحكم به على المشركين فلما لا تحكمون به على هؤلاء الذين يعتقدون النفع والضر في المخلوقين من الاولياء أو من الشياطين وان الله أعطاهم وفوض اليهم فهم ينفعون ويضرون ويقبضون ويبسطون وانهم للخلق أولياء مع الله ويشفعون فيما سئل منهم وفي الكون يتصرفون بل تعترضون علينا في رسائلكم ومقدماتكم وتقولون ان ذوي العقائد الذين اعتقدوا أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون في جلب ما طلب منهم ويضرون كما اعتقد أهل الجاهلية ذلك في الاصنام لكن هؤلاء جاهلون يقرون بألسنتهم أن لا اله الا الله ونحن نقول أفلا ميزتم الفرق بين الفريقين اذ الاولون لم يعتقدوا ما اعتقده هؤلاء الآخرون من هذا الاعتقاد المنافي للدين والمثبت للفساد هذا لم يعتقده أحد ممن سلف من العباد وانما حدث من عمى القلوب والجهل في حقيقة ما هو من العبيد مطلوب والاولون لم يعتقدوا الا مجرد الشفاعة والتقريب في نبي أو ملك أو ما هو مصور على صورته ليشفع له ويقرب له من الرب المجيب ولم يشركوا في كل حين بل يشركون تارة في مجرد الشفاعة والتقريب ويخلصون الدين تارة لله رب العالمين واحراها وقت حاجتهم في كل شدة وغمة يخلصون له الدعوة التي سماها الله دينا وقولهم لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك دليل على انهم لم يعتقدوا فيه الضر والنفع والعطاء والمنع والتفويض وانما اعتقدوا فيه ما حكى الله عنهم في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أفلا نهيتم عن هذا الاعتقاد * وأنكرتموه على معتقديه حتى لا تكون فتنة ولا في الدين فساد * بل من نهى عنه أو عن منكر أقل منه نسب ذلك الناهي الينا * وحصرت عقيدته علينا * فقيل له أو عنه وهابي أو عارضي أو شرقي * وان كان نائيا عنا ولم يعرفنا * فلا أجبتم الداعي حين دعاكم الى سبيل الرشاد * وان القرآن ينادي ويأتيه للسبيل المطلوب يهدي ويسدي وعلى المختلفين يحكم ويقضي * والسنة الغراء عما حكم به القرآن تحكم * ولمعانيه المرادة منه تعطي مبتغيها وتتم * ومن استمسك بالكتاب والسنة فقد غنم وسلم قال سبحانه وتعالى لحبيبه أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم معلما له ان يقول ما يدل على أن الخير والشر من عند الله وانه لا يقدر على جلبهما أو دفعهما الا الله وحده قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله الآية وقال تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال تعالى قل ان الامر كله لله وقال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقال تعالى لصفوة خلقه اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من

الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم
ظالمون وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قنت على حي من العرب المشركين يدعو عليهم شهرا
فانزل الله ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وأما الرسول صلى الله عليه
وسلم فانه مبلغ عن الله تجب محبته في القلوب على الاهل والنفس والمال والولد وعلامتها اتباع
شرعه وماجاء به لاعبادته وجعله بمنزلة رب العالمين فانه لم يقاتل هو وأصحابه ويعادي ويوالي ويهاجر
من بلد مولده ويبارز عشيرته ويقتل بعمه ويرسله الله هو وسائر الرسل وتنزل الكتب الا بسبب
عبادة الله وحده لا شريك له ليكون الدين كله لله وغيره صلى الله عليه وسلم من الاولياء من باب الاولى
فان الولي لا ينال الولاية ولا يؤتى الكرامة الا بالتوحيد قولا وعملا واعتقادا والاخلاص في اتباع
ماجاء عن الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشاهم ان يرضوا بزعم من زعم ان لهم
من الأمر شيئا بل هم أطاعوا الله واتبعوا رسله وأحبوه فاحبهم ورضي عنهم وأكرمهم كما قال جل ذكره
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وأما الامر فانه كله لله فليس للخلق من دونه ولي ولا
شفيع الا من بعد اذنه كما قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * وقال
تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر الشفعاء لا يشفعون
الا من بعد اذن الله لهم فيها لمن رضي عنهم * ولهذا اذا جاء سيد الشفعاء يوم القيامة يخر ساجدا ما شاء
الله فيقال له ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط * وعن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله * واعلم أن
الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك
بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي * وقال
حديث حسن صحيح * وفي رواية للترمذي احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة * واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك * واعلم أن النصر مع
الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا * وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع
لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد * وهذا كله نص في أن الضر والنفع
والاستعانة والدعاء بما لا يقدر عليه الا الله لا يلتمس شيء من ذلك الا من الله وحده وان الخلق ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع الا من بعد اذنه فلا يدعى بما لا يقدر عليه أحد من المخلوقين الا الله وحده ولا
يتوكل فيه الا عليه ولا يرجى فيه الا هو ولا يلتجأ الا اليه اذ هو المعطي والشافع في الحقيقة فانها اذا
وقفت على اذنه كان الامر كله له فحينئذ تقول اللهم انا نسألك شفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم اللهم
شفعه فينا فالعبادة بانواعها لله وحده ليس له شريك * ولذلك قدم المعمولين ليفيد تقديمهما حصر
العبادة والاستعانة لمستحقها وهو الله تبارك وتعالى وحده في قوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الآية وقوله فصل لربك وانحر وقوله
له دعوة الحق * أفلا تدبرتم معاني هذه الآيات وما ورد في سياقها من الاحاديث * فانقدتم لجميع ما دعت
اليه وأعانت به ودلت عليه من ان الدين كله لله والامر كله له * فحينئذ وقعتم على صحة عقيدة من نسب

العامل بها وعاملها والناهي عن ضدها ومخالفها اليه اذا قيل له أوعنه وهابى أو عارضى أو شرقى
كما قيل فى الصدر الأول لمن تبع ما جاء عن الله وخالف من خالف أوامر الله انه صابئ ومن وافق الحق
تبع وان كان واحدا ويسمى وحده أمة كما قال الله عن ابراهيم حين خالف قومه فيما نهى الله عنه
وتبع رضوانه وعمل بتوحيده ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وقد سمى
الله تبارك وتعالى كلمة الاخلاص كلمة التقوى لانها السبب لكل خير دنيوى وأخروى عكس كلمة الفجور
فانها السبب فى كل شر دنيوى وأخروى ومن اكتفى بمجرد لفظها عن معناها لجانبه وعمل بضدها
وهو الكلمة الخبيثة المنافية لامعنيها ومسماها من كل فعل أوقول أو اعتقاد خبيث معناه يبطلها
ويأباها فانه قد عكس اسمها فى اعتقادها ومشتها الذى زعمه انه متى قالها مع قرينتها وهى الشهادة
لمحمد بالرسالة ولا يضره ما من القول أو الفعل أو الاعتقاد مهما قال أو فعل أو اعتقد وهذا مناف لحقيقة
الاسلام وداع عن الايمان لعدم استسلامه وانقياده للعمل فى الدين الذى قال الله عنه ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه واذا فقد العمل بمعنى هذه الكلمة الطيبة ووجد العمل بضدها الشامل للقول أو
الاعتقاد عدمت بالكلية وان تلفظ بها وقالها باللسان اذ لا يجتمع متضادان فى شئ واحد والمثبت له
الاسلام فى هذه الحالة جامع بين النقيضين وهو غير ممكن فلا أحد كائنا من كان يجعل عبادة الله التى هى
خاصة بجلاله لغيره تعالى من الخلق الا كانت للشيطان وأعوانه كما قال جل ذكره ألم أعهد اليكم يا بنى
آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا
كثيرا أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس يعنى من اغوائهم فى دار
الدنيا ﴿وأما حديث﴾ أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا ان الشيطان قد يئس ان
يعبد فى جزيرة العرب ﴿فالجواب عنه من وجوه أحدها﴾ ان لفظ الحديث يأس لا يئس واذا كان
اليأس جاء من قبل نفسه لامر رآه من أمور النبوة وانتشار الدعوة وانزال التنزيل مع كثرة الاجابة
فى تلك المواطن فلا مانع من عبادته ولو بعد حين وانما يئس لما قام فى ذهنه مما رأى مع حرصه على اغواء
بنى آدم ﴿الثانى﴾ ان اللعين كان يداخل الصور التى صورها المشركون ويكلمهم فيها كما قال جل
ذكره ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله فلما نزل قوله تعالى وقل جاء
الحق وزهق الباطل وكسرت تلك الصور التى يكلمهم فيها يئس فى نفسه ان يعبد كذلك ولا منافاة ان
من عبد الله عبادته واقعة للشيطان لان اياسه انما هو بالنسبة الى اعادة تلك الصور الى ما كانت
على صفتها الاولى ﴿الثالث﴾ انه يئس ان يعبد ظاهرا بلا واسطة قبر أو تمثال كما عبد فى غير الجزيرة
كذلك فانه قد وجد من عبد صورته امتثالا ﴿وأما بيان﴾ الجزيرة فقال سعيد بن عبد العزيز
والاصمعى وأبو عبيدة هى من ريف العراق الى فدك طولا ومن تهامة وما وراءها الى طرف الشام
عرضا وقيل هى من أقصى عدن أبين اسم رجل الى ريف العراق فى الطول وأما فى العرض فمن جدة
وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام وقال الخليل انما قيل لها جزيرة لان بحر الحبش وبحر
فارس والفرات قد أحاط بها ونسبت الى العرب لانها أرضهم ومسكنهم ومعدنهم وقال الامام أحمد جزيرة
العرب المدينة وما والاها وهو مكة وخيبر والينبع وفدك ومخاليفها وما والاها وهذا قول الشافعى لانهم
لا من تيما ولا من اليمن والآيات والأحاديث فيما ذكرنا كثيرة جدا ولكن اتباع الهوى من أكبر
البلوى ولا أشد ضررا على الانسان من ميل الهوى واتباعه فيما يسخط الله تبارك وتعالى فانه قال

عزمن قائل أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتحت ظل السماء اله يعبد من دون الله أبغض الى الله من هوى ﴿وأما قولكم وقد قسمه العلامة ابن الجوزي في النهاية الى أربعة أقسام * كفر انكار بان لا يعرف الله تبارك وتعالى أصلا ولا يعترف به * وكفر جحود ككفر ابليس لعنه الله اذ كان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه * وكفر عناد وهو أن يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا واستكبارا واستحياء من قومه ككفر أبي جهل وأبي طالب وأضرابهما * وكفر نفاق وهو أن يعترف بلسانه ولا يعتقد بقلبه﴾ فنقول قد شاع وذاع وتقطعت به الاسماع وتواترت الاخبار وامتلأت الدواوين أن الكفر من حيث هو ينقسم في تعريفه الى أربعة أقسام وكل قسم مغاير لقسيمه في المعنى الذي يسمى به وهذه الأقسام متفقة في حقيقة معنى الكفر وأصله من الستر ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمي الزراع كافرا لانه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده اياه ﴿الاول كفر الجحود﴾ وهو أن يكفر بما يعلمه في قلبه من أسماء الرب أو صفاته أو أفعاله أو دينه وأحكامه أو رسله أو ماجاءت به من الحق فلا يقر به في لسانه لا يعمل به في جوارحه وهذا هو كفر ابليس عليه اللعنة ومشابهيه الكاتمين الحق بعد علمهم اياه كاليهود ومشاكليهم من علماء السوء العاملين بالباطل والبهتان والقائلين الزور فيما جاء به القرآن وهم المجوزون المنكر والعاكفون عليه والناهون عن المعروف ومايوصل اليه والصادون عن سبيل الله ومايقرب لديه قال سبحانه وتعالى في حق أولئك مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين فكل من عرف الحق من الدين ولم ينقد اليه ولم يعمل به فهو كافر ككفرهم وهو ملعون كما لعنوا وقال تعالى في حق هؤلاء الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذه شاملة الفريقين ﴿الثاني كفر انكار﴾ وهو أن ينكر الله أو دينه أو رسله أو كتبه أو شيأ مما جاؤا به في القلب واللسان ﴿الثالث﴾ كفر العناد وهو أن يعرف الحق بقلبه ويعترف به في لسانه ولكن لا يعمل به ككفر أبي طالب وأمثاله حين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الدين والعمل به من ايمان وغيره فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن أذب عنك ماحييت وقال في النبي صلى الله عليه وسلم ودينه أبياتا يثني عليه بها وهي هذه

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بانه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

* قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل نزل قول الله سبحانه وتعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ويمنعهم منه وينأى بنفسه عن الايمان بدينه أي يبعد نفسه عن العمل به حتى انه اجتمع اليه رؤساء المشركين وقالوا خذ شابا

من أصبحنا وجهاوادفع الينا محمدا نستريح منه فقال أبوطالب ماأنصفتموني أدفع اليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم ولما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة * قال لهم امشوا الى أبي طالب فأتوا أبا طالب ومعهم أبوجهل وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك وأنصفنا منه * فأرسل أبوطالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا به فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك سؤالا فلا تمل كل الميل على قومك * فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يسألوني قالوا ارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك * فقال صلى الله عليه وسلم أدعوكم الى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم أي تطيع فقال أبوجهل لله أبوك نعطيكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا لظنهم ان الاله الواحد لا يسع الخلق ولا يصلون الى قربه الا بوسائط ورسائل تقربهم اليه وتتوكلون عليهم ويتقربون لديهم شفاعتهم عنده فهم يتألهونهم بقلوبهم بمحبتهم وتعظيمهم واجلالهم واكرامهم زاعمين ان ذلك فيه رضاء الله وانه تعالى أمر به كما قالوا في الآية الأخرى لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا آباؤنا لأن ماتألهوه اما نبيا أو ملكا أو صورة أحدهم فلذلك تعجبوا مما دعاهم اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لشيء عجاب أي عجيب والعجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وانطلق الملأ منهم من مجلس [illegible] عند أبي طالب الذي كانوا فيه وسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة [illegible] يقول بعضهم لبعض أن امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم [illegible] على ماهم عليه من الباطل وعداوة الحق أي اثبتوا على معتقداتكم لتقربكم الى [illegible] ان هذا الشيء يراد أي هذا الاعتقاد بالآلهة يراد منا لا محالة عن ذلك [illegible] بل هم مأمورون بالاسباب الموصلة اليه وقيل معناه انه لأمر يراد بنا [illegible] قوة كأنه عندهم قالوا ان هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لأمر يراد بنا [illegible] علينا ويتولى أمرنا وما نحن فيه ولما كان الدين الذي لا يقبل الله غيره [illegible] قالوا ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الآخرة هي ملة قريش [illegible] كانوا عليه بلا أصل وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي يعنون النصرانية [illegible] يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة ان يعني ما هذا الا اختلاف كذب وافتعال [illegible] عن الحق واتباعه قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا وليس باكبرنا ولا اشرفنا [illegible] بل هم في شك من ذكري أي وحيي وما أنزلت على عبدي والمراد به القرآن وما نزل [illegible] وهو التوحيد بل لما يذوقوا عذاب تهديد لهم أي سيذوقونه ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول وصدقوا حيث لا ينفعهم التصديق لأن لما تدل على عدم وقوع المنفي بها في الحال لا في الاستقبال [illegible] معنى كفر العناد هو ان يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين بما عرفه واعترف به [illegible] في مصنفاته ويقول في معتقداته ان الايمان يكفي فيه مجرد التصديق [illegible] ويسمى المصدق مؤمنا وحيث ترك العمل فهو كافر كفرا [illegible]

وحقيقة وهل هذا الاتناقض فيما قاله أوادعاه ونقض لما أبرمه فيما حكاه فلله الحمد والمنه ﴿الرابع﴾ كفر النفاق وهو ان يعترف باللسان ويعمل بشرائع الاسلام ظاهرا ولا يعتقد فى القلب بل اما يكذب أو يستخف ولكن يعمل خوفا وتلجئة فهو النفاق الذى صاحبه فى الدرك الاسفل من النار و جميع هذه الانواع سواء فى أن من لقى الله بواحد منها الا يغفر له بل هو مخلد فى النار بنص التنزيل وأحاديث البشير النذير ﴿وأما قولكم﴾ قال ابن القيم وهذا الجمع والتوفيق بهذا التفصيل هو قول الصحابة وعليه الاعتماد لان أمثال هذه المسائل لاتتلقى الامنهم ولاتؤخذ الاعنهم اذهم الواقفون على اسرار الكتاب والاحاديث والمتأخرون لما لم يفقهوا مرامهم افترقوا فرقتين فرقة أخرجت مرتكب الكبيرة عن الملة المحمدية وقضوا عليهم بالخلود بالنار وفرقة جعلوهم مؤمنين كاملى الايمان فهؤلاء غلوا وهؤلاء جفوا وهدى الله أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى والقول الاوسط حيث لم يخرجوهم عن الايمان ولم يقضوا عليهم بالخلود ولم يجعلوهم بحيث لاتضرهم المعاصى وهذا هو الموافق للمنقول عن علماء الصحابة والتابعين من تقسيم الكفر الى القسمين المذكورين ﴾ فنقول هذا مما قدمناه وقلناه والحق ماقاله ابن القيم ولكن لايختص بفهمه والعمل به الامن سبقت له من الله الحسنى والمقام الاسنى والعناية الربانية والسعادة الابدية فانه عنى بذلك ماعناه الأئمة الاعلام الذين هم مصابيح الهدى والدين من سائر الانام وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان كابى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد والثورى والاوزاعى وغيرهم من أئمة الدين حتى البخارى ومسلم كلهم على ان المسلم لايكفر بذنب يفعله ولايخرج به من الملة كالقتل والزنا وشرب الخمر وقوله لأخيه المسلم ياكافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام وسائر أفعال المعاصى الا الشرك بالله الاكبر الذى لايغفره تعالى كما حكاه بنص التنزيل او استحلال ماحرمه الله أو تحريم ماحلل كما قدمنا الكلام فيه وعلى هذا دل الكتاب والسنه وبه نطق أولوا العلم والحكمة قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم فسماهم مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغى بعضهم على بعض وقال تعالى فى بيان الكفارة فتحرير رقبة مؤمنة ولو أعتق مذنبا أجزأ عتقه باجماع أهل العلم وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحكم عليهم بالكفر الموجب للردة ولاقطع الموالاة بينهم و بين المسلمين بل جلد هذا ورجم هذا وقطع يد هذا وهو فى ذلك يستغفر لهم ويقول لاتكونوا أعوان الشياطين على أخيكم وفى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا يشرب الخمر يقال له عبد الله وأتى به شارب فلعنه رجل وقال ماأكثر مايؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلعنه فانه يحب الله و رسوله ولما أتى ذوالخويصرة وهو رجل ناتئ الجبين غائر العينين كث اللحية وقال يامحمد اعدل فانك لم تعدل فاراد بعض الصحابة قتله فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعه انه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وهذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما فهذا العابد الظاهر العبادة هو ومن اتبعه لما جانبوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتدعوا بدعة نواعها منهم عنها وخالفوه وخالفوا الصحابة ودعوا الى بدعتهم واستحلوا دماء من لايوافقهم عليها أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وذلك الشارب الخمر لما كان محبا لرسول الله ولسنته نهى صلى الله عليه وسلم

عن لعنه وقال لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فهذا يرد ما ذهب اليه المعتزلة والخوارج من التكفير بالذنوب ووجوب النار والتخليد لمن مات عاصيا لمقلب القلوب وكذلك المرجئة القائلون بأن الايمان لا تضر معه المعصية كما ان الكفر لا تنفع معه الطاعة وترك الاعمال التي من الدين معصية لا تضر مع وجود التصديق القلبي اذ هو الايمان عندهم ووجوده كاف عن غيره ولكل شبهة مستند اليها قد ذكرناها فيما تقدم فهدى الله أهل السنة والجماعة للطريقة المثلى والقول الاوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل حيث لم يخرجوهم عن الايمان ولم يحكموا عليهم بالخلود في النيران ولم يجعلوهم بحيث لا تضرهم المعاصي والاستغراق في الطغيان لأنهم بقول الله ورسوله متمسكون وعلى قول الصحابة والتابعين لهم باحسان معتمدون ولمن خالفهم مجانبون اذ هم على أسرار الكتاب واقفون وبسنة نبيهم آخذون ولا تناقض في تلك المسائل وتؤخذ الاعنهم ولا يهتدي المهتدي ويفوز المسترشد الا بهديهم واتباع سنتهم ومن جانبهم فقد أبعد وضل وأضل فان انضاف الى المجانبة الاعراض عن منهج الرسول وما كان عليه هو وأصحابه ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ﴿وأما قولكم قال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق﴾ فنقول هذا بعينه ما قاله ابن القيم وغيره نقلا عن الصحابة والتابعين من ان أعمال الجوارح الظاهرة كالزنا وشرب الخمر وتيان الكاهن مع عدم تقديم كلامه على كلام الرسول ومن لم يأمن جاره بوائقه ومن لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع التي هي الفروع مع الانقياد لحكم الله في الاصول بالقلب والقول باللسان وسائر المعاصي الظاهرة لا يخرج مرتكبها عن خطة الاسلام وان لم يسم مؤمنا حقا فلا يقال عنه كافر حقا بل هما كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك وظلم دون ظلم وفسق دون فسق فان سفيان بن عيينة عن هشام بن حجر عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ليس هو الكفر الذي تذهبون اليه وقال عبد الرزاق حبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه طاوس قال سئل ابن عباس عن قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هو بهم كفر ولكن ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله وكتاشى ... اخرى كفر لا ينقل عن الملة وتقدم الكلام فيه مستوفى عند قوله وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وغيرهم عن ابن عباس في تفسير هذه الآية وانه رضي الله عنه فسر تفسيرا حسنا قد ذكرناه عنه فيما سلف وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وهذا كله رد على المعتزلة والخوارج الضالين عن طريق الحق والصواب والمخير عن طريقة أفضل الاحباب ﴿ونحن ولله الحمد﴾ على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم معتمدون وبكلامه آخذون ولمن خالفه مجانبون ومعادون والدليل على صحة ما قلناه واعتقدناه انا لا نكفر الا من كفره الله بنص التنزيل كالمتألهين غير الله من المخلوقين بدعائهم ورجائهم والتوكل عليهم وتفويض جميع امورهم اليهم قولا واعتقادا والراضين بذلك المنكرين امرنا بما امر الله به ونبينا عليه من هذه ... ويجعلون اليهود والنصارى أحسن شرا منا ومن اتباعنا ولا نجحد دين من الدين ... بالضرورة نعمه عليا كان أو اعتقاديا ونجاهد على ذلك كله وعلى تقويم اركانه ... لام ... بي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليه بأمر الله له في آيات التنزيل كما قال ... ذكره فقتلو ... حيث ... وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل

مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم الآية فقدم تعالى التوبة من الشرك اشارة الى
أن الصلاة والزكاة وسائر أعمال البر لا تعتبر ولا يعتد بها الا بعد وجود الاصل وهو التوحيد اذ هو كاصل
الحائط أو أصل الشجرة وسائر الاعمال كفرعه وهو لا يثبت الا على أصل فلا يستقيم بدونه ولا يتم الا
به قال سبحانه وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان حكمتم على ان من جعل بعض
الدين لله وبعضه لغيره بانه عاص لا كافر حقيقة فقد جحدتم ورغبتم عن اجماع سلف الامة في ان
المشركين الاولين الجاعلين بعض الدين لله وبعضه لغيره ومن شاكلهم ممن اعتقد اعتقادهم وعمل
عملهم مستوجبون للكفر حقيقة وان من اعتقد انهم على صواب أو هدى أو شك في كفرهم فهو
مكذب لقول الله طاعن في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وان حكمتم بكفره فلما لا تحكمون به على من
اتخذ من دون الله وليا ونصيرا وشفيعا يدعوه ويرجوه ويتوكل عليه قال تعالى والذين اتخذوا من دونه
أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعلمون عقيدتنا وحقيقة أمرنا ونهينا ولا تدلوا علينا بكلام هؤلاء الائمة
الاماثل والجهابذة الافاضل لان ذلك انما يلزم به أهل الأهواء من ذوي العقائد الفاسدة الراكسين
في المخالفة للنصوص الشرعية والآيات القرآنية لكن من لم يميز الدين ويعرفه عين اليقين عميت بصيرته
وطمست سريرته فلا حيلة فيه اذا رفعت الشكوى وعمت البلوى * وأما قولكم وقال ابن القيم الذي قاله
طاوس في تفسير آن لمن فهمه فان الله سمى من حكم بغير ما أنزل الله كافرا ظالما في قوله تعالى
والكافرون هم الظالمون وسمى متعدي حدود الله في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما فقال
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقال يونس عليه السلام لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقال صفيه آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وقال كليمه موسى عليه السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ومعلوم
بتيننا ان هذا الظلم ليس كذلك الظلم فنقول كل كافر ظالم ولا عكس لأن قوله تعالى
والكافرون هم الظالمون مبتدأ محصور في خبره أي ولا ظالم أظلم ممن وافى ربه يوم شهد كافرا وقد روى
ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار انه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون ومتعدي حدود الله في النكاح بالمضارة أو نكاح ما لا يحل نكاحه ابتداء أو رجعة
والطلاق فيطلق لغير السنة أو طلقها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها ثم اذا قرب انقضاء
عدتها راجعها ثم طلقها مضارة لها والخلع يضارها منع حقها لتفتدي منه وكل من فعل كذلك فقد ظلم
نفسه أي اثم فيما بينه وبينه وان أبدى للناس حاله عكس ما أخفاه عنهم وقول يونس عليه السلام
لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أي في ذهابي مغاضبا لقومي بلا اذن من ربي ففي نسبة
الظلم الى نفسه اعتراف منه بما صدر منه خلاف الأليق به فان العبد اذا أرسله سيده بأمر وجعله في
وظيفة على قوم لسيده يقوم بها ناصحا مطيعا لامره لا ينبغي له الاستعجال والمغاضبة لهم والذهاب
عنهم [illegible] ذلك وتذكر بعد ذلك ولام نفسه ورجع الى ربه
مستغفرا [illegible] ذاته في تلك الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت
من الظالمين [illegible] الناس بالاخلاص ولهذا كان نبينا
صلى الله عليه وسلم [illegible] الصلاة * والظلم تارة يأتي بمعنى الاثم الذي هو أعم من
المعاصي والكفر كما تقدم وتارة يأتي بمعنى خلاف الاولى كقول يونس صلوات الله وسلامه عليه

سبحانك انى كنت من الظالمين وقول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وكما جاء فى الحديث الذى
رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن
الوضوء فاراه ثلاثا ثلاثا وقال هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم رواه أحمد والنسائى
وابن ماجه فسمى خلاف الاولى ظلما وقد صح فى السنة عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال دعوة ذى النون اذ هو فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع
بها مسلم فى شئ قط الا استجيب له وعنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم
الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت يا رسول الله هى ليونس خاصة
أم لجماعة المسلمين قال هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تعالى نجى
المؤمنين فالايمان شرط من الله لمن دعا بهذه الدعوة اذ قد يقولها وهو يوحد المنافى لها قولا أو عملا
أو اعتقادا فليس عنده منها الا مجرد لفظها وكانت هذه الدعوة مفزع الانبياء أخرجه
ابن مردويه والديلمى عن أبى هريرة وقول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا فيه الاعتراف
بمخالفة النهى وفعل خلاف الاولى وانه فعل المنهى عنه لا عن عمد وانما هو ظان ان النهى
لا يقتضى التلزيم باجتناب المنهى عنه لأن الغار له أقسم بالله على ذلك فظن ان لا أحد يقسم
بالله كاذبا فنسب التقصير والظلم الى نفسه وما أحسن الاعتراف بالذنب والتقصير من
العبد لسيده وان أبعد اللوم عنه ظاهرا والعبد اذا ازداد قربه من سيده ازداد خوفه
وخشيته ورغبته ورهبته منه وعد ما جرى من غير اللائق به ذنبا وان لاق بغيره ممن هو
ليس فى درجته ولذلك كانت حسنات الابرار سيئات المقربين وقال موسى عليه السلام رب انى ظلمت
نفسى فاغفر لى فسؤاله المغفرة واعترافه بظلم النفس على جهة طلب الكمال وان ما لا يليق به كان
خلاف ما فعل من الاستعجال بقتل القبطى والافجرد قتله جائز فانه عدو للدين حربى للاسرائيليين
لكن كان الاولى فى حق موسى تأخير قتله لينصحه ويعظه عما قاله رب العالمين فتسميته من عمل
الشيطان لاستعجاله بقتله وتسميته ظلما من حيث حرمان ثواب المندوب وقاله اعترافا وانقطاعا الى
الله فيما هو اليه محبوب وان لم يكن ثم ذنب أصلا والاستغفار منه بمعنى طلب المغفرة بترك هذا المندوب
لعمله عدم الاولى المطلوب ومن المعلوم يقينا عند كل عاقل ان ظلم الكفر ليس كظلم المعاصى وظلم
العبد المنيب ليس كظلم العبد الجافى فالظلم مختلف كما ان الكفر أنواعه مختلفة وهذا لم يقع فيه نزاع
بين علماء أهل السنة انما القصد الكلى والفائدة العظمى طلب ما أنزل الله على رسوله من الكتاب
والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك الانزال والارسال وما طلبه من عبيده فخلقهم لاجله وأمرهم به ونهاهم
عن ضده ورتب على وجوده رضاه ورحمته والخلود فى جنته وعلى عدمه والعمل بضده غضبه وسخطه
وحرمان رحمته والخلود فى ناره وغضبه وتضعيف عذابه وكل ما يحتاج اليه الناس فى دينهم فقد بينه
الله ورسوله بيانا شافيا ثم اذا عرف ما بينه الكتاب وقاله الرسول نظر فى أقوال الخلق فعرضت على
الكتاب والسنة فما وافق قبل وما خالف نبذ فهذا هو سبيل الهدى والسنة والعلم والحكمة وهو الذى
كان عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم من الأئمة الاعلام الى آخر الزمان وأما
سبيل الضلال والبدعة والجهل وعكس ذلك نحو المبتدع بدعة تامة مخرجة عن الدين بالكلية واما
ليست أصلية منه ولا فرعية بل من رأى رجل وذوق وبلا تهم أو من دسائس الشياطين وتحسيناتهم انتهى

من الدين ومما يقرب الى رب العالمين لم يجعل ما جاء به الرسول أصلا وفرعا فيعرض عليه سائر ما هو عامل بل يحرف الالفاظ ويتأولها على وفق ما هو له أصل وفى نفس الامر لا يعتمد على ما جاء به الرسول ولا يتلقاه منه بالهدى ولكن يتأول منه ما يوافق بدعته ليجعله له حجة كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه وقد قال تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة التى من أعظمها الشرك وابتغاء تأويله وقال صلى الله عليه وسلم فيما خرجاه فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴿والاعمال قسمان﴾ عبادات ومعاملات فاما العبادات فكل ما كان خارجا عن كلام الله ورسوله بالكلية من قول أو اعتقاد أو فعل فهو مردود على عامله ويدخل تحت قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فمن تقرب الى الله بما لم يجعله الله ورسوله قربة فعمله باطل مردود عليه وشبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية وان تلك القربة المعتقدة كقربة الاوثان فهى أعظم بعدا عن الدين وأبغض معصية الى رب العالمين وهذا مناف له من أصله فلا يوجد معه أبدا كالذين يشركون بالله ما لم ينزل به سلطانا ويقولون على الله ما لا يعلمون وهم الجاعلون بينهم وبين خالقهم وسائط ووسائل من خلقه يدعونهم ويرجونهم ويلوذون بهم ويتوكلون عليهم ليشفعوا لهم عند مليكهم فى قضاء حوائجهم ومع ذلك يقولون الله أمرنا بهذا فهو يرضى به ويحتجون بقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة ولم يتأملوا أحوالهم وما هم فيه من العقائد الفاسدة والحجج العاطلة فتستنير قلوبهم لمعناها وانها الاعمال الصالحة لا سواها بل واسطتهم تلك هى معنى الاله المذكور فى قوله تعالى وقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة كما ذكره المفسرون فى كتبهم نقلا عن البشير النذير وان كانت غير ذلك كمن تقرب الى الله بسماع الملاهى أو بالرقص أو بكشف الرأس فى غير الاحرام وما أشبه ذلك من المحدثات التى لم يشرع الله ولا رسوله التقرب بها اليه بالكلية فهى من دسائس الشياطين لتنال الحظ الوافر من العاملين وليس كل ما كان قربة فى عبادة يكون قربة فى غيرها مطلقا فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا قائما فى الشمس فسأل عنه فقيل انه نذر ان يقوم ولا يقعد ولا يستظل وان يصوم فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يقعد ويستظل وان يتم صومه فلم يجعل قيامه وبروزه للشمس قربة يوفى بنذرها وقد روى ان ذلك كان فى يوم جمعة عند سماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم يخطب اعظاما لخطبته صلى الله عليه وسلم ولم يجعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك قربة يوفى بنذره مع ان القيام عبادة فى موضع آخر كالصلاة والأذان والقيام بعرفة والبروز للشمس قربة للمحرم فدل على انه ليس كل ما كان قربة فى موطن يكون قربة فى كل موطن انما يتبع ذلك ما وردت به الشريعة فى مواضعها وكذلك من تقرب بعبادة نهى عنها بخصوصها كمن صام يوم العيد أو صلى وقت النهى ﴿وأما المعاملات﴾ كالعقود والفسوخ ونحوها فما كان منها تغييرا للاوضاع الشرعية كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما أشبه ذلك فانه مردود من أصله لا يقبله الله لأن هذا غير معهود فى الاسلام يدل على ذلك ما روى البخارى فى صحيحه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للذى سأله ان ابنى كان عسيفا على فلان فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها قال فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فرجت وبتأمل ماذكرناه يعلم احتلاف الظلم كما يعلم احتلاف الكفر وان كل كافر ظالم ولا عكس ﴿وأما قولكم وسمى الله الكافر فاسقا في قوله وما يضل به الا الفاسقين الآية وسمى المؤمن فاسقا في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط على قول الأكثر في قوله تعالى فيمن رمى المحصنات ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون والآيات كثيرة في الأمرين﴾ فيقول هذا من كلام ابن القيم ايضا واصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها قال الله تعالى في حق ابليس عليه اللعنة ففسق عن أمر ربه أي خرج وكل كافر خارج من الطاعة فهو فاسق ولا عكس وان سمى فاسقا اذ الفسق أعم من الكفر وهو أخص وبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة الكفر وينفرد الفسق عنه ولذلك سمى الله سبحانه وتعالى المؤمن العاصي فاسقا في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم جابيا الصدقات على بني المصطلق فلما قاربهم وسمعوا به اجتمعوا فهابهم وخاف على نفسه بسبب عداوة كانت بينهم في الجاهلية فلما خاف الوليد ورجع مخبرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمنعهم الزكاة وارتدادهم غضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بهم لحق وامتعتذرين متبرئين للوليد فارسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد آمرا له ان ينظر في أمرهم فان رأى خبرا احد الركاة وان رأى أمارات غيره فعل بهم كفعله بالكفار فرأى الخبر بسماعه لأذانهم صلاة المغرب والعشاء فاخذ الزكاة منهم ونزل الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة الآية فاستفيد ان المخبر بشيء لا يعمل بخبره الا بعد التبينت ومن هنا قيل ان النميمة تمنع قبول خبر النمام لانه بمجردها يفسق بها لانها كبيرة الا ان تكون مصلحة نشر وقطعا لاعتداء المعتدين اذا سبوا واستهزؤا به أوتعدوا وظلموا فيه فقد يجب رفع خبرهم الى الامام أونائبه لان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه خبر العرنيين وقيل نزلت الآية في الحكم بن أبي العاص وهو مؤمن أيضا والاول عليه الجمهور واتفقوا على فسق تارك المؤمن لان الله سبحانه سماه فاسقا مالم يتب ولا يلزم من تسمية فاعل المعصية فاسقا كفره لما تقدم أن كل كافر فاسق ولا عكس وذلك الله سبحانه سمى المؤمن العاصي فاسقا ولم يحكم عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالكفر مع وجود فسقه كما لا يلزم من وجود الظلم الكفر بخلاف العكس قال تعالى والكافرون هم الظالمون وقال تعالى وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الآية وقال تعالى ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون والآيات في هذا الحد كثيرة فليس فسق العاصي كفسق الكافر كما ليس ظلم الاول كظلم الثاني فالكفر كفران والفسق فسقان والظلم ظلمان وكذلك الجهل جهلان باعتبار الكفر والايمان فالاول كما في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والثاني كقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب باعتبار حقيقته في مركب وهو فهم المعنى بالعكس على غير أمرا منه مع تصميم عدث وادعاء العلم به وبسيط وهو لعقله عن المعنى مع عدم دعاء علمه ﴿وأما قولكم والشرك شركان شرك ينقل عن الملة وشرك لا ينقل عنها وهو الاصغر وهو شرك العمل كالرياء قال انسي الكفر ومن يشرك بالله فكانما خر من

السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق وفي الاصغر فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ومن الاصغر حديث من حلف بغير الله فقد أشرك لا يخرج عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار ﴿فصل﴾ أصل دين الله وقاعدته الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه وشرع الجهاد لاجله وجعل الجنة والنار بسببه والذل والصغار على من خالفه اثنان وأمران ﴿الاول﴾ توحيده سبحانه بالقيام بعبادته له تعالى وحده لا شريك له وهو اخلاصها بانواعها لجلاله وعظمته المختصة بالوهيته قال سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وقال تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه ﴿الثاني﴾ الكف عن الشرك والنهي والانذار عنه والتغليظ فيه والمعاداة به وتكفير من فعله والبراءة منه وعدم مودته وموالاته من دون الله وان كان قريبا من العشيرة قال الله سبحانه وتعالى ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقال تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴿والمخالفة في هذين الامرين﴾ ﴿أنواع﴾ أشدها المخالفة في كلهما والخلق قد افترقوا فيهما فرقا ﴿فمنهم﴾ من عبد الله وحده لكنه لم ينكر الشرك ولم يعرفه ﴿ومنهم﴾ من أشرك ولم ينكر التوحيد ﴿ومنهم﴾ من أنكر الشرك لكنه لم يعاد أهله بل والاهم من دون المؤمنين أو جعل رتبتهم كرتبة أهل التوحيد محتجا بأن الكل خلق الله ﴿ومنهم﴾ من عاداهم لدنيا أو عصبية لا لشركهم فلم يكفرهم ولم يعب عليهم فيه ﴿ومنهم﴾ من لم يحب التوحيد ولم يبغضه واتبع هواه وتابع فيه غيره سمعت الناس يقولون شيأ فقلته ﴿ومنهم﴾ من أنكر ولم يعاد أهله ﴿ومنهم﴾ من عاداهم لمخالفتهم أهل الاهواء المتبع لهم مع عدم شدة ونكيرهم بكفرهم ﴿ومنهم﴾ من كفرهم وأنكر التوحيد بعد أن عرفه وسبه وأهله ﴿ومنهم﴾ من لم ينكره لكنه كفر أهله الآمرين به الناهين عن ضده ﴿ومنهم﴾ من لم يبغض الشرك ولم يحبه لعدم تمييزه عن ضده ﴿ومنهم﴾ من لم يعرف الشرك من أصله فلم ينكره ولم يفعله ﴿ومنهم﴾ من لم يعرف التوحيد ونوع العبادات فلم يقل به مؤديا حقه ﴿ومنهم﴾ من قاله بلسانه ولم يعمل به ولم يعرف معناه في قلبه ولا قدره فلم يعاد أهل الشرك ولم يكفرهم فهذه ثلاثة عشر فرقة كلها قد خالفت ما جاءت به الرسل من دين الله وتوحيده وأشدهم مخالفة من عرف توحيد الله ودينه فأنكره وكفر أهله ثم من عرفه ولم ينكره لكنه كفر أهله وعاداهم ثم من قال التوحيد بلسانه ولم يعمل به في اعتقاده ولم يعرفه ولا قدره ولم يسأل عنه أهل معرفته بل تساهل عنه مستغنيا برأيه ثم من جعل رتبة أهل الشرك كرتبة أهل التوحيد فهذا من أعظم الجور والبهتان في حكمه حيث جعل المشركين في رتبة الموحدين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ثم الباقي سواء في المخالفة ﴿واعلم﴾ ان أمر الله تبارك وتعالى شرعه وقدره ولا يتم الايمان باحدهما الا بالآخر ولا يدرك أمره تعالى ليمتثل ويعمل به الا بتأمل معاني كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم

حيث قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴿ثم الشرك من حيث
هو﴾ ينقسم إلى أكبر غير مغفور وإلى أصغر لا يسلم منه إلا الملك الغفور ﴿فالأول﴾ ما يتعلق بذات المعبود
وأسمائه وصفاته وأفعاله ومنه ما يتعلق بعباداته ومعاملاته مع اعتقاده أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في
صفاته ولا في أفعاله * والذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله نوعان ﴿أحدهما﴾ شرك
التعطيل وهو أقبح أنواعه كشرك فرعون إذ قال وما رب العالمين وقال لهامان ابن لي صرحا لعلي أطلع إلى
إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك
لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وسائر صفاته لكنه لما
عطل أصل التوحيد الواجب على العبيد الذي لا ينبغي ولا يكون إلا لله وحده فأشرك فيه غيره صار مشركا
بذلك وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل ﴿وهو ثلاثة أقسام﴾ تعطيل المصنوع عن
صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل
معاملته تعالى عما يجب على العبيد من حقيقة التوحيد وهو إخلاص جميع أنواع العبادة والدين لله
فإذا أشرك غير الله في ذلك فقد أشرك شركا غير مغفور إلا بالتوبة عنه وهذا المشرك مقر بالخالق وصفاته
وأسمائه معطل لمعاملته المختصة بجلاله ولا يدخله في الإسلام إقراره ولا ما نفى من الآلهة لسانه لتعطيله
ما وجب عليه من حقيقة التوحيد بجعله ما يختص بجلال الله لغيره من العبادات المتأله بها من جعلت له
لاحظ المعنى في ذلك الجاعل أو لم يلاحظه فأما تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه فهو كشرك الملاحدة
القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم
إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها العقول والنفوس ومنه شرك طائفة أهل وحدة الوجود
الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ههنا شيئان بل الحق المنزه هو عين المشبه ومنه شرك القدرية القائلين
بأن الحيوان يخلق أفعال نفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجوس هذه الأمة لأن شرك المجوس إسناد حوادث الخيرات إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة وفي القرآن
من تنزيل ما يرد عليهم كقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وقوله الله خالق كل شيء فكلها للعبد مكتسب
للخالق وله اختيار في أفعال نفسه لا دافع الأهواء وميله إليها ولذلك يحاسب عليها مع كونها بتقدير الله
وإرادته ولا يحتج بالقدر إلا فيما فيه من الرد على مسيء الأدب ﴿وأما محاجة آدم موسى﴾ فإنما هي التسليم
للأمر وله تعالى الحجة البالغة ولو شاء لهدى الناس جميعا وهو تعالى حكم عدل لا يؤاخذ إلا بالذنب ولا
يعاقب إلا عليه وله تعالى أن يجعل الخلق كلهم مذنبين فيعذبهم وهم لا يظلمون ويجعلهم سعداء
طائعين فيرحمهم فضلا منه وقد ركب سبحانه في الإنسان عقلا وجعل آلة الإدراك يميز بها الأشياء الضارة
من النافعة فضلا منه تعالى ورحمة فهو لا يسأل تعالى عما يفعل وهم يسألون وهو الملهم للخير والشر قال
جل شأنه فألهمها فجورها وتقواها وقال إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وكل ميسر لما
خلق له وعلى الإنسان الاجتهاد في طاعة خالقه ما استطاع وسؤال التوفيق والإرشاد إلى الصراط
المستقيم ﴿وأما تعطيل﴾ الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله فهو شرك
الجهمية والقرامطة لم يقولوا له تعالى سمعا ولا بصرا بل جعلوا المخلوق أكمل منه تعالى وتقدس عما
يقول الظالمون علوا كبيرا وكمال الذات بأسمائها وصفاتها وأما تعطيل معاملته تعالى عما أوجب
تعالى على عبيده فهي قسمان قسم يخرج عن الملة وهو رفع ما تفرد به تعالى بملك الضر والنفع

والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب ودعاء العبادة والخوف المختص بجلاله المعلق على وجوده الايمان
والرجاء والالتجاء والتوكل وذبح القربان والانابة والخضوع والتوبة والاستعانة وهذا الشرك المعطل
قد ساوى التراب برب الارباب والعبيد بمالك الرقاب والفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز
بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته الا العدم بالغني بالذات القادر بالذات الذي غناه وقدرته
وملكه وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فلا ظلم أقبح من هذا
ولا حكم أشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال جل ذكره الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وعطل حق الله تعالى المختص
بجلاله فجعله لغيره بمشاركته بين الله وبين عدوه في محض حقه تعالى من الدعاء بما لا يقدر عليه الا من
أمر بسؤاله وتوعد على ترك طلب افضاله والاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف
والرجاء والالتجاء والتوكل وذبح القربان فقد أشرك بينه تعالى وبين أبغض الخلق اليه وأهونهم
عليه وأمقتهم عنده اذ هو عدوه في الحقيقة فان المشرك مطلقا انما عبد غير الله وما عبد من دون
الله الا الشيطان امريدا كما قال جل ذكره ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم
عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم
في نفس الامر للشيطان وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة كما قال عز وجل ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
أكثرهم بهم مؤمنون فلا أحد كائنا ما كان يعبد غير الله الا وقعت عبادته للشيطان نفسه واللعين
يدعو المشركين الى عبادته ويوهمهم انه ملك أو ولي وقد يتصور على صورة المستغاث به والمدعو
هو كثيرا ما يتراءى لاوليائه ابليس للايهام والتلبيس فيزداد المشرك شركه بواسطة القبر والتمثال
رغبة ورهبة وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه
الكواكب وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها شيطان فيسجد
لها الكفار فيقع سجودهم له وهكذا عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وأمه وعزيرا والانبياء
والصالحين وتعلق عليهم يدعوهم ويرجوهم ويتوكل عليهم ويلتجىء اليهم ويتقرب لهم وينذر لهم
ليدفعوا عنه ضرا أو يجلبوا اليه خيرا فان ذلك كله واقع للشيطان نفسه لا لهم بل هم يبرؤون منه ومن
عبادته ويستبرأ منهم ويعنى انه يتبرأ من عبادته اياهم ويتمنى الكرة الى الحياة الدنيا ليعمل غير الذي كان
يعمل كما قال جل ذكره اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب
وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار وهذا العابد يزعم انه يعبد من أمره بعبادتهم ورضيها لهم وأمرهم بها فهم يقربونه
اليه وهذا هو الشيطان الرجيم لا عبد الله ورسوله أو نبيه أو وليه فتنزل هذا كله على قوله تعالى ألم
أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم
فيستمتع هذا العابد بالمعبود كما يستمتع المعبود بالعابد قال عز من قائل ويوم نحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من الانس أي من اغوائهم واضلالهم وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم
ومن اجل ذلك كان الشرك بالله اكبر الكبائر على الاطلاق وانه تعالى لا يغفر ان يشرك به بغير توبة منه

وكف عنه وانه يوجب الخلود في النار وليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل قبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح * يوضح هذا ان العابد معظم متأله خاضع ذليل له خائف منه والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق التأله بكمال التعظيم والاجلال والخضوع والذل والخوف والرجاء والالتجاء والتوكل والدعاء بما لا يقدر على وجوده أو دفعه الا هو تبارك وتعالى وذبح القربان وحلق الرأس عبودية وتواضعا هذا خالص حقه سبحانه فمن أقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره أو يشرك بينه وبين غيره فيه ولا سيما اذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية أي اذا كان أحدكم يأنف من ان يكون مملوكه شريكه في رزقه الذي جعلته له فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الالوهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي فمن زعم ذلك فلا قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي ولا أفردني فيما أنا منفرد به وحدي وقال جل ذكره يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب أي العابد والمعبود وهذا حال كل من جعل عبادة الله المختصة بجلاله وعظمته لغيره فهو ضعيف هو ومعبوده اذ الكل فقير الى الله محتاج اليه كما قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فاعتماد العبد على المخلوق ودعاؤه اياه بما لا يقدر عليه الا الله وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته هو ولا بد فالحاصل له عكس ما أمله منه فلا بد من الخذلان كما هو ثابت بالسنة ونص القرآن ومعلوم بالاستقراء والتجارب قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون قال ابن عباس رضي الله عنهما أي يغضبون لهم و يحاربون كما تغضب الجند وتحارب عن أصحابهم وهم لا يستطيعون نصرهم بل هم كل عليهم كذلك كل بنية على قبر كل على عابديها وساديها المعتقدين الضر والنفع والتقرب والتعبد عاقبها لوضعهم التوابيت وتغشيتها بالستور وايقاد السرج وفتح الباب وغلقه عن لص القبور والهتف بذكره عند الشدائد وبذل النذور ليدفع ما حل بهم من البؤس والشرور قال سبحانه وتعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب أي غير تخسير ولما كان المشرك يرجو شركه النصر تارة والتقرب أخرى والحمد والثناء تارة والشفاعة له أخرى أخبر سبحانه وتعالى ان مقصوده ينعكس عليه فلم يحصل له الا الخذلان والذم وحرمان ما أمله قبل لعدم الرضا عنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وكما يستحيل على ذاته تعالى العدم يستحيل عليه ان يشرع عبادة الى غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن فيما تفرد بالربوبية والالوهية والعظمة والجلال ان يأذن في مشاركته في ذلك أو يرضى به تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والاستغاثة والتقرب والكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها بأنواعها له تعالى مختصة بجلاله لكن هذه غاية أمن نتيجة العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل وهو

تمامها وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال ان تجيء به شريعة من الشرائع بل قبحه مستقر في كل فطرة وعقل لكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم وأحالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله الحسنى فقد أرسل تعالى رسله وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدى الله لنوره من يشاء بخلاف من أعطى حبه وخضوعه لغير الله فهو في ظلمة الضلال تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وهم لم يسووهم به في الخلق والرزق والتدبير والضر والنفع انما سووهم به في الحب والذل والخضوع ليقربوهم الى المولى على خلاف ما هو مشروع قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن كان في هذه الظلمات فلا ينظر الى الآفات في جميع الاوقات ولا يعرف الطريق الموصل الى الآيات البينات فليس له تأمل ولا تدبر ولا تذكر ولا تفكر فيما يجيبه ولا مخافة مما يرديه قد غره الأمل وصار كما قال عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم أضل ﴿النوع الثاني﴾ من الشرك الذى يتعلق بذات المعبود شرك النصارى الجاعلين معه الها آخر لكنهم لم يعدلوا أسماء الرب ولا صفاته ولا ربوبيته بل جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها وأمه الها انما جعلوا ذلك لان أول الانجيل باسم الأب والأم والابن كما ان أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فظنوا ان الأب والام والابن عبارة عن الزوج ومريم وعيسى فحينئذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولم يعلموا ان المراد بالأب هو الاسم وبالام كنيه الذات المعبر عنها بماهية الحقائق وبالابن الكتاب وهو الموجود المطلق لانه فرع ونتيجة عن ماهية ما في اللوح المحفوظ واليه أشار قوله تعالى وعنده أم الكتاب ومنه شرك عباد الشمس والنار وغيرهم فمن هؤلاء من يزعم ان معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه أقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذى هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة الى الله عز وجل فتارة تكثر تلك الآلهة الى الله عز وجل وتارة تكثر تلك الوسائط المتخذة وسيلة الى المقرب وتارة تقل فهم قد جعلوا الشرك سببا في تحصيل بعض مقاصدهم وكل سبب لم يأذن به الله باطل مضر لمتخذه فلا يتعاطى واذا حقق المؤمن ان الله سبحانه رب كل شئ وخالقه ومليكه فانه لا ينكر ما خلقه الله تعالى من الاسباب كما جعل المطر سببا للنبات قال الله تعالى وأنزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة والشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما والدعاء سببا لما يحصل للدعو له أو عليه والدواء سببا لذهاب الداء وقد نبه على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم ينزل الله داء الا أنزل له شفاء يعنى دواء علمه من علمه وجهله من جهله رواه الامام أحمد في مسنده من حديث أسامة بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له دواء أو شفاء الا داء واحدا قالوا يارسول الله وما هو قال الهرم وهذا يعم داء القلب والروح والبدن وأدويتها فقد أرشد صلى الله عليه وسلم العرنيين لما شكوا له الوخم ووجع البدن أن يلحقوا ابل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها وجعل الجهل داء ودواؤه سؤال العلماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة صاحب الشجة قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال كما ان وجود الداء سبب لما لم روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق ولو أن

شيأ سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا وكذا السحر قال تعالى ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه فهو سبب لألم الفؤاد ويوجب البغضاء والفرقة بين الزوجين والنار سبب للاحراق والسكين سبب للقطع والحبل سبب لاظهار الماء في الدلو وأكل الطعام سبب لذهاب ألم الجوع وشرب الماء سبب لذهاب ألم العطش والكدح بالاجتهاد في تحصيل العلم سبب للفهم والمتاجرة بالمال سبب لفائدة الربح وطاعة الله سبب لرضائه ورحمته ومعصيته سبب لسخطه وانتقامه فالاسباب المنصوص عليها لا تنكر ولا يتكل عليها إذ في انكارها نقص في العقل وفي الاتكال عليها شرك في الدين وكل من الانكار والاتكال منتف شرعا لكن قد يتخلف المسبب عنه مع قيام السبب إذ الضار والنافع والمعطي والمانع هو الله وحده قال تعالى وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله وقال تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وتخلف احراق النار عن ابراهيم عليه السلام حين وضع فيها وحدة السكين حين أمرها الخليل على حلقوم ولده اسماعيل عليهما السلام ولا محيص عن الأخذ في الاسباب وليس المتوكل من فتح للسارق الباب ولا من قال أنا متوكل أستغني عن الطعام والشراب قال أفضل الاحباب لمن سأل أيعقل الناقة أم يتكل اعقلها وتوكل وأفضل المتوكلين أشد الناس حرصا على فعل الأسباب فقد أمر باطفاء السراج والتسمية واغلاق الابواب ونفض الفرش وطي الثياب وحفظ الصبيان أول الليل لانتشار الشياطين وهذا الباب لا يحصيه العادون من سنن المرسلين فالأخذ بها لا ينافي التوكل لانه الانقطاع عن جميع الخلق وتفويض الامور إلى الملك الحق وحده * وحينئذ فلا بد أن يعرف فيها ثلاثة أمور *﴿أحدها﴾ انها لا تستقل بالمطلوب بل تتعاطى عن غير ركون اليها ومع هذا فلها موانع فان لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو سبحانه ما شاء كان وان لم يشأ الخلق وما لم يشأ لم يكن وان شاءه الخلق الثاني انه غير جائز اعتقاد ان الشيء سبب الا بعلم فمن أثبت شيأ سببا بلا علم أو بما يخالف الشريعة كان مبطلا في اثباته آثما في اعتقاداته ﴿الثالث﴾ ان الاعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ شيء منها سببا إلا أن يكون مشروعا اما استحبابا أو مأذونا فان العبادات مبناها على التوقيف فلا يجوز للانسان أن يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا وان يقول على الله بلا علم فيدعو غير الله بما لا يقدر عليه الا هو سبحانه وتعالى وان ظن أن ذلك سبب في حصول غرضه لاعتقاده ان ذلك المدعو يشفع له فيما دعاه فيه لانه جنس ما اعتقده الاولون في آلهتهم وكذلك لا يجوز ان يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة وان ظن ان ذلك سبب في حصول ما يطلبه من اغراض دنيا أو ثواب آخرة على زعم اعتقاده فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده إذا أشرك وقد يحصل له بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراضه فلا يحل له ذلك إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعث لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه ففسدته راجحة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴿من ذلك﴾ قول المحرمات وقول السحريات ليتوصل بها الى تحصيل شيء من أمتعة الدنيا أو القرب لدى ملك من ملوكها قال تعالى واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وكل شرك زور ولا عكس وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴿ومنه﴾ التداوي بالمحرمات مطلقا فلم يجعل الله الشفاء فيما حرمه بل نزعه عنه وأوهنه والبدع التي ليست من شريعة الاسلام في شيء بل هي من شعب الشرك الظاهرة كالتربة أضرحة القبور

لا يحل استعمالها أدوية ولا تعاطيها لما في استعمالها من الاعتقادات الباطلة والمفاسد في الدين الظاهرة فهي أشبه ما فعله المشركون الاولون ما لهم من تعظيم الاصنام والتبرك والتمسح بها في كل مشهد خاص وعام ﴿ومنه﴾ ما اعتنى به بعض الاغنياء الجهال وعوام الضلال دعوتهم بدعاء عنبشا وغشيشا ودعوتهم في الشدائد بأسماء أصحاب الكهف وشمخ وغيرهم وبالدعوات المجهولات يزعمون ان هذه من الاسماء العظام والادعية المستجابات وانه من الانجيل والتوراة فكل هذا من تلبيس ابليس على هؤلاء الجند الذين اختاروه واختارهم فلسنا ملتزملين في شريعتنا ملة الاسلام بتلك الادعية في الصباح والمساء ولم ينقل بها أحد من العلماء الادباء بل الاغبياء السفهاء من القصاص اختاروها للتغرير بالعوام وجمع الحطام فلم يعاملوا الله بالاخلاص قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وأما الاسماء المنهي عنها فان الشيطان يظهر تأثيرات ويوري تلبيسه فيها منافع ظاهرا في أكثر الاحيان وهي حسرات بل قد يكون التلفظ بتلك الكلمات كفرا لا يعرف معناها بالعربية قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وكل واسطة أو وسيلة نهى الشارع عنها لا يجوز اتخاذها في جلب نفع أو كشف ضر قال سبحانه وتعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال تعالى فلا تدعو مع الله أحدا قال قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا فأمر الله المسلمين ان يخلصوا له الدعوة اذا دخلوا مساجدهم وقال سعيد بن جبير المساجد الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره والاعضاء التي يستعمل بها الانسان ومن جملتها اللسان الذي هو ترجمان الجنان في كل ما يريد ابداءه من خير ينفعه أو ضر يضره قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه أي لا أحد ولا بدانيه سبحانه أحد ولا يستقل سواه تعالى بما أراده ولا يعطى لما منعه فهذه الاسباب التي تتخذ وسائط ووسائل في الجلب والدفع اللذين لا يقدر عليهما الا الله وحده منفية بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية الا أسبابا وردت عن الله أو رسوله كالتوحيد والصلاة بحضور قلب وخشوع وذل وانكسار والدعاء والاستغفار بعد الاقلاع عن الذنب والندم على فعله والعزم على ان لا يعود اليه والاعمال الصالحة من صدقة وصلة رحم وطاعة الله وتقواه فهي الاسباب في جلب الخير ودفع الشر كما صرح به القرآن والسنة ﴿القسم الثاني﴾ من قسمي تعطيل معاملته تعالى وتقدس ما لا يخرج عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار بل ينهى فاعله ويؤدب عليه وهو الشرك الاصغر فمنه الرياء والسمعة يقطع النظر عن صحة العبادة اذ اخلاص النية شرط لصحتها وهو يصدر ممن يعتقد ويقول لا اله الا الله وانه لا يضر وينفع ويعطي ويمنع الا الله وحده ولكن لا يخلص في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان نصيب وهذا حال أكثر الناس زيادة عن الاول وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النمل قال أبو بكر رضي الله عنه كيف يا رسول الله نجو امنه قال قل اللهم اني أعوذ بك ان أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم فالرياء كله شرك قال تعالى آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم

إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي كما أنه إله واحد
لا إله سواه كذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالإلهية يجب أن ينفرد
بالعبودية وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا أغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه وفيه أيضا عن أبي سعيد مرفوعا
ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي يقوم
الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد
بالسنة وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك
خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وهذا الشرك يبطل الثواب من أصله أي العمل أيضا لما تقدم ومن
أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته
والإخلاص هو أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته وهذه هي حنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله
بالقيام بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن
يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء لأنه قد
هان عليه أمر خالقه فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فضيعه وذكره فأهمله وغفل قلبه عنه فكان هواه
آثر عنده من رضاه وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعة مولاه يجعل لله الفضلة من قلبه وقوله وعمله
وسواه المقدم في ذلك لأنه المهم عنده يستخف بنظر الله إليه واطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته في
يده ويعظم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه يستحيي من الناس ولا يستحيي من الله
ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه وإن عامل الله عامله بأهون
ما عنده وأحقره وإن قام في خدمة إلهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة وقد فرغ له
قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى إذا قام في حق ربه إن ساعده القدر قام قياما
لا يرضى مثله مخلوق وبذل من ماله ما يستحيي أن يواجه به مخلوق لمثله وإذا هو أجهل الجاهلين
وأمقت الممقوتين وأظلم الظالمين وأهلك الهالكين ممن عصى ربه من العاصين ﴿ومنه الحلف﴾
بغير الله رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف
بغير الله فقد كفر وأشرك رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن قال وفسر أهل العلم هذا الحديث
أن قوله كفر وأشرك على التغليظ فيكون الشرك الأصغر قال ابن مسعود وغيره لأن أحلف بالله
كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا وإنما قال ذلك لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة
الصدق وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك ﴿ومنه﴾ قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت
كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتني
لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم
فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا في حسب الله وحسبك وما لي إلا الله وأنت وهذا من
الله ومنك أو من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء وأنت لي في الأرض أو يقول والله وجاه فلان
أو أنا تائب إلى الله وإلى فلان وأرجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول ذلك
القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت ثم انظر أيهما أفحش يتبين لك أن قائلها أولى
بجوابه صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعله ندا بها فهذا قد جعل من لا يداني

رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من تلك الاشياء بل اعلمان يكون من أعدائه ندا لرب العالمين وفي مسند الامام أحمد أن رجلا أتى به قد أذنب ذنبا وهو أسير فلما وقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب الى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ونحن لم نكفر الناس ونجاهدهم بهذا القسم الثاني بل بالاول وعليه فانه أمر مجمع عليه مع أنهم هم الذين بدؤنا بالجهاد ليرجعونا عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدين القويم الذي هو المراد الى ما كانوا عليه أولا من أنواع الباطل والالحاد زاعمين ان اليهود والنصارى أحسن شرا منا ومن مال الينا ونحن انما ندعوا الى العمل بالقرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه كفاية لمن اعتبر وتدبر وبعين بصيرته نظر وفكر فانه حجة الله وعهده ووعيده ووعده وأمانه ورفده ومن تبعه عاملا بما فيه جد حده وعلا مجده وبان رشده وبان سعده والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد فلا تقليد فيه ولا عناد ﴿وأما قولكم وكذلك المنافقون قلنا ان نفاق اعتقاد ونفاق عمل فنفاق الاعتقاد هو الذي ذكر الله ان أهله في الدرك الاسفل من النار وهو كثير في القرآن ونفاق العمل كما في الحديث الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وفي بعضها أربع بزيادة واذا خاصم فجر فهذا نفاق عملي مجتمع مع أصل الايمان﴾ فنقول هذا الحديث الذي خرج في الصحيح ليس فيه بحمد الله اشكال ولكن اختلف في معناه والذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار عند أهل السنة والجماعة كما حكاه شراح الحديث ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال متخلق باخلاقهم فان النفاق اظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه في حقه من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الاسلام ويظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر الذي رواه مسلم كان منافقا خالصا معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فامامن يندر ذلك منه فليس هو داخلا فيه فهذا هو المختار في معنى الحديث وقد نقل الامام أبو عيسى الترمذي معناه عن العلماء مطلقا فقال انما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قد حدثوا بايمانهم وكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم ومن كانت حاله كذلك فهو منافق حقا وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد رجع اليه الحسن البصري رحمه الله بعد أن كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وروياه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه قال القاضي عياض واليه مال كثير من أئمتنا وحكى الخطابي قولا آخر معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه بها ان تفضي به الى حقيقة النفاق وحكى الخطابي أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يعملون كذا وقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الاولى التي رواها مسلم في صحيحه أربع من كن فيه كان منافقا وفي الرواية الثانية آية المنافق ثلاث لا منافاة بينهما فان الشيء الواحد قد يكون له علامات كل واحدة منها يحصل بها صفته ثم قد

تكون

تكون تلك العلامة شيأ واحدا وقد تكون أشياء ومعنى قوله واذا عاهد غدر داخل في معنى واذا ائتمن خان لان العهد أمانة ومعنى قوله واذا خاصم فجر أي مال عن الحق وقال الباطل والكذب قال أهل اللغة وأصل الفجور الميل عن القصد ومعنى آية المنافق أي علامته ودلالته فبه يعلم ان كفر عمل الجوارح ونفاق عملها ليس مما نحن فيه انما القصد الكلي والفائدة العظمى لمن عقلها عمل القلب وهو اعتقاده وقبوله لما جاء عن الله وأرسل به محمدا عبده ورسوله من ان الدين كله لله قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقد أجمع الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم ان المراد بالفتنة هنا الشرك ونحن لم ندع الا اليه ولم نجاهد الا عليه ﴿وأما قولكم﴾ فقد عرفت من هذا كله ان ما يفعله العوام من دعاء الاولياء والهتف بهم عند الشدائد والطواف بقبورهم وتقبيل جدرانهم والنذر لهم بشيء من أموالهم هو من الكفر العملي لا الاعتقادي فانهم مؤمنون بالله وبرسوله وباليوم الآخر لكن اعتقدوا ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون لجهلهم كما اعتقد أهل الجاهلية ذلك في الاصنام لكن فرق ما بين الفريقين فان هؤلاء يثبتون التوحيد لله لا يجعلون الاولياء شركاء له تعالى وأولئك قد جعلوا الاصنام شركاء له فأولئك كفرهم كفر اعتقاد وهؤلاء أعني ضعفة العقول من العوام الموحدين لله معترفين بتوحيده ومصدقة الرسول بجميع ما جاء به من عند ربه وحكم أولئك من القتل والسبي وأما هؤلاء فالواجب على العلماء وعظهم وتعريفهم وتفهيمهم جهالتهم وزجرهم عن فعلهم ذلك لو أصروا عليه بعد ذلك ولو بالتعزير البليغ والضرب الشديد كما أمرناهم بحد الزاني والسارق وشارب الخمر ولا يخرجون به عن الملة ويدل على ما قلناه دلالة صريحة قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عنه أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الاشعري فهم مع اتيانهم بهذه الخصال الجاهلية أضافهم الى نفسه ولم يخرجهم عن أمته فقال في أمتي ﴿فنقول﴾ هذا تفريع على ما تقدم من تقسيم الكفر الى كفرين والنفاق الى نفاقين أي لما قسم الكفر الى عملي واعتقادي وميز بينهما علمنا ان ما يفعله العوام من دعاء الاولياء والهتف بهم عند الشدائد من الكفر العملي لا الاعتقادي وعلمنا انهم مؤمنون بالله وبرسوله وباليوم الآخر وانهم لم يجعلوا الاولياء شركاء لله ثم أثبت لهم الاعتقاد الذي نتيجته عين ما نفاه أولا عنهم فهو سببه ولا ينشأ الا منه وهو قوله لكن اعتقدوا ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون لجهلهم كما اعتقد أهل الجاهلية ذلك في الاصنام وفي هذا الاتناقض فيما قاله ومناقض فيما اعترض به وادعاه وتناكس في فرعه وعناه وتشاكس في تعليله ونحواه * وذلك من وجوه ﴿أحدها﴾ اثباته عين ما نفاه أولا فقال انهم اعتقدوا اعتقاد أهل الاصنام فيها ﴿الثاني﴾ انه جعل هذا الاعتقاد كفرا عمليا يعني به عمل الجوارح الظاهرة لأن كلامه فيما تقدم ينكر عمل القلب ﴿الثالث﴾ جعله الدعاء والهتف ليسا نتيجة الاعتقاد بل يصدران ممن اعتقاده منحصر في الله وهو يدعو غيره ويلتجئ اليه فيما لا يقدر عليه الا الله وحده ويهتف به عند الشدائد وغيرها ليجلب له أو يدفع عنه وهو لا يعتقد فيه القدرة على شيء مما طلبه منه وهذا محال ان يطلب أحد غيره شيأ أو يدعوه منه وهو يعلم ويعتقد انه لا يقدر عليه ولا يوصل مطلوبه ومقصوده اليه وصريح كلامه متناقض في ذلك فانه قال لكن اعتقدوا ان هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون

بعد قوله هو من الكفر العملي لا الاعتقادي ﴿الرابع﴾ زعمه اسقاط التكليف والعذر بالجهل بعد بلاغ الدعوة وانتشارها كما لو لم تكن ﴿الخامس﴾ نفيه الشرك عن معتقد النفع والضر والعطاء والمنع في غير الله حيث لم يصرح بان هذا الضار والنافع والمعطي والمانع شريك لله كتصريح الاولين بالشرك معه تعالى ولم يعلم ان قصد الاولين بالشريك من حيث انه يشفع لهم عند الله بما اراد وامنه ويعطي ويمنع بامره تعالى ما طلبوه ولذلك كانوا في تلبيتهم الا شريك هو لك تملكه وما ملك فهم يزعمون انه شريكه في عبادته ومعاملته لا في تدبيره وارادته ونفي هذا الشريك باللسان واعتقاد معناه في الجنان لا يوجب نفيه حقيقة ولا انه شريك له تعالى في ملكه أو خلقه أو رزقه العباد أو تدبيره الامور وهذا لم يقولوا به بل صرحوا بان ذلك كله لله وحده كما قررهم به وعرفهم بنعمته قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ولانه شريك له يملك الضر والنفع قال تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون وهم كانوا يدعون الله وحده عند نزول الشدة ويخلصون له فيها الدعوة قال تعالى مخبرا عنهم بذلك واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فالدعوة التي أشركوا فيها غيره ليتوصلوا به في قضائها اليه هي الشرك الموجب لسخطه وغضبه والخلود في عذابه والدعوة المختصة بجلاله المسؤولة من نيل افضاله المخاطب بها عين كمال ذاته هي الدين الخالص الذي أمر به ووعد عليه الاجابة والاثابة لكن من قدر عليه الشقاء فالاول حاله حتى ان تصيبه الشدة فيخلص لله الدعوة فاذا استجاب الله دعاءه وأنعم عليه مولاه جاءته الاستحالة واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ومن وفق الانصاف بالاخلاص رأى وشاهد بحديقة عين رأسه وبصيرة عين جنانه وتأمل بقلبه أحوال هؤلاء المدعين الايمان مع أحوال الاولين وجدهم في أصل دين واحد ومعناه متفقين وفي تركه جملة مختلفين اذ الاولون يشركون تارة ويخلصون أخرى التي هي للدعاء أولى وأما هؤلاء فانهم أكثر شركا في هذه التي هي محل الاخلاص لملك الناس زيادة على التي قبلها من عدم حصول الشدة والباس ﴿السادس﴾ انه قد زعم ان مجرد التصديق بالله وبرسله وباليوم الآخر هو معنى التوحيد المقصود من لا اله الا الله وان ليس لها من المعنى الا ذلك فظن ان معناها خاص بتوحيد الربوبية وأن الله خالق كل شئ ومرسل الرسل ومنزل الكتب ومحي ومميت ومجاز بالاعمال وهذا هو الذي يسمونه أهل الكلام توحيد الافعال حتى قد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام وأهل الارادة والعبادة فقلبوا حقيقته عن موضوعه وطائفة ظنت ان التوحيد هو مجرد اقرار لسان العبد بربوبيته تعالى وانه خالق كل شئ وانه على كل شئ وكيل وطائفة ظنت ان توحيد الربوبية هو الغاية والفناء فيه هو النهاية وان من شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح فآل بهم الامر الى تعطيل الامر والنهي والوعد والوعيد ولم يفرقوا بين مشيئة الله الشاملة لجميع المخلوقات وبين محبته ورضاه المختصة بالطاعات وبين كلماته الكونيات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وما حتمهم في ذلك الا شمول القدر كل مخلوق وكلماته الدينيات التي اختص بانفعها أنبياؤه وأولياؤه وطائفة ظنت ان التوحيد هو نفي

الصفات بل نفى الاسماء الحسنى أيضا يسمون أنفسهم أهل التوحيد وأثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات وزعموا ان اثبات الصفات يستلزم التركيب والعقل بنفيه فقد علم بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول أن ذلك لا يكون الا فى الاذهان لا فى كل الاعيان والله سبحانه وتعالى ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات ليس كمثله شئ وهو السميع البصير لم يزل موصوفا بما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿السابع اثباته﴾ معنى الالوهية انها القدرة على اختراع الخلق والتدبير لا على الضر والنفع والعطاء والمنع فمن قال لا اله الا الله واعتقد انه لا يقدر على اختراع الخلق والتدبير الا الله فلا شريك له فى ذلك كان ذلك هو معنى قوله لا اله الا الله وان اعتقد الضر والنفع والشفاعة المنفية التى هى بغير اذنه والتقريب والتبعيد الذين لا يكونان الا بطاعته واتباع رسله فيما جاؤا به من عنده فى غيره من العبيد فلا يضره هذا الاعتقاد ولا تكون فتنة ولا فى الدين فساد حيث قال بلسانه لا اله الا الله وصرف معنى الالوهية فى معنى الربوبية ولم يعلم ان مشركى العرب كانوا مقرين بهذا المعنى معترفين به فلم يقولوا ان العالم له خالقان أو مدبران بل الخالق والمدبر واحد ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون فهذا التوحيد من الواجب على العبيد ولكن لا يحصل به التوحيد لا له كل العبيد ولا يخلص مجرده عن الشرك الذى هو أكبر الكبائر ولا يغفره الله يوم تبلى السرائر بل لابد أن يخلص الدين كله لله ولا يتأله بقلبه غير الله ولا يعبد الا اياه مخلصا له الدين ولو كره الكافرون ﴿الثامن﴾ زعمه ان المشركين الاولين كانوا يعتقدون النفع والضر والعطاء والمنع من غير رب العالمين ويرد هذا صريح قوله تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وهذه الآية مع قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فقطع مادة من ادعى انهم كانوا يعتقدون النفع والضر فى غيره سبحانه وتعالى وفى المسند والترمذى من حديث حصين بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم الها تعبد قال سبعة ستة فى الارض وواحد فى السماء قال فمن الذى تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء قال له أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فاسلم فقال له قل اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى وكثير ممن يتكلم فى هذه الحقيقة الكونية ويشاهدها التى يشترك فيها وفى شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر حتى ابليس معترف بها فى قوله رب أنظرنى الى يوم يبعثون وقوله بما أغويتنى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين وقوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين وقوله أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته وأمثال هذا من الخطاب الذى يعترف فيه بان الله ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شئ بيده والمشركون الاولون انما عبدوا غير الله بالمحبة التى تجب لله راجين بها القرب والتقريب اليه طالبين منهم الشفاعة لديه فى قضاء الحوائج وما يحتاجون اليه ومعبودهم ذلك هو عندهم

واسطة الشفاعة ووسيلة التقرب به ويعبرون عنه بالاله لان قلوبهم قد تألهته رجاء منه ما أملته مما ليس للعبيد مدخل فيه وتارة تكثر تلك الآلهة وتارة تقل بحسب اعتقاد من هي له قال سبحانه والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فسمى محبتهم المساوية لحب الله التى يرجونهم ويلجؤن اليهم بها فيدعونهم بسببها فى قضاء حوائجهم عند خالقهم عبادة وأنكر تعالى ذلك عليهم وعابهم به ورده فى قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقال جل شأنه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وقال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون وهم قد أقروا بان الله سبحانه مالك الاشياء كلها وانه الضار النافع المعطى المانع الذى لا رازق سواه ولا مدبر ولا قابض ولا باسط ولا مخرج الحى من الميت ولا مخرج الميت من الحى الا هو وحده لا شريك له فى ذلك لكنهم قد جعلوا بين الله سبحانه وبينهم وسائط من خلقه ليقربوهم ويحببوهم اليه ويشفعوا لهم فى قضاء حاجاتهم عنده وذلك بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة لتقربنا اليه لعظمته وفرقة قالت الملائكة ذوو وجاهة عند الله فاتخذنا صورهم من أجل ذلك لهم ليقربونا الى الله وفرقة جعلتهم قبلة فى عبادة الله والتوسل اليه كما ان الكعبة قبلة فى عبادته وفرقة اعتقدت ان على كل صورة مصورة على صور الملائكة والانبياء وكيلا موكلا بامر الله فمن أقبل عليه وتوسل اليه قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بامر الله والا أصابه بنكبة بامره ﴿التاسع﴾ جعله هذا الشرك الاكبر دينا ليس فيه الا التعزير مع الاصرار مع قوله فيما تقدم هو من الكفر العملى وهو لا يكون الا فى الكبائر والتعزير انما هو فى الصغائر ﴿العاشر﴾ زعمه وادعاؤه انه من العلماء الآمرين بحد الزانى والسارق والشارب والآمر بذلك الله فى كتابه وعلى لسان رسوله والعلماء الاعلام ويظهرون أمر الله ولا يكتمونه فى زعمه ذلك ادعاء انه من العلماء وانه من الآمرين ولا يخفى ما فيه من التزكية لنفسه قال ابن مسعود وعمر من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال هو فى الجنة فهو فى النار ومن قال هو عالم فهو جاهل والله يقول فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴿الحادى عشر﴾ استدلاله على ما ادعاه بقوله صلى الله عليه وسلم أربع فى أمتى من أمور الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الاحساب والطعن فى الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت أما الفخر فى الاحساب فمعناه الافتخار بشجاعة الاجداد وكرمهم أو صفة من الصفات الممدوحة فيهم وهذا شأن الأولين وأما الطعن فى الانساب فهو نسبة الرجل لغير أبيه ينفونه عنه وهذا الرجل مطعون فى نسبه مقذوفة أمه وأما الاستسقاء بالنجوم فقد روى البخارى ومسلم عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى لنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر

بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقد اختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على قولين ﴿أحدهما﴾ هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام قالوا وهذا فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب له سبب ومدخل في انشاء المطر كما كان أهل الجاهلية يزعمونه ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلماء والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث قالوا وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله وبرحمته وان النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال مطرنا في وقت كذا فهذا لا يكفر واختلفوا في كراهته والاظهر كراهة تنزيه لا اثم فيها وسبب الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولانها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم ﴿والقول الثاني﴾ في أصل تأويل الحديث ان المراد كفر نعمة الله لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب قالوا وهذا فيمن لا يعتقد تسبب الكوكب وانشاء المطر والا فلا شك في كفره وأما النياحة فهي رفع الصوت برنة ومنها لطم الخد وشق الجيب * وفيه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وهذه الأمور منها ما هو معصية لا تخرج عن الملة ومنها ما هو مخرج عنها بشرطه واضافة فاعليها الى نفسه وجعله من أمته لا ينافيه فان العاصي لا يخرج بعصيانه عن أمة الاجابة * ومراد النبي صلى الله عليه وسلم في المستسقي اذا لم يعتقد الكوكب له مدخل في المطر فهو من أمته عامل عمل الجاهلية في قوله مطرنا بالنوء والا فهو من أمة الدعوة لا من أمة الاجابة * وفرق بين خصال الذنوب التي تحت مشيئة علام الغيوب وان شاكلت أهل الجاهلية في مجرد الاسم لا في الحقيقة والاعتقاد وبين الشرك الذي هو أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات وأبغض الاشياء الى الله وأكرهها له وأشدها مقتا لديه ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يترتب على ذنب سواه * وأخبر أنه لا يغفره وان أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه وحرم ذبائحهم ومناكحهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله والمؤمنين * وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وان يتخذوهم عبيدا لما تركوا القيام بحقه وعطلوا معاملته المنضمة لألوهيته وما ذاك الا أنه هضم لحق الربوبية ونقص لعظمة الالوهية وسوء الظن برب العالمين كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الاشراك فانهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده * ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاث مواضع من كتابه * وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلا وندا يحبه ويخافه ويرجوه ويذل ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته والمؤثر لا يرضى بايثاره * قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله فالمؤمن يحب في الله لا مع الله والكافر يحب مع الله كحب الله قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أي يجعلون له عدلا في العبادة والمحبة والتعظيم

* وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم كما تقدم آنفا وعرفوا وهم في النار أنها كانت ضلالا وباطلا فيقولون لآلهتهم وهي في النار معهم * تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين * ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الذات ولا في الصفات والافعال ولا قالوا ان آلهتهم خلقت الأرض والسموات أوانها تحيي وتميت أو تدبر الكلام في ذلك ونقل الآيات وانما ساووهم به في محبتهم لها وتعظيمهم لها وعبادتهم اياها بدعائها والدعاء حولها التكون به او واسطة في حصول المطلوب والتقرب الى المحبوب كما عليه أهل الاشراك ممن ينتسب الى الاسلام في قولهم لا اله الا الله فانهم أثبتوا لغيره تعالى قولا وفعلا واعتقادا معنى ما أثبتوه له في مجرد القول وحصول ذلك انما هو بسبب اتباع الهوى وعموم البلوى والجهل بكيفية التوحيد الواجب على العبيد * ومما اتبعوا أهواءهم وزين لهم الشيطان أعمالهم صدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ويزعمون أنهم هم المهتدون وما سبب ذلك الا الاعراض عن كتاب الله وعدم تدبر معانيه والعمل بما فيه قال تعالى * ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون وترى كثيرا منهم مع ارتكابهم أكبر الكبائر على الاطلاق يرتكبون الكبائر ويجترحون المآثم والمظالم ولا يسالون بالله بل يخافون المخلوق ما لا يخافون الله يجعلون تلك المظالم قربات يتقربون بها الى نبي أو ولي ويجعلون على قبره الابنية والتوابيت وأكسية الديباج والحرير وعلى قبته أبواب الورق ليجلب لهم نفعا ويدفع عنهم ضرا ولو لم يفعلوا عادتهم تلك بل اتفق أنهم تركوها وقت فعلها لحصل لهم أو عليهم أمر مزعج ومكدر لم يسندوه الا اليه لتقصيرهم بعدم صنيعهم * ومنهم من يأت القبر ويقف عليه ويظهر له كيس النفقة خاليا فيومئ بها اليه ويكلمه بما هو فيه من الشدة والفاقة وانه محسوب عليه وليس فعله ذلك جهلا بل عنادا وبغيا زاعما انه من الدين ومما يرضي رب العالمين * وهذا بعينه ما يفعله جميع عباد الأوثان بأوثانهم زيادة على بذل النذور للاموات وسادنيها ليجلبوا لهم الخير ويدفعوا عنهم الشرور * لكن طال الامد وحدثت الغفلة وحصل الران حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا فتغشية قبور الانبياء والصالحين وهو سترها بغاشية ليس مشروعا في دين الرسل ولا يصح وقف ذلك على الأضرحة لانه بدعة خبيثة من فعل عباد الأصنام فان فعل به وباق في ملك ربه فان جهل أو لم يكن موجودا ولا وارث له فمال ضائع مرجعه لبيت المال الا الكعبة فقط زادها الله تشريفا وخصت به كالطواف * ومن العجب أن أهل الاشراك ينسبوننا الى التنقص بالمشايخ والأنبياء والصالحين وما ذنبنا الا انا قلنا لهم انهم عبيد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وانهم لا يشفعون لعابديهم أبدا بل حرم الله شفاعتهم لهم ولا يشفعون لأهل التوحيد الا بعد اذن الله لهم في الشفاعة فليس لهم من الأمر شئ بل الأمر كله والشفاعة كلها له سبحانه والولاية له فليس لخلقه من دونه ولي ولا شفيع فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن * ولهذا قال امام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين وان كان المعنى ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به وقد عبدتم معه غيره وجعلتم له ندا فأنت تجد تحت هذا التهديد ما ظنكم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره * فان المشرك اما أن يظن الله سبحانه وتعالى يحتاج الى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين وهذا أعظم النقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته وكل

ما سواه فقير اليه بذاته * واما ان يظن انه سبحانه انما تتم قدرته بقدرة الشريك * واما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة أولا يرحم عبيده حتى يجعله الواسطة يرحمهم أولا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة كما يشفع المخلوق عند المخلوق فيحتاج ان يقبل شفاعته لحاجته الى الشافع وانتفاعه به وتكثره به من القلة وتعززه به من الذلة أولا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة اليه كما هو حال ملوك الدنيا * وهذا أصل شرك الخلق أو يظن انه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم حتى يرفع الوسائط اليه ذلك أو يظن ان للمخلوق عليه حقا فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ويتوسل اليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس الى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته * وكل هذا نقص للربوبية وهضم في الالوهية ولو لم يكن فيه الا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه من قلب المشرك بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به فينقص أو يضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه الى من عبده من دونه فالشرك ملزوم لنقص الرب سبحانه والتنقيص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى * ولهذا اقتضى حمده تعالى وربوبيته ان لا يغفره وأن يخلد صاحبه في العذاب الاليم ويجعله أشقى البرية فلا تجد مشركا قط الا وهو متنقص لله سبحانه وان زعم انه يعظمه بذلك كما انك لا تجد مبتدعا الا وهو متنقص للرسول وان زعم أنه معظم له بتلك البدعة فانه يزعم انها خير من السنة وأولى بالصواب ويزعم انها هي السنة ان كان جاهلا مقلدا وان كان مستبصرا في بدعته فهو مشاق لله ورسوله فالمتنقصون هم المنقصون عند الله ورسوله * وأولياؤهم أهل الشرك والبدعة ولا سيما من بنى دينه على ان كلام الله ورسوله دلالة لفظية لا تفيد اليقين ولا تغني من العلم واليقين شيأ فيالله العجب أي شئ أسعد هذا من ايجاده التنقيص فاهل الشرك والبدعة من أعظم الناس تنقيصا ونقصا لبس عليهم ابليس حتى ظنوا أن تنقصهم هو عين الكمال وان لم يلاحظوه ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك في كتاب الله سبحانه قال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فالاثم والبغي قرينان والشرك والبدعة قرينان وان افترقا في المعنى والحكم فليس الموحد الا من شاهد المخلوقات بأسرها قائمة بامر الله مدبرة بامره وشهد كثرتها بوحدانية الله سبحانه وتعالى وانه رب المصنوعات والهها ومالكها ومدبرها مع اجتماع قلبه على الله اخلاصا له سبحانه وتعالى في معنى ألوهيته من محبته وخوفه ورجائه والاستعانة به والتوكل عليه وحصر الدعاء بالذي لا يقدر على وجوده أو دفعه الا الله عليه وحده والموالاة والمعاداة فيه وأمثال هذا ناظرا الى الفرق بين حق الخالق والمخلوق * وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته وفي حال القلب وعبادته وقصده وارادته ومحبته وموالاته وطاعته وهذا هو تحقيق شهادة لا اله الا الله فان قائل هذه الشهادة ينفي عن قلبه ألوهية كل ما سوى الله مما ليس ألوهيته بحق ويثبت ألوهية الله الملك المعبود بالحق فيكون نافيا الألوهية جميع المخلوقات مثبتا الألوهية رب الارض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله ومفارقته ما سواه فيكون مفرقا في علمه وقصده في شهادته وارادته في معرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالما بالله ذاكرا له عارفا به وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه وانفراده عنهم وتوحده بعبادته وأفعاله وصفاته عنهم فيكون محباله لا معه معظما له لا معه

عابدا له لامعه راجيا له لامعه خائفا منه لامعه محبا فيه مواليا فيه معاديا فيه مستعينا به لا بغيره متوكلا عليه لا على غيره ممتنعا عن عبادة غيره فلا يجعل حقه تعالى لغيره * وهذا المقام هو المعنى في اياك نعبد واياك نستعين وهو من خصائص الالوهية المشهود بها كما أن رحمته تعالى لعبيده وهدايتهم من خصائص الربوبية وشهادته بهذه الالوهية مع العمل بها يتضمن الشهادة بالربوبية وهو انه تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره فحينئذ يكون موحدا داعيا الله وحده بما لا يقدر عليه الا هو عابده بمتالهه فيه فلا يدعو غيره بما لا يقدر عليه الا الله لانه عبادته مختص بجلاله * قال سبحانه وتعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي فسماه عبادة وأضافها الى نفسه * وروى النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي * رواه أبو داود والترمذي * وقال حديث حسن صحيح فوجود العمل والعلم بالشهادة شرط لصحة قولها * فاذا صحت كانت أفضل العبادات لوجود ما تضمنته من معناها المراد منها يبين ذلك ان أفضل الذكر لا اله الا الله كما رواه الترمذي وابن حبان وغيرهما مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وفي الموطأ وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله تعالى قال تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا فمن جعل ما يأ لهه هو ما يهواه فقد اتخذ الهه هواه أي جعل معبوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنه فهم يتخذون أندادا من دون الله يحبونهم كحب الله * ولهذا قال الخليل لا أحب الآفلين فان قومه لم يكونوا منكرين للصانع ولكن كان أحدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعا كالشمس والقمر والكواكب * والخليل بين ان الآفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بتسبب ولا غيره * فاي وجه لعبادة من يأفل وكلما حقق العبد الاخلاص في قوله لا اله الا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه ويصرف عنه المعاصي والذنوب كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بانه من عباد الله المخلصين * وهؤلاء هم الذين قال فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان * وقال الشيطان فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين * وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار فان الاخلاص ينفي أسباب دخوله النار فمن دخل النار من القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار والشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النمل * ولهذا كان العبد مأمورا في كل صلاة أن يقول اياك نعبد واياك نستعين والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت الى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له * فلا يزال العبد مفتقرا الى تخليص توحيده من شوائب الشرك * وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك

يثبت فيهم الاهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فصاحب الهوى الذى اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ الهه هواه فصار فيه شرك عنعه من الاستغفار وأما من حقق التوحيد والاستغفار ولابد أن يرفع عنه الشر * فلهذا قال ذوالنون لااله الاأنت سبحانك انى كنت من الظالمين * ولهذا يقرن بين التوحيد والاستغفار فى غير موضع * كقوله تعالى فاعلم أنه لااله الاالله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله أن لاتعبدوا الاالله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوله والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره الى قوله واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه * وقوله فاستقيموا اليه واستغفروه وخاتمة المجالس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لااله الاأنت أستغفرك وأتوب اليك ان كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه وان كان مجلس لغو كانت كفارة له * وقد روى أيضا فقال فى آخر الوضوء بعد أن يقال أشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين * وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار فان صدره الشهادتان اللتان هما أصلا الدين وجماعه فان جميع الدين داخل فى الشهادتين اذ مضمونهما أن لانعبد الاالله وأن نطيع رسوله والدين كله داخل فى هذا فى عبادة الله بطاعة الله ورسوله وكل مايجب ويستحب داخل فى عبادة الله وطاعة رسوله * وقد عقد البخارى باب العلم قبل القول والعمل لقول الله عز وجل * فاعلم أنه لااله الاالله فالموحدون هم المخلصون وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق وعلموه فاتبعوه ولم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين بل أخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم وأنابوا الى ربهم فاحبوه ورجوه وخافوه ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم وأحبوهم ووالوهم واتبعوا النور الذى أنزل معهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بهديهم واستنوا بسنتهم * وذلك هو دين الاسلام الذى بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل وهو الذى لايقبل الله من أحد دينا الااياه وهو وظيفة العبادة لرب العالمين وهو الفاصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل * وأما قولكم ويجب حمل النصوص القرآنية والاحاديث النبوية على معانيها الظاهرة منها ان لم تخالف المحكم والا يجب صرفها عن ظاهرها وردها الى المحكم * فنقول القرآن كله محكم فى بيان التوحيد المكلف به العبيد وبيان ضده والحلال والحرام والامر والنهى والوعد والوعيد فليس فيه اختلاف ولاتناقض فى ذلك قال سبحانه وتعالى الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لاتعبدوا الاالله اننى لكم منه نذير وبشير وقال سبحانه وتعالى قل ياأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وان أقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم وقال سبحانه وتعالى وماأمروا الاليعبدوا الها واحدا لااله الاهو سبحانه عما يشركون يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الاأن يتم نوره ولو كره الكافرون * وقال سبحانه واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم * وقال تعالى وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله * وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * وقوله سبحانه وتعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا الآية * وقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وأمثال هذا ﴿والعبادة﴾ هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالتوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث واداء الامانة وبر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم وكذلك الدعاء والذكر والقراءة وحب الله ورسوله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وغير ذلك من العبادة التى شرعها الله لعباده وأمرهم بفعلها خالصة لوجهه وذلك أن العبادة لله هى الغاية المحبوبة لله والمرضية له التى خلق الخلق لها كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون الى غير ذلك من الآيات الظاهرة المحكمة الى يوم القيامة وأما الآيات المحكمات اللاتى هن أم الكتاب فهى البينات المفصلات سميت بذلك لظهورها ووضوح معناها المراد منها وأما الآيات المتشابهات فقال محمد بن اسحاق بن يسار هن ما تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل أشياء أخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد فالمتشابهات فى الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل ولا يخرجن عن الحق ولهذا قال تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه أى الذين فى قلوبهم ضلال وخروج عن الحق الى الباطل انما يأخذون منه بالمتشابه الذى يمكنهم أن يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة لاحتمال لفظه الى ما يصرفونه اليه فاما المحكم فلا نصيب لهم فيه ولا سبيل لهم اليه لانه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال ابتغاء الفتنة التى هى الشرك والاضلال بالبدع وسائر المحظورات ومنها أيضا ما استأثر الله بعلمه ولا سبيل لاحد الى علمه كحوادث المغيب من اشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا ونزول المطر والرحمة والعذاب والشدة والراسخ فى العلم يقول فى متشابه التنزيل آمنا به كل من عند ربنا فان وجد ما ظاهره يخالف المحكم رد الفرع الى أصله وعرف حقيقة قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وان المتشابهات لا يخالفن المحكمات فى التوحيد ولا فى الامر والنهى والوعد والوعيد وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم ويفسر المتشابه بام الكتاب فان بعض الآيات تظهر للجاهل معنى غير مراد فيعجز عن فهم معناها المراد ويحملها على ما تميل اليه نفسه من الهوى والعناد فيرده الراسخ الى أم الكتاب فمن ذلك قوله تعالى أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فهذه الآية يشعر ظاهرها الامر بالفسق ويفسرها قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء وقوله وينهى عن

الفحشاء والمنكر والبغي فهذه الآيات المحكمات هن أم الكتاب ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ربما فهم منه تقرير هذه الملل مالم يرده الى محكمه * وهو قوله قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا * وقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والله سبحانه ذكر أهل الكتاب وما ارتكبوه من قبائح الذنوب الموبقة ثم قال لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك فمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من قوم أي رسول لم يؤمن برسوله قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ومن آمن برسوله آمن بكل رسول كما أمر الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله قولوا آمنا بالله الآية وقد رد الصديق الاكبر رضي الله عنه فهم من قال في معنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم انه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وهذا من المتشابه يرجع فيه الى محكمه وهو قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويكون معنى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم أمرتم ونهيتم فلم يسمع لان من الاهتداء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا أدى الذي عليه ولا ضرر عليه من ضلال من لا يأتمر ولا ينتهي وكذا قوله لا تزغ قلوبنا يفهم منه انه تعالى يزيغ القلب بلا سبب فيفسر بمحكمه وهو قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وبقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون فقيد المحكم الذي هو أم الكتاب قيد للمطلق وهو واسع النطاق من تأمل وحقق تحقق ومن زاغ قلبه بعدم القبول المحق والمحق والله قد اتبع قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات بقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وفيه نوع من الاشتباه يرجع فيه الى قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم واذا وقف العبد التنبه عن اتباع ما فيه نوع تشابه كما في هذه الآية وفتح له باب في الفصل والوصل نفعه خصوصا في الجمل المعترضة * وحاصله كل ما في الكتاب من آية يستشكلها العقل لاحتمالها معنيين فصاعدا أو بعض تلك المعاني المفهومة منها أو فيها أو عمها مناقض لآيات من الكتاب أو آيات فتلك من المتشابهات تفسرها الآيات المحكمات لان القرآن كله لا يتناقض بل هو نور وحجج واضحات قال ابن كيسان المحكمات حججها واضحة ودلائلها لائحة لا حاجة لمن سمعها الى طلب معانيها والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل انتهى ومنه قوله سبحانه قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى فان من في قلبه زيغ يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة على قصده الفاسد وميل هواه الذي له قائد ويزعم انه مهتد فيضل بهذا والله يقول وما يضل به الا الفاسقين الآية وقوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وقوله لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا فمن زاغ قلبه جعل الأمر آنفا وزنفي تقدم علم الله بما هو كائن ومن كان على نور من ربه فسر القرآن بالقرآن وأعاد هذا الى قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وقوله عالم الغيب وأول من تكلم بالقدر وان الأمر أنف معبد الجهني الذي في البصرة قال يحيى بن يعمر قال خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما قوله معبد ولقينا عبد الله بن

عمر رضي الله عنه فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فعلمت انه سيكل الكلام الي فقلت أبا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هذا العلم و يطلبونه يزعمون ان لاقدر انما الامر أنف قال فاذا لقيت أولئك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم مني براء والذي نفسي بيده لو ان لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيأ حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم ساق حديث جبريل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومما يتخيل ويشبه ان يكون من المتشابه قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين ليسوا من عباده تعالى وقد قال ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ومحكم هذا وأمه قوله الا عبادك منهم المخلصين فهم المقيد بهم هذا الاطلاق وهذا واسع في كلام الخلاق ويشبه في الآية ان المخلص لاسبيل للشيطان اليه ألبتة وليس كذلك انما ليس له سلطان ان يتمكن من المخلص فيرتكب ذنبا لا يغفر محكمه قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني و بين اخوتي وهؤلاء هم عباد الله المخلصون وهذا واسع في كلام رب العالمين ومنه قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون لمن في الارض يفهم منه عموم الاستغفار فيرد الى محكمه وهو قوله و يستغفرون للذين آمنوا الآية فانه لم يأذن الله للمؤمنين ان يستغفروا للمشركين والله لا يغفر ان يشرك به وهذا تفسير القرآن بالقرآن فانه التبيان ومنه قوله وتمت كلمة ربك من قصر فهمه خيل ان التمام الانقضاء والانتهاء فيرد الى محكمه ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فهذه الآية تدل من لاز يغ في قلبه ان قوله وتمت كلمة ربك معناه قوله الحق الكامل بكل مقصد محكم وقد أتبعه بقوله لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فالقرآن مصون عن النسخ جملة والتبديل محفوظ عما وقع في التوراة والانجيل لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والآيات في المعنى كثيرة جدا ومن قرع باب التحصيل وفق للحصول والمحصول فالقرآن العزيز كله محكم باعتبار تفسير ما تشابه منه بما ذكر بالمحكم ومن رسخ ولم يزغ قلبه قال رب زدني علما كما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب زيادة العلم وكما ان القرآن كله محكم باخبار من أنزل كذلك كله متشابه يشبه بعضه بعضا قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وهذه الآية الشريفة عرفت الناظر المراد بالمتشابه فيها بقوله مثاني تكرار الآيات والقصص والحسن والوقع في عدة مواضع فيشبه بعضه بعضا في قصصه ومعانيه والفاظه ومبانيه وحسنه و وقعه والصدق بعضه يصدق بعضا وهذا بحر زاخر ليس له ساحل وان تخيل من تخيل انه بلغ ما يروم بخياله باطل قاصر وما أوتيتم من العلم الا قليلا فالقرآن تبيان كل شئ منزل بتوحيد الله وافراده سبحانه بعبادته ومعاملته لاشريك له هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق به لا يخفى عليه شادة ولا فاذة مما أشكل على الامة ونشأ عنه الخلاف بينهم من اشتراك الالفاظ والمعاني فانه نشأ عن الاشتراك مما يعرفه أرباب الادراك وكذا الحقيقة والمجاز فانه نشأ عنهما في فنون شتى ما يحتاج أقله الى اطناب ولا يجدي فيه الا الايجاز ولا يختلف عليه صلى الله عليه وسلم ما يختلف على الراسخين في العلم من الفرد والتركيب التي يعرف فيها المخطئ من المصيب ولا يعزب عنه معرفة العموم والخصوص اذ هو السند المنصوص ولا يختلج عليه الرواية والنقل فلا ينطق عن الهوى ولا عما يحسنه العقل ولا يتوقف فكره في الاجتهاد فيما لا نص فيه كما يقع لكل بحر يرفع ما يظهره ويخفيه ولا يقر على الخطأ مجتهدا فيما

قاله بفيه وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالناسخ والمنسوخ على الاطلاق وعنه عرفت الاباحة والتوسيع في كل الآفاق وهذه الثمانية الأمور المذكورة نشأ عنها الخلاف والاختلاف بين الرفاق الا في العبادة بانواعها فانها لله وحده لاشريك له لم يجز فيها اختلاف بين المسلمين انما حملها لغيره من خلقه غيرهم من المشركين والله تعالى يقول بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم فكلام الله سبحانه لا يناقض بعضه بعضا لا محكمه ولا متشابهه وكذلك كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه لا تخالف فيها ولا تناقض ولا يخالف كلام الله ولا يناقضه بل يحمل مطلقه على مقيده ومتشابهه على محكمه وكما أن في القرآن آيات متشابهات استأثر الله بعلمها كذلك في السنة أحاديث متشابهات يجب الايمان بها وتلقيها بالقبول والتسليم وترك التعرض لمعناها كيفا ومثلا فالخلاف في التوحيد ممنوع ومردود كالاختلاف فيه لانه انما ينشأ عن الزيغ والله سبحانه يقول شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿ وأما قولكم ويجب حمل المؤمن على الصلاح مهما أمكن حتى لو كان له تسعمائة وتسعة وتسعون احتمالا مؤديا الى الكفر واحتمالا واحدا الى النجاة يجب حمله عليه والسر في ذلك ان الايمان لا يزول الا بيقين مثله ﴾ فنقول لا شك انه متى وجد الايمان يقينا فلا يزيله الا ما ينافيه يقينا فلا يزول بالشك ولا بالظن استصحابا للاصل السابق لما قارنه من اليقين وتقدمه له على الوصف اللاحق به لنزوله عن درجته وهذا مع وجود وصف محتمل متردد فيه بين الحالتين ولذلك لما كتب حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بجنود لا قبل لكم بها ولو جاءكم النبي صلى الله عليه وسلم وحده لكفى وأراد عمر بن الخطاب ضرب عنقه وقال انه منافق فاعتذر حاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما معناها انه ليس له من هذا مقصد الا وضع اليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر دعه فانه شهد بدرا وانك لا تدري لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو فاني غافر لكم ففاضت عينا عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما اعتذر عنه بشاهدته هذه المنقبة العظيمة استصحابا لفضلها وعظمها واشارة الى ان أهلها لا يمكن ان يتصفوا أو بعضهم بردة لان الله قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وهو تعالى لا يغفر الذنوب للمؤمنين بخلاف غيرهم فقد يتصف بردة بعد ايمان ولا يكون ذلك بمجرد الجس فانه كبيرة لا يكفر بها ان لم يكن فيه موالاة الكفار على المسلمين ويجتهد الامام فيه قاله مالك وأحمد ولذلك قلنا لكن لا تثبت الا بيقين ومنه جحد ما جاءت به الرسل أو عناده أو انكاره أو معاداته أو الاستهزاء به ظاهرا أو باطنا أو موالاة المشركين ومظاهرتهم على الموحدين قال سبحانه وتعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم الى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا وتسميتهم مؤمنين باعتبار عدم وجود الموالاة والمعنى أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا على كونكم منافقين وقوله انكم اذا مثلهم ان قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزؤن بآيات الله ودينه راضين باستهزائهم فانتم كفار مثلهم قال أهل العلم هذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي عن منكر يراه وخالط أهله راضيا به كان في الاثم بمنزلة المباشر وان لم يباشره بدليل انه تعالى

ذكر لفظ المثلية وإذا خاضوا في حديث غيره فهل للمؤمن القعود عندهم أم لا قال الحسن لا يجوز القعود معهم وإن خاضوا في حديث غيره لقوله تعالى وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال غيره يجوز والحالة هذه لمفهوم هذه الآية وآيات الأنعام مكية وهذه الآية مدنية والمتأخر من الآيتين نزولا أولى بالعمل وأجاب بأن تلك صريحة في النهي وهذه مفهومة في عدمه والصريح مقدم على المفهوم إذا تعارض الاستدلال بهما ثم إذا قعد المؤمن باختيار منه عند من هو عدو للدين عداوة متيقنة وهو في حال قعوده يسب الدين ويستهزئ بالآيات فذلك علامة صريحة على أنه مثله في المسابة شريك له فيها فإن لم يسب ولم يستهزئ وقعد عنده فقد عرض نفسه لسوء الظن به والطعن والقدح في دينه كما قال بعض السلف من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء الظن به وقد قال صلى الله عليه وسلم من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وفي رواية للترمذي من تركها استبرأ لدينه وعرضه وفي الصحيحين ما يناسب لهذا الحديث ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يوقع ما استبان ومع ذلك فينهى عن مواضع التهم والشبهات ولا يظن فيه الردى في دينه وعرضه بمجرد ذلك الأمع الإصرار على فعل المنهي عنه لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث قال الخطابي هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك قال الزجاج نهى الله أن نظن بأهل الخير سوا فأما أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم وهذا كله مع الاحتمال وعدم ظهور أمره فأما مع اليقين ظاهرا فلا يمكن أن يقال فيه ظن بل متيقن ظاهرا فإن كان مؤمنا فلا يظن فيه إلا الخير والصلاح لإيمانه وأما لخلقته وجبلته فالأصل فيه الظلم والجهل قال تعالى إنه كان ظلوما جهولا وإن كان كافرا فيتيقن كفره ظاهرا وإن كان عاصيا فيتيقن فيه الفسق ظاهرا وإنما قلنا ظاهرا لأنا مأمورون بمعاملة الخلق ظاهرا وبكل علم الباطن إلى الله وما الظن والاحتمال فيمن شبه المخلوق بالخالق في خصائص لوهيته من دعائه بما لا يقدر على دفعه أو جلبه إلا الله وحده والتوكل عليه ورجاؤه والالتجاء إليه وذبح القربان والنذر له ليدفع عنه ما حل به أو ينال ما أمله منه إما معتقدا فيه الضر والنفع والعطاء والمنع وإما راجيا شفاعته متقربا بعبادته فهل له احتمال واحد مؤد إلى الإيمان مع هذا الكفر الحقيقي والبهتان فإن هذا الاعتقاد مناف لقوله الكلمة الطيبة وإقراره بها في مجرد اللسان وإذا فلا يصح منه سائر ما عمله ظاهرا من بقية الأركان وقد كان الجعد بن درهم من أشهر أهل وقته بالعلم والعبادة فلما جحد شيئا من صفات الله مع كونها مقالة خفية عند أكثر الناس ضحى به خالد القسري يوم عيد الأضحى فقال وهو على المنبر أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم لأنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل من على منبره وذبحه والخلق ينظرون إليه فيهم التابعون وغيرهم بعد أن شهدوا على إنكار الجعد الخلة والتكليم فلم ينكر أحد منهم ذبحه ولا التضحية به ولا أنكر ذلك أحد من العلماء الأعلام بل نقل ابن القيم رحمه الله تعالى إجماعهم على استحسان هذا وهو مقر بالكلمة الطيبة وبمعناها الكبير جدا أمراهو من الإيمان متضمن لحقها فكيف بالذي يجعل معناها لغير الله ويجعل المخلوق بمنزلة الخالق ولا يرضى أن يكون عدلا له بل ربما اعتقد تأثير القدرة منه أسرع من الله لكونه يتصرف في الكون أين العقل والتمييز أين الإنصاف والتمييز في القلب والقالب إلى الملك العزيز وكذا التشبه به سبحانه وتعالى في التعاظم والتكبر ودعاية الناس

الى اطرائه فى الثناء والمدح والتعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفا منه ورجاء والتجاء
واستغاثة به ونذر له ويتقرب به ويستعان ويدعى عند الشدائد كالمدعين لله من الضلال فهم كذبة قد
تشبهوا بالله ونازعوه ربوبيته وألوهيته وما الظن والاحتمال فيمن شبه نفسه بالخالق فى خصائص
ألوهيته ومعاملته المؤديين الى الايمان وهم حقيقون بان يهانوا غاية الهوان ويذلوا غاية الذل ويجعلوا
تحت أقدام خلقه تعالى وهم الشياطين ومن المغضوب عليهم والضالين وفى الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله عز وجل العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته
واذا كان المصور الذى يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيمة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة
فما الظن بالمشبه بالله فى ربوبيته وألوهيته واذا كان المنازع لشرعه الحاكم بغير حكمه طاغوتا أمرنا الله
أن نكفر به فكيف بمن نازعه ربوبيته وألوهيته وحكمه فى عبادته ومعاملته وهم مع ذلك يحتجون
بالمشيئة ويدعون الولاية والحفظ والقرب من الله ومن رسوله ويفعلون الكفريات ويتركون
الواجبات ويغترون بشبه استدراجات من نحو أشياء خارقة للعادات من تعظيم ملك أو جنى أو شيطان
لهم أولئك أهل الخزى فى الدنيا والآخرة ما داموا كذلك ويجب ذمهم والتحذير منهم على كل من
عرف حالهم ولا ينظر فى صور زهد أبدوها فى ظاهرهم وقد انعقد اجماع المسلمين على المعاملة
بالظواهر فما وافق شرع نبينا قبلناه وما خالفه نبذناه فان أهل الاستقامة سلكوا على الجادة ولم
يلتفتوا الى شىء من الخواطر والهواجس والالهامات حتى يقوم عليها شاهدان شاهد من الكتاب
وشاهد من السنة قال سهل بن حنيف رضى الله عنه أيها الناس اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى
يوم أبى جندل ولو أستطيع ان أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته واتهام السادات الاولياء
من الصحابة رضى الله عنهم لآرائهم كثير مشهور وهم أبر الامة قلوبا وأعمقها فيه علما وأبعدهم
عن الشيطان وكانوا تبع الامة للسنة وأشدهم اتهاما لآرائهم وهؤلاء المدعون ضد ذلك كله ومن
شروطها عدم ادعائها عن نفسه أرعى الله قال الجنيد قال ابو سليمان الدارانى ربما يقع فى قلبى
النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبلها الا بشاهدين عدلين من الكتاب والسنة وقال أبو يزيد
البسطامى رضى الله عنه لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به
حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود وقال أيضا من ترك قراءة القرآن
ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع وقال السرى السقطى
من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط وقال الجنيد مذهبنا مقيد بالاصول الكتاب والسنة
ومن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ويتفقه ويعمل لا يقتدى به وقال أبو بكر الدقاق من ضيع
حدود الله فى الامر والنهى حرم مشاهدة القلب فى الباطن وقال ابو الحسن من رأيته يدعى مع الله حالا
يخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربه فانه شيطان ومن رأيته يدعى حالا لا يشهد حفظ ظاهر
فاتهمه على دينه وقال جرير أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد ان تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم
على ظاهرك قائما وقال عبد القادر الجيلى رحمه الله وهو نور ضريحه جميع الاولياء لا يستمدون الا
من كلام الله ورسوله ولا يأخذون ويعملون الا بظاهرهما وقال ابو حفص من لم يزن أفعاله وأحواله
وأقواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده وهؤلاء الكذابون على الله المدعون يتهددون
ويتهزهزون بالرقص حول الطار والمزمار عند سماعه والبكاء والنحيب ويؤمنون بادعائهم ورؤسهم شوقا

لذلك من الوجدان والعلمات زاعمين انه ذكر لله وانه من الدين المقرب عنده والمحبوب اليه وهو والله من الجور والبهتان والطغيان لا من السنة ولا من القرآن ولا فعله أولياء الرحمن بل هو اعدائه واغناهو من فعل أولياء الشيطان وعباد ابليس والجان فانهم اذا سمعوا القرآن أعرضوا عن سماعه وعن العمل به ولم يأخذهم ما أخذهم عند سماع ذلك المنكر بل تشاغلوا عنه بالضحك واللعب وشرب الدخان فهم أقبح حالا من الذين قال الله فيهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم فهم مع ادعائهم علم الباطن شبيهون بالذين عبدوا العجل في غيبة موسى فلما رجع سمع لهم صياحا وأصواتا وأداهم يرقصون حوله ومجرد الرقص بلا ادعاء انه من الدين لا يوجب الكفر الحقيقي بل الفسق فقط ما لم ينازعوا الله في ألوهيته لعموم ما تقدم ومتى ظهرت المنازعة ووجد الادعاء فيما قدمناه فاين الاحتمال المؤدى الى وجود الايمان مع وجود نقيض الكلمة الطيبة فيه ومنازعته معناها المختص بجلال الله وعظمته ومعاملته بادعائه وتعظيمه فاصل الدين وقوامه اغناه واخلاص العبادة والدين بانواعه لله سبحانه واتباع ما أمر به وأرسل به رسله وأنزل به كتبه والانتهاء عما نهى عنه قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴿و﴾ أما قولكم يجب الترضي والاستغفار لمن سلف من المؤمنين والكف عن مساويهم قال عز من قائل والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ومرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مخلد في النار لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿ فنقول اما محبة جميع المؤمنين بعضهم بعضا ومودتهم بينهم وسؤال الله المغفرة لهم فامر مستحسن مطلوب لا يشك فيه شاك ولا يسعه الاهالك قال سبحانه وتعالى آمرا نبيه ان يستغفر للمؤمنين فاستغفر لذنبك وللمؤمنين وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وسمع ابن عباس رضي الله عنهما رجلا نال من بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امن المهاجرين الاولين أنت قال لا قال أمن الانصار أنت قال لا قال فاشهد انك لست من التابعين باحسان فكل من لم يترض عن أصحاب محمد والتابعين لهم باحسان وكان في قلبه غل لأحد منهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية والله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بالاحسان فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا عن المؤمنين وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي رواية لمسلم المؤمنون كرجل واحد اذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي رواية له أيضا المسلمون كرجل واحد اذا اشتكى عينه اشتكى كله واذا اشتكى رأسه اشتكى كله وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا

رواه مسلم وفي رواية له تعرض الاعمال في كل يوم خميس أو اثنين وذكر نحوه فالمؤمنون تجب موالاتهم ومحبتهم والكف عن اعراضهم ويحسن الدعاء والاستغفار لهم وتحرم معاداتهم وتتبع عوراتهم والبحث عن عثراتهم وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة رواه البخاري عن يحيى بن بكير ورواه مسلم عن قتيبة كلاهما عن الليث قال سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة قال الزجاج علم الله سبحانه ان الدين يجمعهم وانهم اخوة اذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا بالاتفاق في الدين الى أصل النسب لانهم من آدم وحواء وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمهاجر من هجر مانهى الله عنه وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان اني قد غفرت له وأحبطت عملك رواه مسلم وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وأخرج الامام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه سهل بن حنيف مرفوعا من أذل عنده مسلم فلم ينصره وهو يقدر أن ينصره أذله الله على رؤس الخلائق يوم القيامة ولابي داود مرفوعا مامن امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه الاخذله الله في موضع يحب فيه نصرته ومامن امرئ ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وتهتك فيه حرمته الانصره الله في موضع يحب فيه نصرته وروى مسلم من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن عبد مسلم يدعو لاخيه بظهر الغيب الا قال الملك ولك بمثل وعنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول دعوة المرئ المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل رواه مسلم وفي حديث آخر أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب وقد أثنى الله على الذين يثنون على المؤمنين خيرا ويدعون لهم به قال سبحانه وتعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له وان كان الداعي دون المدعو له رتبة فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد أن يعتمر ودعه لاتنسنا يا أخي من دعائك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من أمته الدعاء ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم بل هو كامره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع انه عليه الصلاة والسلام له مثل أجورهم في كل ما يعملون لاسيما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ وهو عليه الصلاة والسلام داعي الامة الى هدى فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه وكذلك اذا صلوا عليه فان الله يصلي على أحدهم عشرا وله صلى الله عليه وسلم مثل أجورهم مع ما يستجيبه الله تعالى من دعائهم له فكذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه وصار ما يحصل له به من النفع نعمة من الله عليه ومن قال لاخ ادع لي وقصد نفعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى فالسائل نبه المسؤل وأشار عليه بما ينفعهما والمسؤل فعل ما هو نفع لهما فهو بمنزلة من يأمر غيره ببر

وتقوى فيثاب المأمور على فعله والآمر يثاب لكونه دعا اليه لا سيما اذا فعل من الأدعية ما أمر الله به العبد كما قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فأمره بالاستغفار ثم قال ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فذكر الله استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك الوقت حيث أمره الله تعالى ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يأمر الله مخلوقا ان يسأل مخلوقا شيأ لم يأمر الله المخلوق المسؤل به فما أمر الله العبد به أمر ايجاب أو استحباب ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة لله وصلاح لفاعله وحسنة فيه واذا وفق لفعل ذلك كان من أعظم احسان الله اليه وانعامه عليه بل أجل نعمة أنعمها الله على عبده ان هداه للايمان وأرشده لتوفيق اليه ومحبة المؤمنين وموالاتهم والدعاء والاستغفار لهم ومجانبة أهل الشرك والطغيان والجور والبهتان العاملين بالجهل والابتداع والتاركين للامر المنزل المطاع فعملوا بضده على يقين منهم في ذلك واختراع زاعمين انه هو المطلوب وانه هو الوسيلة الى المحب المحبوب ومعاداتهم وجهادهم عليه وتذكير الله وادعائه اليه هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهي الطاعة لله التي من عمل بها يكون مع أوليائه قال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله بل نعم الدنيا بدون الدين هل تسمى نعمة أم لا فيه قولان للعلماء مشهوران والتحقيق انها نعمة من وجه وان لم تكن نعمة تامة من وجه وأما الانعام بالدين ومنه حب أهله وموالاتهم ومعاداة ضدهم فلا يتم بدون ذلك فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة قال سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فضل الله الاسلام والقرآن ورحمته ان جعلنا من أهله وكما ان المؤمنين تجب محبتهم وموالاتهم والكف عن أعراضهم ويحسن الدعاء والاستغفار لهم كذلك أعداء الله من المشركين الكافرين تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم وتذكر مساويهم ليرتدعوا عما هم عليه قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل وعدم الرضا بدينه صلى الله عليه وسلم وما جاء به والعمل به أكبر من اخراج ذات الرسول فانه لم يخرج الا بسبب ذلك وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم قال جهارا ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين ومعناه انما وليي من كان صالحا وان بعد نسبه مني وليس وليي من كان غير صالح وان كان نسبه قريبا قال القاضي عياض قيل ان المكني عنه هنا هو الحكم ابن أبي العاص وذلك لان بعض الرواة كنى وافقه لوافي أوله ان آل أبي يعني فلانا ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وانما كنى خشية ان يسميه فيترتب عليه مفسدة اما في حق نفسه واما في حقه وحق غيره وكنى عنه فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن بطن قريب النسب منه انهم ليسوا بمجرد النسب أولياء له انما وليه الله وصالح المؤمنين من جميع الاصناف ومثل ذلك كثير بين في الكتاب

والسنة ان العبرة بالاسماء التي حمدها الله وذمها كالمؤمن والكافر والبر والفاجر والعالم والجاهل لا بالنسب ومن هذا قول بعضهم

لعمرك ما الانسان الا ابن دينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الاسلام سلمان فارس * ووضع الشرك الشقي أبا لهب

وكذلك تجب مقاطعتهم والبراءة منهم وعدم الاستغفار لهم قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله "ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه الآية وقال ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وتحقيق وحد الشرك يقوم مقام من علم أنه من أصحاب الجحيم في عدم جواز الاستغفار والحالة هذه قال الله لنبيه سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر سبحانه انه لا يغفر لهم قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهو تعالى لا يحب المعتدين في الدعاء ومنه سؤال المغفرة للمشركين أو ما فيه معصية لله كالاعانة على الكفر والفسوق والعصيان فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعته من الدعاء الذي ليس فيه عدوان وهو لا يكون الا للموحدين لا للمشركين الذين حرم الله عليهم الجنة ومأواهم النار وان لم نقطع لمعين بجنة ولا نار الا من نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم لانا مأمورون ان نعامل بالظاهر والامور مرجعها اليه سبحانه وتعالى ولو سأل واحد من الانبياء عليهم السلام قد دعاء لا يصلح له لم يقر عليه فانهم معصومون ان يقروا على ذنب لو صدر منهم جهلا بحكمه أولا ولهذا قال نوح عليه السلام رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال الله يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين وأما استغفار ابراهيم لوالديه في قوله ربنا اغفر لي ولوالدي فللوعد الذي وعد به أباه وعده ان يستغفر له ان آمن وهو قوله سأستغفر لك ربي فاستغفر له لمكان الوعد راجيا ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله لموته على الكفر تبرأ منه وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول له أبوه اليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني ان لا تخزني يوم القيامة يوم يبعثون فاي خزي أخزى من أبي الابعد فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بضبع ملطخ بالدم فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار فتبرأ منه يومئذ فقد يبس الله عذر خليله عليه السلام في استغفاره لأبيه وأما أمه فقد أسلمت وقيل المراد بالوالدين في قوله لوالدي آدم وحوى عليهما السلام والأول عليه الأكثر وأما قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية فالذرة هي النملة الصغيرة وعمومها فيه أمران حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر لأن المعنى فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة من فريق الأشقياء شرا يره وقد ذكر الله سبحانه ذلك بعد قوله يومئذ يصدر الناس أشتاتا يعني يرجع الناس عن موقف الحساب بعد

العرض متفرقين أهل التوحيد والايمان على حدة وأهل كل دين على حدة كقوله يومئذ يتفرقون ويومئذ يصدعون ليروا أعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار قال مقاتل فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح بذلك وكذلك من الشر يراه في كتابه فيسوءه ذلك قال وكان أحدهم يستقل ان يعطى اليسير ويقول انما نؤجر على مانعطي ونحن نحبه واليسير ليس مما نحب ونتهاون بالذنب اليسير ونقول انما وعد الله النار على الكبائر فانزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت يارسول الله ما ننتهي الناس يوم القيامة قال الى أعمالهم من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره واستدلال صاحب المقدمة بهذه الآية على ان مرتكب الكبيرة ليس بكافر لا يصلح له دليلا اذ المكفر بها من الخوارج والمبتدعة ان يقولوا فمن يعمل مثقال ذرة من فريق المسلمين وأما الكافرون فيرجع فيه الى قوله وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ولكن الدليل لأهل السنة والجماعة ونحن ان شاء الله منهم ماقدمناه وقلناه وبيناه في بحث أهل الايمان * ومما أجمع عليه صالح سلف الأمة من دلائل الكتاب والسنة وعند قوله تقلا عن ابن القيم وهذا الجمع والتوقيف بهذا التفصيل هو قول الصحابة وعليه الاعتماد لأن أمثال هذه المسائل لا تتلقى الا منهم ولا تؤخذ الا عنهم فلله الحمد والمنة رهو مما قاله من الاستدلال يزعم انا نكفر بالذنوب وقد تكرر ذلك منه وهو بهتان علينا وزور وادعاء بلا تثبت وقول زور ومن وفق الانصاف حقق أمرنا ونهينا ومن الذى كفرنا وجاهدنا وكلامنا ودلائلنا فلا يقول علينا الا حقا ولا يعمل الا به * وأما قولكم ﴿اذا تمهد هذا فنقول اما ماذكرت من تعظيم القبور وتشديد المنكر على من يفعله فهذا أمر مجمع عليه وعلى تحريمه ولا يفعله الا الجهلة الرعاع من العوام والاعراب واشباههم بل نقول ان الصلاة تكره كراهة تحريم بحضرة أي قبركان بل عند الامام أحمد لا تنعقد أصلا لكن لا يلزم من ذلك تكفير مرتكبه كفرا يخرج به عن الملة ويباح دمه وماله وعرضه نعم هو كفر عملي حيث يكون بفعله مرتكبا للمنهي عنه وحكمه كما قدمناه النصيحة والوعظ والزجر لا غير ذلك﴾ فنقول معنى تمهد أى انتشر مبسوطا السامعه من تمهدت الارض تمهدا اذا اتسعت فراشا مبسوطة وتمهدا الصبي تمهدا اذا سكن اضطرابه في المهاد ومهد اذا وضع فيه قاله أهل المعاني وأما تعظيم القبور بمعنى احترامها فان كانت للمسلمين فواجب لا يجوز بول ولا تغوط ولا جلوس ووطء عليها لما في صحيح مسلم عن أبي مرشد الغنوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وفيه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قد اتكأ على قبر فقال لا تؤذوا صاحب القبر وفيه أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر مسلم وأما تعظيمها بمعنى عبادتها فهو من أكبر الكبائر عند الخاص والعام وأصل فتنة عباد الاصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين الذين في قلوبهم وقار لله فيغضبون لاجله ويغارون على توحيده ويمحون الشرك وأهله ويجاهدون أعداء الله من أجله ولكن من خالفهم فما الحيلة * ما لجرح بميت ايلام * ولا لمن خالف هؤلاء احترام * وان منشأ هذه الفتنة في الاسلام الفتنة في القبور حتى آل الامر بها الى أن عبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل فصارت تدعى وترجى وتخشى وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح كما أخبر سبحانه عنهم

في كتابه حيث يقول قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره منهم ابن كثير وأبو الحسين البغوي وعلي بن أحمد الواحدي والرازي قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كان الناس أمة واحدة قال على الاسلام وكان أول ما كادهم به الشيطان من تعظيم الصالحين كما ذكر الله ذلك في كتابه في قوله وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال الكلبي كان هؤلاء قوما صالحين فماتوا في شهر فجزع عليهم أقاربهم وصوروا وصوروهم وفي غير حديثه قال أصحابهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه حتى ذهب ذلك القرن ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من الاول ثم جاء القرن الثالث فقالوا ما عظم أولنا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم فلما بعث الله نوحا وغرق من غرق أهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جدة فلما انصب الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها ثم عمر نوح عليه السلام وذريته الارض وبقوا على الاسلام ماشاء الله ثم حدث فيهم الشرك وما من أمة تخرج الا ويبعث الله فيهم رسولا يأمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له وينهاهم عن الشرك فنهم عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعث الله لهم هودا وكانوا في ناحية الجنوب بين اليمن وعمان فكذبوه فارسل الله عليهم الريح فاهلكتهم ونجى الله هودا ومن آمن معه ثم بعث الله صالحا الى ثمود وكانوا بالشمال بين الشام والحجاز فاستحبوا العمى على الهدى فارسل الله عليهم صيحة فاهلكتهم ونجى الله صالحا ومن معه ثم بعد ذلك أخرج الله ابراهيم عليه السلام وأهل الارض اذ ذاك كلهم كفار فكذبوه الا ابنة عمه سارة زوجته وآمن له لوط فاكرمه الله تعالى ورفع قدره وجعله اماما للناس وجعل في ذريته الكتاب والنبوة ومن ظهور ابراهيم لم يعدم التوحيد في الارض كما قال تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وكان له ابنان اسحق عليه السلام وهو أبو بني اسرائيل واسرائيل يعقوب بن اسحق والثاني اسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب وقصته وأمه مشهورة لما وضعها عليه السلام في مكة فنشأ اسمعيل في أرض العرب وصار له ولاولاده ولاية البيت ومكة فلم يزالوا على دين أبيهم اسمعيل حتى نشا فيهم عمرو بن لحي فملك مكة وكان معظما فيهم بسبب الدين والدنيا فسافر الى الشام ورآهم يعبدون الاوثان فاستحسن ذلك منهم وزينه لاهل مكة ثم اقتدى بهم أهل الحجاز فلم تزل تعبد حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وقال رأيت عمرو بن عامر بن لحي يجر قصبه في النار وكانت الجاهلية فيهم بقايا من دين ابراهيم مثل تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة واهداء البدن وكانت نزار تقول في اهلالها لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وروى محمد بن جرير باسناده الى الثوري عن موسى بن محمد بن قيس قال كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى عبادة ربنا اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يدعائهم فيهم يستشفعون وبهم يستسقون المطر فعبدوهم بذلك قال سفيان عن أبيه عن عكرمة قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح ونشأ قوم بعدهم يأخذون بأخذهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم

وأشوق الى عبادته ربكم ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يستسقون و يستشفعون بهم و يدعونهم ليشفعوا لهم فعبدوهم بذلك وابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة أولئك القوم المسلمين بهذه الاسماء وقال قتادة في هذه الآية يعني قوله ولا تذرن آلهتكم قال كانت آلهة يعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب بعد ذلك فكان ود لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل وكان يغوث لبني غطيف وكان يعوق لهمدان وكان نسر لذي الكلاع من حمير وقال ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد زمان نوح وقال البخاري عن عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير وقال غير واحد من السلف كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ليشفعوا لهم فهؤلاء قد جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل وهما الفتنتان اللتان أشار اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله وهذه الفتنة هي السبب في عبادة اللات فروى ابن جرير باسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله أفرأيتم اللات والعزى قال كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره وكذلك قال أبو الجوزجاني عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج فسبب عبادة يغوث و يعوق ونسر واللات انما كانت من تعظيم قبور الاموات وهذه العلة التي نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور لاجلها هي التي أوقعت كثيرا من الامم اما في الشرك الاكبر أو فيما دونه من الشرك فان النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون انها طلاسم الكواكب ونحو ذلك فان الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب الى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا أهل الشرك كثيرا ما يتضرعون عندها و يخشعون و يخضعون و يعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت الاسحار ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة والدعاء عندها مالا يرجونه في المساجد فهم يعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم والاستغاثة بهم وسؤالهم النصرة والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات واعانة اللهفات و بذل النذر لجلب ما أملوه ودفع الشر ومع اتخاذ قبورهم أعيادا والصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترباتها وغير ذلك من أنواع العبادات والطلبات التي كانوا عليها عباد الاوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم فهؤلاء المشركون الغلاة قد جمعوا لاهل القبور أصناف العبادات واذا قدموا الى القبر عقروا له العقائر وتقربوا اليه بانواع القربات وقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عقر في الاسلام قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة فنهوا عن ذلك وأخبر أنه فعل عباد الاصنام واذا رأوا قبته من مكان بعيد نزلوا عن الدواب واشتغلوا بدعائه والنحيب ووضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤس وارتفعت أصواتهم بالضجيج ورأوا انهم قد

زادوا فى الرع على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد ونادوه ولكن من مكان بعيد حتى اذا وصلوا اليه صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد حاز وامن الاجر كمن صلى الى القبلتين فهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا فللشيطان ما يراق هنالك من العبرات ويرتفع بالدعاء من الاصوات ويطلب من الميت أنواع الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذوى الفاقات ومعافاة أولى العاهات والبليات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام كانه الحجر الاسود وما يفعل به وفد بيت الله الحرام ثم عفروا عنده تلك الجباه والخدود التى يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه فى السجود واستمعوا بصلاتهم من ذلك القبر فلم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك القبر ابين فكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير رب العالمين وقد آل الامر الى فعل أنواع المنكرات من بذل الفروج ثلاثة أيام من كل سنة فى مولد أحمد البدوى ومشهده الذى فى القاهرة يخرجن اليه الغوانى جاعلين ذلك فى صحائفه ولينالوا من بركته وانهم محسوبون اليه زيادة على بعلهم عند قبر الست نفيسة ومشهد الحسين هذا والعلماء حاضرون والعباد شاهدون والمردان مع الفجار المدعين الولاية والمتزينين بها مجتمعون وفى فراش واحد بلا حائل ليلا يناموون وفى النهار معهم محملون ويدعون انهم لهم مربون والعلماء والجهال هذه لا ينكرون والعباد لله لا يغارون ولا الحق يقولون بل كلا الفريقين يصنفون الكتب فى ذلك ويعتذرون عنه باجوبة ليست صوابا ولا سديدة بل هى عن الحق بعيدة ﴿ومنها وهم تنبيه﴾ اعلم انه قد يعترض بعض الناس على أحمد البدوى وعلى هؤلاء المجتمعين عنده فى حضرة ضريحه ويقولون اذا كان له هذا المولد العظيم والتصرف التام النافذ بعد الممات فكيف لا يتصرف فى دفع أصحاب المعاصى عن حضور مولده فالجواب عن ذلك من أوجه أحدها انه فى عناية من ربه فكل من حضر مولده من أهل العصيان وافق نزول الرحمة والغفران فغفر له بسببه وتيب عليه ولو بعد حين من الزمان الثانى ان الغالب على حاله البسط وجاهه عريض يسع الخلق ولو وافقه جميع فساق أهل الارض كذلك كان مغفورا لهم بسببه الثالث انه قد خرج الى مقام لا تكليف فيه وهؤلاء العاملون عملهم لهم وعليهم ومنهم من صنف فى ذلك طبقات كبرى وقال فيها ان سبب حضورى مولد أحمد البدوى عند ضريحه ان شيخى الشيخ العارف بالله الشناوى أحد أعيان بيته وكان قد أخذ على العهد فى قبته تجاه القبر أن لا أخرج عن طريقته ثم أخذ بيدى وسلمنى الى أحمد البدوى وقال يكون خاطرك على عبد الوهاب فاحفظه واجعله تحت نظرك فسمعته يقول من داخل القبر نعم من آوى أتينا وجب حقه علينا ثم انه تراءى لى فرأيته وأبصرته هو وعبد العال وهما يقولان لى زرنا فى مكاننا ونحن نطبخ لك ملوخية ضيافتك فجئت الى قبرهما واضافنى غالب أهل الضيعة وجماعة المقام ملوخية ثم رأيته وقد وافقنى على جسر قحافة تجاه طندتا فوجدته كالسور محيطا بها فقال لى قف ههنا وادخل من شئت وامنع من شئت قال ولما دخلت بزوجتى أم عبد الرحمن وهى بكر مكثت خمسة أشهر لم أقدر عليها ولم أقرب منها فاتانى من قبره ليلة من الليالى فاخذ بيدى وهى معى فى فراشى وفرش لنا فراشا بيده فوق ركن القبة الذى على يسار الداخل وأتى لنا بحلوى ودعا الاحياء والأموات من الأولياء وقال لى أزل بكارتها ههنا وهم مشغولون بالأكل فكان من أمرنا ما كان فى تلك الليلة قال وقد تخلفت سنة من السنين عن الحضور للمولد وقد كان هنالك الأولياء فاخبرت ان أحمد البدوى كان يكشف الستر

ذلك اليوم عن ضريح قبره و يقول أبطأ علينا عبد الوهاب ما جاءنا يحضر قال وأردت التخلف سنة من السنين فرأيت أحمد وفي يده جريدة خضراء قد خرج بها من قبره وهو يدعو الناس من سائر الأقطار والناس خلفه وامامه وعن يمينه وشماله وهم خلائق لا يحصون فرعلي وأنا بمصر وقال لي أما تذهب فحضرنا فقلت اني وجيع فقال الوجع لا يمنع المحب ومنهم من يحكي عن القبور ويقول فلان استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها وفلان دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له وفلان نزل به ضر فاشتكى الى صاحب ذلك القبر فكشف ضره وعند هؤلاء العلماء في دين الشيطان وجنوده الجهلة بالله وما أنزل على رسوله وسدنة الاضرحة والمقابرية الذين هم من أشر البرية شئ كثير من هذه الحكايات والارادات والاعتقادات ما لو ذكرناه لاحتمل مجلدات وهم من أكذب خلق الله على الاحياء والاموات والنفوس مولعة في قضاء حوائجها وازالة ضرورها واذا سمعوا من هؤلاء الجهلة الضلال ان قبر فلان الترياق المجرب في اجابة الدعوة وكشف الشدة سعوا اليهم واحابوا وخضعوا للقبور ودعوهم وأبانوا الشيطان له تلطف فيما يجلب اليه الدعوة فيدعوا أولا هذا الداعي الى أن يدعو صاحب القبر أو عنده فيقع دعاء هذا الداعي للعون لا له وهذا نتيجة الجهل بحقيقة ما بعث الله به الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك فلم يكن له نصيب فيما جهلوه وادعوه وقد دعاهم ابليس الى الفتنة ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وادعوا بقدر ما معهم من العلم الذي ظاهره قول معرب وحقيقة لا جهل مركب حيث أو ردوا فيما اعتقدوه وقالوا أحاديث مكذوبة مختلقة موضوعة اختلقها عباد الاصنام من السدنة والمقابرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض دينه وما جاء به كحديث اذا أعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور وحديث لو حسن أحدكم ظنه بحجر نفعه وامثال هذه الاحاديث التي هي مناقضة لدين الاسلام وضعها المشركون وراجت على المدعين من الجهال والضلال الذين هم عن الحق معرضون والله بعث رسوله بقتل من حسن ظنه بالاحجار وجنب أمته الفتنة بالقبور كما جاءت به الآثار واستفاضت عنه في ذلك الاخبار بنقل أهل الصحيح ونقد أهل التصحيح فروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي رواية لمسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك وعن عائشة وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة كانت على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمته ما صنعوا متفق عليه قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولولا ذلك لابرز قبره غير انه خشي أن يتخذ مسجدا متفق عليه وروى الامام أحمد في مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه الامام أحمد وأهل السنن وهذا حال من سجد لله عند قبر فكيف عن يسجد للقبر نفسه أو دعاه وعدل عن اوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع الجهال والطغام وضعوها لانفسهم بتلبيس ابليس عليهم فسهلت لهم وطابت بها قلوبهم من تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع ومن عباد تها بدعائها ورجائها والالتجاء اليها والتوكل عليها والنذر لها وكتب الرقاع فيها وخطاب الموتى بالحوائج ياسيدى يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها والخرق التى عليها تبركا وايقاد السرج عليها وتقبيلها وتخليقها وشد الرحال اليها وينضاف الى ذلك القاء الخرق على الشجر ودعاؤها والذبح والنذر لها اقتداء بعبدة اللات والعزى والويل كل الويل عندهم لمن أعاب وأنكر عليهم ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ماعليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر مناقضا له بحيث لايجتمعان أبدا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها القبب والمساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقادها بالقناديل والسرج فيها ونهى عن اتخاذها أعيادا وهؤلاء يتخذونها مناسك وأعيادا يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ونهى عن العقر والذبح لها وهؤلاء يعقرون عليها وينذرون لها ويدعونها وأمر بتسويتها كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الاسدى واسمه حيان بن حصين قال قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لاأدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفى صحيحه أيضا عن ثمامة بن شفى الهمدانى قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون فى مخالفة هذين الحديثين فيرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ويضعون عليها التوابيت ويكسونها كما يكسى بيت الله الحرام ويفعلون عندها الموالد العظام ويجعلون لها السوائب من بهيمة الانعام ويكثر لديها رفع الاصوات والضجيج واختلاط الرجال بالنساء كالحجيج من ذلك مايعمله عباد الشيطان عند قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث خارج مكة وخديجة فى المعلى كل سنة ثلاثة أيام مولد يحصل فيه من الضجيج وارتفاع الاصوات والدعاء بالاستغاثات واختلاط النساء مع الرجال فى تلك الساحات وكذلك عند قبر عبد الرحمن المحجوب بالدفوف ذوات الصنوج والطبول والبيارق والنحائر داعين مستغيثين به راجين بذلك ليكون عليهم ناظرا ولهم حافظا لانه المحب المحبوب وهكذا عند قبر أبى طالب وهم يعلمون ظاهر حاله وماهو عليه قبل الممات فالحكم لعلام الغيوب ولو تعلق مظلوم بأستار الكعبة جذبوه من تحتها وفعلوا به ماأرادوا ولو دخل ظالم بسرقة أو قتل أو نهب مال على قبر أحد هذين الرجلين اللذين الله أعلم بهما من خلقه وهم فقراء اليه لم يقدموا ليأخذوه منه ولم يقدموا على حدود الله عليه بل عندهم من فعل ذلك فقد تعدى وظلم وما له الى الندم ومن نهى عن فعل ماتقدم وأمر بما أرسل الله به الرسل الى سائر الامم والعمل بالاحاديث النبوية والآيات القرآنية التى هى نص على توحيده جرحوه وبدعوه وكفروه ونسبوه الينا وان كان لايعرفنا وماذنبنا الا ان أمرنا بما أمر الله به رسله ونهينا عما نهى الله ورسوله فبسبب ذلك عادونا واجلبوا بخيلهم ورجالهم وبداءتهم علينا ومن ج

بيت الله الحرام الذى قال الله فيه ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى
جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم صدونا ومنعونا
وهدى النبى صلى الله عليه وسلم صار شعارنا واتباع سنته علما علينا فهم بذلك يعادوننا ويخوننا ويسموننا
ويجاهدوننا وماذاك منهم علينا الا اتباع الاهواء وعموم البلوى والطعن فى الدين والعناد فى اليقين
أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله وهم يفعلون المنكرات ويجعلونها قربات وتنجها صدقات زيادة على الشرك
الاكبر فى تلك المعتقدات وذلك كله موجود فى حرم الله وغيره من الساحات وهل هذا كله الا
لفقد الاسلام وجهله والاستهانة به عند هؤلاء الخاص منهم والعام حيث جعلوا المنكر دينا وتنجة
حسنة يقينا لكن مصيبة فقد الذين تهوت ماهو فعل الظالمين المعاندين ونهى عن الكتابة عليها كما
روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
تجصيص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه وروى أبو داود فى سننه عن جابر رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تجصص القبور وان يكتب عليها قال الترمذى حديث حسن
صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن والاشعار ويعلقون عليها بيض
النعام وقناديل الفضة والرخام فهؤلاء المعظمون للقبور والمتخذونها أعيادا الموقدون
عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم محادون لما جاء به وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر
ومن يزعم انا نكفر بمجردها فهو كاذب جائر انما نكفر بالشرك الذى لا يغفر وهو دعاؤها ورجاؤها
والاستغاثة بها وذبح القربان والنذر لها لتدفع سوأ أو تجلب خيرا أو تكون واسطة فى ذلك نعم نحن
نهدم القباب التى على القبور ونامر بهدمها كما هدم النبى صلى الله عليه وسلم قبة اللات فى الطائف
وأمر على رضى الله عنه بهدمها وخفض القبور المشرفة مطلقا وتسويتها وقد أمر به وفعله الصحابة
والتابعون والأئمة المجتهدون قال الشافعى فى الام ورأيت الأئمة بمكة يامرون بهدم ما يبنى على
القبور ويؤيد الهدم قوله ولا قبرا مشرفا الا سويته وحديث جابر المتقدم ذكره الذى فى صحيح مسلم
ولانها أسست على معصية الرسول لنهيه فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء غير محترم وهو أولى
بالهدم من بناء الغاصب قطعا وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعا اذ المفسدة هنا أعظم
حماية للتوحيد وأما هذه الكبائر فقد صرح الفقهاء من أصحاب مالك وأحمد وأبى حنيفة والشافعى
وغيرهم من الصحابة والتابعين على تحريمها وانها بدعة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال أبو
محمد المقدسى لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه تضييعا للمال فى غير فائدة وافراطا فى
تعظيم القبور وأشبه تعظيم الاصنام هذا وبيوت الله ظلمات لا يوقد فيها نور بل يرون ان الفضل عليها
فى تلك القبور وقد آل الامر بهؤلاء المعتقدين تعظيم القبور تعظيم عبادة للاحترام فى الصدور الى ان
شرعوا لها حجا وضعوا له وقتا وجعلوه اضعاف حج بيت الله الحرام سيما هذا قبر ابن على الذى فى مرباط من
بلاد اليمن قد شاع عند الخاص منهم والعام ان زيارته والتبتل اليه فى رجب تعدل سبع حجات وكذا
الزيلعى الذى فى اللحية قد شاع عندهم وذاع ان من مات فيها ودفن حوله فى تلك البلاد انه فى الجنة ليس
عليه حساب ولا عذاب وكذا قبر العيدروس الذى فى عدن وكذا قبر الشاذلى فى المخا من أهل البر

والعزى ليس لهم لهجة فى الشدة والرخاء الا بذكره زاعمين أنهم فى أمانه وتحت نظره وانه يغيث من دعاه
فى الشدة نائيا كان أوقريبا ما فى البر أوفى البحر حتى صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتابا سماه مناسك
حج مشاهد الابرار لمن عنى اليهم من المقيمين والزوار وصنف بعضهم كتابا سماه روضة الابرار فى دعوة
الاولياء الاخيار عند الشدائد المدلهمة الغزار ولايخفى ان هذا بعينه مفارق دين الاسلام والدخول
فى عبادة الاصنام ومن نظره نصفا باخلاص الى هذا التباين العظيم فى هؤلاء المعتقدين من الناس
عن الدين القويم والصراط المستقيم ماز وفرق بين ماشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده من
النهى عما تقدم ذكره فى القبور والاعتقاد وجاهد عليه وبين ماشرعه هؤلاء وقصدوه واعتقدوا فيه
ودعوه ودعوا اليه وحينئذ يحق أنا انما ندعوا الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات
ومافى الارض ألا الى الله تصير الامور و يحقق تلك المفاسد الناشئة من خبث العقائد التى يعجز
العادون عن حصرها وتشمئز قلوب العارفين لذكرها (فمنها) تعظيمها الموقع فى الافتتان بها من
العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور والألواح وبيض النعام وقناديل الفضة والرخام
عليها وسدنتها وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند البيت والمسجد الحرام و يرون
ان سدانتها أفضل من خدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها (ومنها)
بذل النذور لها ولسدنتها لجلب الخير ودفع الشرور (ومنها) اعتقاد المشركين فيها ان بها يكشف البلاء
و ينصر على الأعداء وينزل غيث السماء وتفرج الكروب وتقضى الحوائج وينصر المظلوم
و يجار الخائف و يامن الحوادث الى غير ذلك من الشرك الاكبر الذى يفعل عندها (ومنها) الدخول فى
اللعنة لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج والقناديل فيها ووقعه عليها (ومنها) اجتماع
الرجال مع النساء واختلاطهم وضجيجهم ودعاؤهم اياهم (ومنها) جعل المنكرات قربات (ومنها) ايذاء
أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم و يكرهونه غاية الكراهة
كما ان المسيح يكره ما تفعل النصارى عند قبره اذا وجد فى الارض ومايعتقدونه فى قلوبهم من الافراط
والتفريط فى الحب وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله المعتقدون أشباه
النصارى وأشكالهم عند قبورهم و يوم القيامة يتبرؤن منهم كما قال تعالى و يوم يحشرهم وما يعبدون من
دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من
دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا قال الله للمشركين فقد
كذبوكم بما تقولون وقال تعالى و يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا
سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (ومنها) مشابهة اليهود
والنصارى فى اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها (ومنها) محادة الله ورسوله ومناقضة ماشرعه
فيها (ومنها) التعب والنصب بالبناء والتشييد ووضع الأبواب ونقشها والجدران والاعتقاد والتعظيم
مع الوزر الكثير والاثم العظيم (ومنها) ان هذا الاعتقاد يؤول الى حبط العمل والخسران (ومنها)
اماتة السنن واحياء البدع (ومنها) جعل البدعة واجبا وسنة والواجب والمسنون بدعة واثما وهم
فى ذلك لايعون ولايتذكرون بل لمن خالفهم فيه ونهاهم عنه يبدعون و يخرجون و يكفرون
(ومنها) تفضيلها على خير البقاع وأحبها الى الله فان عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام
والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة والعزم على الموتى بما لا يفعلون فى المساجد ولا ربع عشره

ولا يحصل لهم فيها النظير ولا قريب من مثليه (ومنها) ان ذلك تضمن عمارة القبب والمشاهد وتنويرها وتعطيل المساجد من بيوت الله وعدم توقيرها ودين الله الذي بعث به رسله وانزل كتبه بضد ذلك كله (ومنها) ان الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور انما هو تذكار الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤاله العافية للزائر وله فيكون الزائر محسنا الى الميت والى نفسه حتى لو كان نبيا أو وليا فالدعاء له مطلوب وهو اليه محبوب وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نسأل الله له الوسيلة والفضيلة وأن يبعثه المقام المحمود الذي وعده وذلك له محقق ولكن تنويها بذكره ورفعا للقدره وليعود ثواب الدعاء الى الداعي والكامل يقبل الكمال فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وكانوا من الفريقين المغضوب عليهم والضالين بقصدهم زيارة الشرك الأموات يدعونهم ويدعون بهم ويسألونهم حوائجهم واستنزال الرحمة والبركات بهم ونصرتهم لهم على أعدائهم وتفريج كرباتهم وكشف شدائدهم واقالة عثراتهم والعفو عن زلاتهم والهتف بذكرهم لحاجاتهم فهم مسيؤن الى أنفسهم محبطون لأعمالهم مؤذون للاموات غالون في العقائد والمعتقدات معرضون عن شريعة الرسول وما قال الله في الآيات وقد روى خالد ابن دينار قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه مثل ما أقرأ القرآن قال خالد فقلت لأبي العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها مع الارض لنعميه على الناس لا ينبشونه فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا احبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شئ قال لا الا شعيرات من قفاه ان لحوم الأنبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به هؤلاء المشركون وعلموا حقيقته وما يكون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فانهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لا يداني هذا ولا يقاربه بل لعله عدو لله وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد وهم يقولون ويعتقدون ان الصلاة عندها والدعاء حولها والتبرك بها لها افضلية مخصوصة ليست في المساجد ولو كان الأمر كما زعموا بل لو كان مباحا لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علما لذلك ولما أخفوا قبره خشية الفتنة به وعليه بل دعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله من هؤلاء الخلوف التي خلفت بعدهم ولو حضروهم لجالدوهم لانهم قد اعتقدوا وقالوا ضد ما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان عليه وما أحسن ما قال الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعفت تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص ايمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا وقال سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره

الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى ان المسلم اذا فرغ من السلام وأراد الدعاء استقبل القبلة حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعاء هو العبادة فجرد السلف العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها الا ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن فيه من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم فان الميت قد انقطع عمله وهو محتاج الى من يدعو له ويشفع له ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا واستحبابا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون لهم باحسان فقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده ولا استسقى به ولا استنصر به ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلوا اما ان يكون الدعاء عندها والدعاء بأصحابها أفضل منه في غير تلك البقعة أولا يكون فان كان أفضل فكيف خفي علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة علما وعملا بهذا الفضل العظيم وتظاهر به الخلوف علما وعملا ولا يجوز أن يعلم السابقون الأولون علما ويزهدون فيه عملا وهو يحثهم على الطاعة ويرغبهم فيها ثم لا يعلمونه أيضا الى من بعدهم مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب يعلم ان له فيه نفعا وان كان فيه كراهة هذا وهم قد عرضت عليهم شدائد واضطرارات وفتن وازعاجات وقحط وسنون مجدبات أفلا جاؤا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه شاكين ولهما مخاطبين وبكشفها عنهم وتفريج كرباتهم اياه داعين أم كيف يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونها هذا محال طبعا وشرعا وقد أنكر الصحابة رضي الله عنهم ما هو دون هذا بكثير فروى غير واحد عن المعرور بن سويد قال صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح فقرأ فيها ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولإيلاف قريش ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهبون هؤلاء فقيل يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم يتخذونها كنائس وبيعا ويرغبون عن هديه ويعرضون عما جاء به فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها وكذلك أرسل عمر رضي الله عنه وأمر بقطع الشجرة السمرة التي بايع تحتها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان وذكرها الله في القرآن لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها كأنها المسجد الحرام أو مسجد المدينة فقطعت بأمره بل قد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابه لما سألوه أن يجعل لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم وأمتعتهم بخصوصها يعظمونها بذلك ويتنوطون أي يجتمعون عندها ويعلقون أسلحتهم عليها لتعظيمها كما في حديث أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الاسلحة والعكوف حولها لتعظيمها الجامع الله وهم لا يدعونها مع ذلك ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه ورجائه والتوكل عليه والذبح والنذر

له ليطلب خيرا أو يدفع سوأ وأى نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر ولكن لو كان أهل الشرك يعون ويعلمون الحق ولا فيه يعاندون ولا به يكذبون لما كانوا الينا يكفرون والفتنة يعتقدون والكفر يقولون ويفعلون قال أهل العلم من أصحاب مالك وغيرهم انظروا أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء منها والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير ويعقدون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بابى شامة فى كتابه الذى ألفه وبين فيه الحوادث والبدع وسماه كتاب الباعث على انكار البدع والحوادث ومن هذا القسم أيضا قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وتعظيم مواضع مخصوصة من كل بلد يحكى لهم بها حاك انه رأى فى منامه بها أحدا ممن اشتهر بالصلاح والولاية أو فلان الولى له فيها وطأة فيعظمون تلك الاماكن فى قلوبهم وألسنتهم ويأتونهم لشفاء أمراضهم وقضاء حوائجهم بدعائها والنذر لها وهى من بين عيون وشجر وحائط وحجر فهم يفعلون هذا الشرك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه ويظنون انهم يتقربون بذلك اليه الى ان قال فيه كلاما مجانسا لما ذكرنا فما أسرع هذا الشرك الى اتخاذ الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون ان هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه الوطأة وهذه العين يضر وينفع ويشفع ويقبل النذر أى يقبل العبادة من دون الله فان النذر عبادة قربة يتقرب بها الناذر الى المنذور له فهم يتمسحون بتلك الانصاب ويستلمونها ولقد أنكر السلف التمسح بحجر مقام ابراهيم عليه السلام الذى أمرنا الله أن نتخذ منه مصلى كما ذكر ذلك الازرقى فى كتاب مكة عن قتادة فى قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ولقد تكلفت هذه الامة شيأ ما تكلفته الامم قبلها ولو ذكر أثر قدم أو أصبع عكفوا عليه ومسحوه حتى اخلولق الدين وغرب الاسلام وعاد اعتقاد المشركين وعظمت الفتنة بهذه الانصاب كفتنة أصحاب القبور التى هى أصل فتنة عباد الاصنام ذكره السلف من الصحابة والتابعين ولم يكفهم التمسح الآن بالمقام بل يدعونه ويرجونه وينذرون له ويسألونه شفاعته ويخاطبونه بقضاء حوائجهم وردهم الى أوطانهم ومن عاب ذلك وأنكره عليهم فهو عندهم منسوب الينا وقالوا له وهابى أو عارضى أو شرقى أو خارجى وما ذنب هذا المعيب المنكر الا انه شاركنا أو وافقنا بالامر فيما أمر الله به ورسوله والنهى عما نهى الله عنه ورسوله والعلماء بذلك يعلمون وقلوبهم مطمئنة غير كارهة فهم لا ينكرون ولا الحق يقولون وفى مقابلة المسجد الحرام والبيت والمقام جهة الشرق زقاق يقال له زقاق الحجر فيه حجر موضوع عرض الحائط يتمسحون به ويدعونه زاعمين انه الذى سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو كذب وبهتان ليس هو فانه صلى الله عليه وسلم قال وهو فى المدينة انى لاعلم حجرا بمكة سلم على ولم يعينه خشية الافتتان به بل لو تحقق انه هو ليس هو بافضل من مقام ابراهيم وجدار الكعبة المشرفة والسلف الصالح ينهون عن التمسح بشئ من ذلك الا الحجر الاسود سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم من جملة حب الله وذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وجميع المخلوقات حتى الجمادات تعرفه صلى الله عليه وسلم لما جعل الله فيها من قوة الادراكات واذا فلا مزية فى حجر أو شجر الا الحجر الاسود خاصة فانه يمين الله فى الارض ومع سنية تقبيله ووضع اليمين عليه لا يدعى ولا يرجى ولا يتوكل عليه وان اعتقدنا شفاعته فى الآخرة ليس هو بافضل من الانبياء والاولياء ومع ذلك لا يشفعون الا من بعد اذن الله لهم لمن يرضى عنه واذا فسؤال الشفاعة

انما هو من الله فنسأل منه كما يسئل تعالى الثبات على الدين والوفاة على الايمان وهو أرحم الراحمين
و يقابله حجر منقور على قدر المرفق يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم غرز مرفق عليه فأثر به وهو أيضا
كذب لم ينقل عن الصحابة ولا عن التابعين ولا تابعيهم ولا عمن يعتد به من أهل العلم ولم ينقل ولا في
حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم وجد له أثر قدم أو أثر مرفق أو وضع في حجر وانما ذلك من
تلبيس ابليس على هؤلاء ليغويهم ويحسن لهم شركهم وهم يزعمون انه حب لنبيهم وما محبته الا اتباع
شرعه وما جاء به والعمل به ودحض ضده ومعاداته زيادة على حب ذاته صلى الله عليه وسلم ففي البخاري
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب اليه من والده وولده وفيه أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وفيه أيضا عن
أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله
ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد اذ أنقذه
الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفيه أيضا عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر يا رسول الله لأنت أحب الي من كل شيء الا من نفسي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال له عمر فانه الآن
يا رسول الله والله لأنت أحب الي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر وليس حقوق
الانبياء في تعزيرهم وتوقيرهم الا محبتهم محبة مقدمة على النفس والاهل والمال وايثار طاعتهم
ومتابعتهم في سننهم وهديهم ونحو ذلك من الحقوق التي من قام بها لم يقم بعبادتهم والاشراك بهم كما ان
عامة من يشرك بهم شركا أكبر أو أصغر يترك ما عليه من طاعتهم بقدر ما أبتدعه من الاشراك به فليس
على المؤمن ولا له الا طلب طاعتهم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ومن
يطع الرسول فقد أطاع الله وكذلك حقوق الصديقين المحبة في القلب وتوقيرهم واجلالهم فيه ونحو ذلك
من الحقوق التي جاء بها الكتاب والسنة وكان عليها سلف الامة لا عبادتهم ولا عبادة قبورهم وآثارهم
وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وفي المعلى زاوية تنسب لعبد القادر رحم الله
روحه ونور ضريحه فيه دوحة عظيمة يعلقون عليها الخرق ويجعلون فيها البيارق والاعلام يرجونها
و بركتها ويدعونها وليست الا ذات أنواط وفي المدعى زاوية أخرى فيها مثلها غير الزوايا والثنايا التي على
القبور تدعى وترجى فقد وجد في حرم الله طهره الله وصانه وجعل المتقين أولياءه وسكانه جميع ما نهى
الله عنه في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فاما الخمر والميسر والازلام والزنا واللواط فهذا أمر مشهور
دلائله قائمة عليه حتى في المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة وأما الانصاب فهي كل ما نصب يعبد من
دون الله أو معه من حجر أو شجر أو وثن أو قبر واحدها نصب كطنب والجمع أنصاب كاطناب قال ابن
عباس كل معبود من دون الله أو معه فهو نصب قبرا كان أو حجرا أو شجرا وقال الزجاج أصلها الحجارة التي
تتخذ على صورة من يعبدونه ثم استعملت في كل الاوثان وقال مجاهد وقتادة وابن جريج كانت
الانصاب حول البيت أحجارا كان أهل الجاهلية يذبحون عليها وكانوا يعظمونها ويدعونها لتشفع لهم
ويعبدونها وكل ما اتخذ لذلك فهو نصب والاصنام أخص من ذلك وقال الفراء الانصاب هي الآلهة التي

كانت تعبد من أحجار أو أشجار أو قبور أو غيرها وأصله من الشئ المنصوب الذى يقصده من أراده ورآه ومنه قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون قال ابن عباس الى غاية أو علم يسرعون وهو قول أكثر المفسرين وقال الحسن يعنى الى أنصابهم أيهم يستلمها أول قال الزجاج وهذا على قراءة من قرأ نصب بضمتين كقوله وماذبح على النصب قال ومعناه أصنام لهم فالشرط ان تدنصب للمشركين ما قصدوه فدعوه واعتقدوه وعبدوه كائنا من كان فى أى مكان كان ولا يخفى ما اعتقدوا فى عبد الرحمن المحجوب وأبى طالب ومحمود ولد ابراهيم بن أدهم وولد البدوى وسائر عباد الله من الانبياء والاولياء وابن عباس أو غيرهم من الشياطين والاخشاب والاحجار والاشجار والاعتقادات الدزار والمعتقدات حتى الطين والفخار فانهم يزعمون ان حماية مكة المشرفة بالقبرين المكتنفين لها اللذين فى أطرافها من أسفلها وأعلاها أحدهما محمود والآخر أبو طالب وانها فى حفظ البنايا التى بين ذلك وحماها ولم يحققوا معنى قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا الآية فبعث عليهم بخت نصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وهو أكثر أرض الله أنبياء فما جوه ولا أغنوا عنه من الله شيأ ولكن الله الحافظ لبيته وحرمه كما حفظه من أبرهة وأمثاله فبهذا يتبين ان الشيطان اللعين نصب لاهل الشرك قبورا يعظمونها ويعبدونها أوثانا من دون الله ثم يوحى الى أوليائه ان من نهى عن عبادتها واتخاذها أعيادا وجعلها والحالة هذه أوثانا فقد انتقصها وغمصها حقها وسبها فيسعى الجاهلون المشركون فى قتالهم وعقوباتهم ومانبهم عند هؤلاء المشركين الا انهم أمروهم باخلاص توحيده ونهوهم عن الشرك أنواعه قالوا وتعطيله فعند ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون وقالوا قد انتقصوا أهل المقامات والرتب فاستحقوا الويل والعتب وفى زعمهم انهم لا حرمة لهم ولا قدر ويسرى ذلك فى نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين وحب الأولياء وأتباع المرسلين وبسبب ذلك عادونا وبالعظائم الكثائر والجرائم الغزار رمونا ونسبوا كل فعل قبيح الينا ونفروا الناس عنا وعما ندعوا اليه ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا وزعموا انهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه ويأبى الله ذلك فما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون له الموافقون له العارفون به وبما جاءه والعاملون به والداعون اليه لا المتشبعون بما لم يعطوا اللابسون ثياب الزور والذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسنته ويبغونها عوجا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا باتباعه واحترامه والعمل به وتعظيم الانبياء والاولياء واحترامهم ومتابعتهم لهم فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه وهم أعصى الناس لهم وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح واليهود مع موسى والرافضة مع على وأهل التوحيد أين كانوا أولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقهم وسنتهم وهديهم ومنهاجهم وأولى بالحق قولا وعملا من أهل الباطل فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم من بعض ومن أصغى الى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشيطان وشركه الذى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وينبت النفاق فى القلب وكذلك من أصغى اليه والى حديث الرسول بكليته وحدث نفسه وعمل باقتباس الهدى والعلم منه لا من غيره أغناه عن البدع والشرك والآراء والتخرصات والشطحات والخيالات التى هى وساوس الشيطان والنفوس

وتخيلات الهوى والبؤس ومن بعد عن ذلك فلابد ان يتعوض بما لاينفعه بل مضرة عليه كما ان من عمرقلبه بمحبة الله وذكره وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه وأغناه أيضا عن عشق الصور واذا خلا من ذلك صار عبد هواه أى شئ استحسنه ملكه واستعبده فالمعرض عن التوحيد عابد الشيطان مشرك شاء أم أبى والمعرض عن السنة مبتدع شاء أم أبى والمعرض عن محبة الله وذكره عبد الصورة شاء أم أبى والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل وأما الصلاة فى المقبرة فقد اختلف الفقهاء فيها هل هى محرمة أو مكروهة واذا قيل هى محرمة فهل تصح مع التحريم أم لا والمشهور عن الامام أحمد وموافقيه انها تحرم ولا تصح لما روى عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الصلاة فى سبعة مواطن وعد منها المقبرة وفى صحيح مسلم عن أبى مرثد الغنوى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام رواه الامام أحمد وأهل السنن الاربعة وصححه أبو حاتم بن حبان وفى صحيح البخارى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رأى أنس بن مالك يصلى عند قبر فقال القبر القبر وهذا يدل بصريحه على انه كان من المستقر عند الصحابة رضى الله عنهم ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور وفعل أنس لا يدل على اعتقاد جوازه فانه لعله لم يره أو لم يعلم انه قبر أو ذهل عنه فلما نبهه عمر تنبه ولم يصل ومن تأمل النصوص المتقدمة تبين له انها محرمة بلا شك وان الصلاة فيها لا تصح وفى هذا ابطال قول من زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم انما نهى عن الصلاة فيها لاجل النجاسة فهذا أبعد شئ عن مقاصد الرسول وهو باطل من عدة أوجه منها أن الاحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة كما يقوله المعللون بالنجاسة ومنها انه صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعا ان هذا ليس لاجل النجاسة فان ذلك لا يختص بقبور الانبياء ولان قبور الانبياء من أطهر البقاع ليس للنجاسة عليها طريق ألبتة فان الله حرم على الارض أن تأكل أجسادهم فهم فى قبورهم طريون ومنها انه نهى عن الصلاة اليها (ومنها) انه أخبر ان الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام ولو كان ذلك لاجل النجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر أولى من ذكر القبور ولما ذكر الحمام (ومنها) ان موضع مسجده صلى الله عليه وسلم كان مقبرة للمشركين فنبشوا مكان قبورهم وسواها واتخذه مسجدا ولم ينقل ذلك التراب بل سوى الارض ومهدها وصلى وذلك كما ثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل باعلاها فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام النبى صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملأ بنى النجار فجاؤا متقلدين السيوف وكأنى أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم وانه أمر ببناء المسجد فارسل الى ملأ بنى النجار فقال يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطعت فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون وذكر الحديث (ومنها) ان فتنة الشرك بالصلاة فى القبور ومشابهة عباد الاوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر فاذا نهى عن ذلك سدا للذريعة التشبه

الذى لا يكاد يخطر ببال المصلى فكيف بهذه الذريعة القريبة التى كثيرا ما تدعو صاحبها الى الشرك من دعاء الموتى واستغاثتهم وطلب الحوائج منهم واعتقاد ان الصلاة عند قبورهم أفضل منها فى المساجد وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة لله ورسوله فان قصد الصلاة عندها عين المحادة لله ولرسوله فأين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة ومما يدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم قصد منع الامة من الفتنة بالقبور كما افتتن بها قوم نوح ومن بعدهم ﴿ومنها﴾ انه لعن المتخذين عليها المساجد ولو كان ذلك لاجل النجاسة لامكن ان يتخذ عليها المسجد مع تطيينها بطين طاهر فتزول اللعنة وهو باطل قطعا ﴿ومنها﴾ انه قرن فى اللعنة متخذى المساجد عليها وموقدى السرج عليها فهما فى اللعنة قرينان وفى ارتكاب الكبيرة من أصل واحد مجتمعان فان كل ما لعن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر ومعلوم ان ايقاد السرج عليها انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها وجعلها نصبا يقصده المشركون لينالوا منه ما طلبوه ويحصل لهم ما قصدوه كما هو الواقع الآن من مشركى هذا الزمان فهكذا اتخاذ المساجد عليها ولهذا قرن بينهما فان اتخاذ المساجد عليها تعظيم لها وتعريض للفتنة بها الا ترى الى ما حكى الله عن المتغلبين على أمر أصحاب الكهف انهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا ﴿ومنها﴾ انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فذكر ذلك عقيب قوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد تنبيه منه على سبب لحوق اللعن لهم وهو توسلهم بذلك الى ان تصير أوثانا تعبد بدعائها ورجائها وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مقاصده جزم جزما لا احتمال معه للنقيض ان هذه المبالغة منه واللعن والنهى بصيغته صيغة لا تفعلوا وصيغة انى أنهاكم عن ذلك ليس لاجل النجاسة بل هو لاجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن عصاه وارتكاب ما عنه نهاه واتباع هواه وعموم بلواه ولم يخش الله ربه ومولاه وقل نصيبه أو عدم من تحقيق شهادة ان لا اله الا الله فان هذا وأمثاله من النبى صلى الله عليه وسلم صيانة لحمى التوحيد ان يلحقه الشرك ويغشاه وتجريد له وغضب لربه ان يعدل به سواه فأبى المشركون الا معصية لامره وارتكابا لنهيه وغرهم الشيطان بأن هذا التعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم فيهم أشد غلوا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد والله ان من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر ومنه دخل على عباد الاصنام منذ كانوا الى يوم القيامة فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن فى طريقهم وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقهم والعمل بهديهم وانزالهم منازلهم التى أنزلهم الله اياها من العبودية وسلب خصائص الالوهية عنهم وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم وأما المشركون فعصوا أمرهم وخالفوا طريقتهم فانتقصوهم بذلك وان عظموا صورهم قال الشافعى رحمه الله أكره شديدا ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس وقال مالك لا يرا د القبر عن السلام عليه والدعاء له ولا يتحرى الدعاء ولا الصلاة عنده هذا شعار اليهود والنصارى المشركين وقال أبو حنيفة يسلم على الميت ويدعو له ولا يدعو به ولا يصلى عنده لانه من فعل المشركين وكذا قال أبو يوسف وممن علل بالشرك أيضا ومشابهة اليهود والنصارى الاثرم فى كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه فقال بعد ان ذكر حديث أبى سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا الا المقبرة والحمام وحديث سعيد بن جبير عن داود بن الحصين عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى سبع مواطن فذكر منها المقبرة انما

كرهت الصلاة في المقبرة للتشبه بأهل الكتاب لأنهم يتخذون قبور أنبيائهم مساجد وهذه المسائل المشهورة عند أربابها معروفة وإنما الغرض التنبيه على ما يخفى من غيرها فما يدخل في هذا قصد القبور للدعاء عندها أو بها فإن الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم الى نوعين ﴿أحدهما﴾ ان يحصل الدعاء في البقعة اتفاقيا لا قصد الدعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ويتفق ان يمر بالقبور أو كمن يزورها فيسلم على أهلها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لا بأس به بل الثاني مأمور به ﴿الثاني﴾ ان يتحرى الدعاء عندها بحيث يعتقد ان الدعاء هناك أحق بالاجابة منه في غيره فهذا النوع منهي عنه نهي تحريم وما جاء عن الله أو رسوله كالدعاء والذكر في أماكن نسك الحج التي هي من شعائر الله فالعمل به هو المندوب والقصور عليه هو المطلوب ﴿وقول صاحب المقدمه﴾ لكن لا يلزم من ذلك تكفير مرتكبه الخ دليل على أمور ﴿الاول منها﴾ انه لم يعرف الشرك وحقيقته لانه جعل تعظيم القبور وعبادتها بدعائها ورجائها والاستغاثة بها والنذر لها لتدفع سوأ أو تجلب خيرا العافية مجرد الحرمة فقط ﴿الثاني﴾ انه جاهل حقيقة ما عليه عباد الاوثان وكيف كان عبادتهم لها فانه يعتقد ان عبادتها مجرد السجود لها أو انها شريكة مع الله في ملكه والله يقول والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿الثالث﴾ انه ناقض لحكم الله ورسوله في أهل الشرك الاكبر فان حكم الله فيهم القتل والسبي مالم يتوبوا فبل القدرة عليهم وهذا حكمه فيهم عدم القتل والسبي لانه قال وحكمه كما قدمناه النصيحة والوعظ والزجر لا غير ذلك ﴿الرابع﴾ حصره هذا الشرك في العوام والاعراب ولم يعلم انه في أكثر قلوب مدعي العلم والعبادة والزهاد ويتخذونه سببا من جملة الاسباب ﴿الخامس﴾ زعمه انا نكفر بمجرد الصلاة في المقبرة وهذا أيضا مما يدل على عدم تحقيقه أمرنا ونهيا وانه من قول الزور والبهتان علينا لكن له فيمن قبله أسوة قبيحة حيث رمونا باكبر من ذلك فقالوا اعاانهم الكفرة الفجرة ونحن انما نكفر من قصد أصحاب القبور ليفرجوا كربته ويكشفوا شدته أو هتف بذكرهم نائيا عنهم أو قريبا منهم يدعوهم ويرجوهم ويتوكل عليهم وينذر ويقرب لهم ليجلبوا له خيرا أو يدفعوا عنه سوأ أو ليكونوا واسطة ووسيلة ليشفعوا له في ذلك أو من اعتقد ذلك في الاشجار والاحجار أو من رضي فعلهم ذلك مما ظاهرهم علينا وكفرنا بامرنا ونهينا وددلائلنا في ذلك كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وقد تقدم بحثها مبسوطة مستوفاة فلا حاجة الى اعادتها فاما مجرد الصلاة بلا اعتقاد مما قدمناه وقلناه ففعلها في المقبرة حرام على الصحيح ولا تنعقد في القول المشهور وحكمها الوعظ والنصيحة والزجر والتعزير مع الاصرار واعادة الصلاة والتوبة من هذا الذنب لا غير ذلك مع انا نقول ان قصد الصلاة فيها من الشرك لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها ولعن فاعله وهو يشبه عبادة الاصنام لكن هو من الاصغر حيث لم يعتقد شيأ مما تقدم والله أعلم ٭ وأما قولكم ﴿ما يفعل من زيارتها فهو أمر مندوب كما ورد في الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فكيف يذهب الى تكفير من يزورها مع رعاية الادب لاسيما زيارة قبره الشريف فانها من أعظم القرب وأرجى الطاعات وفي شرح المختار هي أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات وفي مناسك الطرابلسي نقلا عن مناسك الفارسي انها قريبة الواجب في حق من كان له سعة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وروى الدارقطني وأبو بكر البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا تهمه إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون شفيعا له يوم القيامة أخرجه الدارقطني وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا عذر لمن كان له سعة من أمته ولم يزره أخرجه الحافظ محمد بن عساكر وعنه صلى الله عليه وسلم قال من حج وزار قبري بعد موتي كمن زارني في حياتي أخرجه الدارقطني وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من زارني في المدينة متعمدا كان في جواري إلى يوم القيامة * فنقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا للذريعة لأنهم قريبو عهد بشرك بأهلها وبصورهم فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا كما رواه الإمام أحمد والنسائي عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا ومن أعظمه الشرك عندها قولا وفعلا فزيارة القبور على الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله هي من أفضل احترامها في الصدور حيث أمر الشارع بها ونهى عن إهانة أهلها ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فإنها تذكر الموت وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة رواه الإمام أحمد وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد وفي صحيحه أيضا عنها أن جبريل أتاه فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم وفي صحيحه أيضا عن سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا السلام على أهل الديار وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وعند الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم أهل القبور يغفر الله لنا ولكم ونحن بالأثر وعند ابن ماجه عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة فعلم من هذا أن زيارة الموحدين للقبور مقصودها ثلاثة أشياء أحدها تذكار الآخرة والاعتبار والاتعاظ وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة الثاني الإحسان إلى الميت وأن لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه فإذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك فالميت أولى لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلوهم ومعارفهم فإذا زاروهم وأهدوا إليهم هدية من دعاء أو صدقة أو أهدوا قراءة ازدادوا بذلك سرورا وفرحا كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائرين أن يدعو لأهل القبور بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية فقط ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي

عند قبورهم ﴿الثالث﴾ احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ماشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم فيحسن الى نفسه والى المزور وأما زيارة المشركين فاصلها مأخوذ عن عباد الأصنام قالوا ان الميت المعظم الذى لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الالطاف من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس شعاع المرآة الصافية والماء ونحوهما على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة ان يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابى وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب فى عبادتها بدعائها ورجائها والتنسل اليها وتعظيمها لما لتعلق عليها قالوا اذا تعلقت النفوس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور والاعانة والبهجة والسرور وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات وبها الاستغاثات وبهذا اتخذت الأصنام المجسدة وهذا بعينه هو الذى أوجب دعاء أصحاب القبور والهتف بذكرهم عند نزول الشدائد والشرور واتخاذها أعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السرج وبناء المساجد عليها وهذا هو الذى قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه فوقف المشركون فى طريقه وناقضوه فى قصده وتفريقه وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شق وهؤلاء فى شق وما ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور والشفاعة التى ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله وتقربهم منه قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال والافاضة ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به فهذا سر عبادة الاصنام وهو الذى بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم وأوجب لهم النار والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على هؤلاء وابطال مذاهبهم قال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض وهم وان صوروا صورا لا تعقل فانها صور الانبياء والملائكة والصالحين ليتقربوا بهم وليشفعوا لهم ويدعوهم ويتألهونهم فاخبر سبحانه ان الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده فهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن شاء أن يشفع فيمن رضى عنه فيشفع فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة انما هى له والذى شفع عنده انما شفع باذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهى ارادته من نفسه أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم فى عقيدتهم وهى التى أبطلها الله سبحانه فى كتابه بقوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقنا كم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون وقال ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع فاخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه بل اذا أراد سبحانه رحمة

عنده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع باذنه والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المملوك المأمور فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع في فلان ولهذا كان أسعد بشفاعة سيد الشفعاء وأفضلهم يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا فاخبر سبحانه انه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاه قول المشفوع له واذنه للشافع فاما الشرك فانه لا يرضيه ولا يرضاه قولا فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين أحدهما رضاه عن المشفوع له الثاني اذنه للشافع فتى لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة وسر ذلك وقوامه ان الأمر لله وحده فليس لأحد معه من الأمر شيء وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيأ الا بعد اذنه لهم وأمره اياهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله واذن فهم مملوكون لا يتكلمون الا من بعد اذنه أفعالهم مقيدة بأمره فاذا أشرك بهم المشرك فدعاهم ورجاهم وتوكل عليهم واتخذهم له شفعاء من دون الله ظنا منه انه اذا فعل ذلك واعتقدهم ما هنالك تقدموا له وشفعوا عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وتعالى وما يجب له ويمتنع عليه فان هذا محال ممتنع تشبيه قياس الرب تبارك وتعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم أولياءهم من يشفع له عندهم في قضاء الحوائج بهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون الشفيع والولي من دون الله والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق والرب والمربوب والسيد المالك والعبد المملوك والغني بالذات الذي لا حاجة به الى أحد قط والفقير بالذات المحتاج من كل وجه الى غيره فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وأعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والاكابر بهم ولولاهم سبب لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس فلحاجتهم اليهم احتاجوا الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنتقص طاعتهم لهم ويذهبوا الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضا فأما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكل ما سواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات والارض عبد مقهور بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وألوهيته مثقال ذرة ولا انقص ولا أكثر قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما الآية وقال سبحانه في أفضل آية في القرآن له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وأخبر ان حال ملكه للسموات والارض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده وان لا أحد يشفع عنده الا باذنه فانه ليس له شريك بل مملوك محض قال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض فانهم لا حبارهم من أحوال الناس ما لا يعرفه الملوك والله سبحانه

يعلم السر وأخفى لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء يعلم السر وأخفى وهو السميع البصير يسمع سبحانه ضجيج الاصوات باختلاف اللغات في تفننها وما تتفاوت به من الكلمات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين بخلاف المخلوقين فانهم قد لا يريدون نفع الرعية ولا الاحسان اليهم أول وهلة ويتوقف ذلك على وجود محرك خارجي * فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته أوما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير واما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب كل شئ ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الاسباب أن تكون بمشيئته تعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو سبحانه الذي أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض فيجعل هذا يحسن الى هذا أو يدعو له أو يشفع فيه وهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي والشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز ان يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه مالم يكن يعلمه أو من يرجوه الرب أو يخافه * ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له * بخلاف المخلوق فانه يقبل شفاعة مملوكه لخوفه أن لا يطيعه أو أن يسعى في ضرره وكذلك يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو أعرض عنه ولده أو زوجته أو مملوكه لتضرر بذلك وشفاعة العباد بعضهم لبعض عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل أحد شفاعة أحد الا لرغبة أو رهبة وقبول الشفاعة من باب النفع للغير والمخلوق لا ينفع غيره الا لما يحصل له من النفع اما من الله بالثواب واما من غيره بالمعاوضة والله لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد بل هو الغني سبحانه فبين سبحانه ان الشفاعة التي نفاها في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يعرفها الناس بينهم ويفعلها بعضهم مع بعض ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على انها هي المعروفة المتعاهدة عند الناس ويقيدها تارة بانها لا تنفع الا بعد اذنه وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع فيه ووفق الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه ومتوكله ومدعوه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه باتباع رسله ويتباعد من سخطه هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه قال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء الى قوله قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون فهذا انكار عليهم وتوبيخ لهم أي أتخبرونه بان لكم عنده شفعاء وهو لا يعلم ما في السموات ولا في الارض ففيه تقريع وتهكم بهم لان ما لا يعلمه لا تحقق له فهم يخبرون بأمر لا وجود له ولا تحقيق وقال تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون فبين سبحانه أن من اتبع من دون الله شركاء يشفعون لهم أو يعبدهم من دونه فليس معه الا الظن والخرص والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق فان الخرص هو الظن من معنى الكذب لقوله تعالى قتل الخراصون ومن ظن ان ما هنا نافية فقد أبعد وغير الآية بل هو حرف استفهام انكاري أي أي شئ يتبع الذين يدعون من دون الله سبحانه ان المشركين مشركون وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم اياهم وانما تحصل باذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له * فالزيارة التي

شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وعلمهم اياها فنحن ان شاء الله تعالى نعلمها ونأمر بها ﴿هل يوجد
فيها شيء مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم هي مضادة لما هم عليه من كل وجه لكن ما أحسن قول
مالك بن أنس رحمه الله تعالى لن يصلح هذه الامة الا ما أصلح أولها وكلما ضعف تمسك الامم بعهود
أنبيائهم ونقص ايمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وجعلوه من الدين ولقد جرد
السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الائمة الاربعة أن
الداعي يستقبل القبلة وقت الدعاء لانه عبادة كما جاء في الترمذي وغيره مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم ان الدعاء هو العبادة بل هو مخها فجرد السلف هذه العبادة لله ولم يفعلوها عند القبور الا للاموات
بعد السلام عليهم والاستغفار لهم لانقطاع عملهم ولهذا شرع في الصلاة عليهم من الدعاء ما لم يشرع
مثله للاحياء قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه
وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج
والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره وأهلا
خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى
تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الميت رواه مسلم في صحيحه وقال
أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته على الجنازة اللهم أنت
ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للاسلام وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء
له فاغفر له وارحمه رواه الامام أحمد وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء وقالت عائشة رضي الله عنها وأنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يستغفرون له الا شفعوا فيه رواه مسلم
في صحيحه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه رواه مسلم فهذا
مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له ومعلوم انه في قبره أشد حاجة منه وهو على نعشه
فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول اسألوا
له التثبيت فانه الآن يسئل فعلم بهذا أن الميت أحوج الى الدعاء بعد الدفن فاذا قام المسلمون على جنازة
ودعوا له لا دعوا به وشفعوا له لا استشفعوا به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك والبدع قولا
غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والاستغفار له باستغفاره والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا
بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم احسانا الى الميت واحسانا الى الزائر وتذكيرا
بالآخرة سؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة وحضور القلب عندها
وخشوعه أعظم منه في الصلاة والمساجد ووقت الاسحار ﴿ومن المحال﴾ أن يكون دعاء الموتى والدعاء
بهم والدعاء عندهم وسيلة مشروعة وعملا صالحا مأمورا به وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله اليه واختار له
ما لديه وهذه سنة الخلفاء الراشدين المهديين وهذه طريقتهم وجميع الصحابة والتابعين لهم باحسان الى

يوم الدين هل يمكن بشر اعلى وجه الارض أن يأتي عن أحدهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا أن يصلوا عندها أو يسألوها حوائجهم أو يسألوا الله بأصحابها فليوقفنا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك بل يمكنهم أن يأتوا من المألوف التي خلفت بعدهم من المتبعين أهواءهم بكثير من المختلقات والحكايات المخترعات والكذبات والتمويهات وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات زور وبهتان ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين المهديين ولا عن أصحابه ولا عن التابعين لهم باحسان حرف واحد من ذلك بل فيها اضداد الاسلام وخلافه شيء كثير كما تقدم من قولهم اذا أعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور وقولهم لو حسن أحدكم ظنه بحجر نفعه وأمثال ما هو مناقض لما بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب * وأما زيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال العلماء لا يثبت قبر معروف لنبي الانبياء صلى الله عليه وسلم وغيره انما هي ظنون لا يمكن تعيينه في مكان معلوم وان علمت البقعة المدفون فيها كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بقبر موسى عند الكثيب الاحمر عن القدس رمية حجر قال ولو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر رواه البخاري والا قبري صاحبيه رضي الله عنهما وزيارة قبره الشريف فيها تفصيل لا يأتي ينبغي طلبه قد فصلها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون وقسموها الى قسمين مشروع وغير مشروع * فاما المشروع منها فهو ما قاله الامام مالك وأحمد بن حنبل والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم من المجتهدين كلهم قالوا ان من كان حاضرا في المدينة فيشرع في حقه أن يأتي الى القبر فيصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضوان الله عليهما قالوا ولا يكثر من المجيء عليه ولا يكرره في اليوم مرات احتراما له ولانه لم يفعله الصحابة ولا التابعون وان من قدم من سفر أو خرج اليه فيقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي ويسلم عليه وعلى صاحبيه بعد أن يصلي لله في المسجد ركعتين * وروى ابن بطة في الابانة باسناد صحيح عن معاذ بن معاذ قال حدثنا ابن عوف قال سأل رجل نافعا فقال هل كان ابن عمر يسلم على القبر فقال نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر منها كان يأتي الى القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي * وفي رواية أخرى ذكرها الامام أحمد يحتجها ثم ينصرف وهذا الأثر رواه مالك في الموطأ وكره غيره من العلماء أن يقول زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم * وذكر بعضهم أنه علله بلعنه زوارات القبور * قال القاضي عياض والأولى أن يقال انما كره مالك لاضافة الزيارة الى قبر النبي وأنه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلا تضاف الزيارة الى القبر للتشبه بأولئك واتفقوا على أنه اذا دعا بعد السلام على النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل القبر وانما يستقبل القبلة وتنازعوا في الاستقبال عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وبعضهم يعزوه اليه * وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه عنه وقال مالك فيما ذكره اسمعيل بن اسحق في المبسوط والقاضي عياض في الشفاء والمشارق وغيرهما من أصحاب مالك وعنه لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم ويمضي وقال أيضا في المبسوط عن مالك لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج اليه أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه

وسلم ويسلم عليه ويدعو له ولابي بكر فقيل له ان أناسا من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يريدونه الا وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر يأتون عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا الامن الصحابة ولا غيرهم ولا يصلح هذه الامة الاما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكرهون المجيء الى القبر بل كانوا يكرهونه الالمن جاء من سفر أو أراده ولا يختلف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه عنه أن المسلم لايستقبل القبر عند الدعاء * وقد نص انه لايقف عند الدعاء مطلقا * وذكر طائفة من أصحابه انه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة ويولي القبر ظهره وقيل لايوليه ظهره فاتفقوا في استقبال القبلة وقت الدعاء وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت دعائه للنبي صلى الله عليه وسلم * وسبب هذا التنازع والله أعلم ان مالكا رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء له فاختلفت الرواية عنه في ذلك هل هو وقت السلام عليه والدعاء له يستقبل القبر أو يوليه ظهره * وانما اختلفت الرواية عنه لان السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يسمى دعاء * ولهذا ذهب أبو حنيفة ومن وافقه من فقهاء العراق الى أن المسلم يستقبل القبلة * والصحيح المشهور عن مالك استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم وكما قال في رواية ابن وهب عنه اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده * وما ذكره القاضي عياض عن محمد بن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد فان الله أدب قوما فقال لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ثم لم يستقبل رسول الله بعد فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله قال تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية * فهذا ضعيف لايصح عنه فانه من أشد الناس انكارا على من يأتي الى القبر ليدعو عنده أو يستشفع به فان ثبت فلابد أن يحمل على مذهبه وعدم المخالفة له فقد تقدم قوله ان المسلم يدنو من القبر ويصلي ويسلم ويدعو له ومعلوم أن الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح عنه عليه السلام اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لاتنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة فقول مالك ان ثبت معناه انك اذا استقبلته وصليت وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الامم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا انما هو فعل ماهو سبب لحصول شفاعته له يوم القيامة كاتباعه فيما جاء به وسؤال الله له الوسيلة والصلاة والسلام عليه ونحو ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بفعله لاعمل ماليس من شرعه مما نهى هو وأصحابه عنه * وكذلك مانقل عن مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم يعني الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه كما تقدم موضحا عنه * فهذا هو

الدعاء المشروع هنالك كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانه صلى الله عليه وسلم أحق الناس بان يصلى ويسلم عليه ويدعى له * وبهذا يتفق قول مالك ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة *ونقل تلاوة هذه الآية عن مالك باطل وان ثبت أصل ما نقله عياض تقديرا فان كلام مالك المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا ولم يذكر أحد من الأئمة الاربعة فيما فعله ولا ذكر أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يسأل بعد الموت لا استغفارا ولا غيره وانما يعرف مثل هذا فيما ذكره طائفة من متأخري الفقهاء عن اعرابي انه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية وأنشد بيتين

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

* وقد ذكر ذلك صاحب المواهب اللدنية أيضا * ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء استغفار الله في حضرة القبر وتلاوة هذه الآية عنده محتجين بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الامر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون أعلم به وأولى بالعمل من غيرهم فان العبادات مبناها التوقيف ولاسيما اذا نسب أمرا الى هديه وشرعه وسنته والعقل لا مدخل لاستحسانه واستقباحه في الدين وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعا ومأمورا به فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل في حياته المسألة فيعطيها لا يرد سائلا وتكون المسألة محرمة في حق السائل حتى قال صلى الله عليه وسلم اني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا أن يسألوا ويأبى الله لي البخل ومعلوم ان مالكا من أعلم الناس بمثل هذه الأمور فانه مقيم بالمدينة يرى ما يفعله التابعون وتابعوهم ويسمع ما ينقلونه عن الصحابة وأكابر التابعين وهو ينهى عن الوقوف على القبر للدعاء ويوبخ فاعله ويذكر انه لم يفعله السلف فكيف ينهى عن ذلك ثم يأمر به وهذا أمر توقيف لا اجتهاد فيه وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستسقى بالعباس ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته فهم يتوسلون بدعائه لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأموم من غير أن يقسموا على الله بمخلوق ولا كانوا يأتون القبر فيدعون عنده بل كانوا يستسقون باهل الصلاح الاحياء لان المقصود دعاؤهم لا ذاتهم واذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل *ولهذا حكى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستسقي على المنبر فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

*اذا علم ذلك فان السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج الى حضور قلب وادب ومنه وقوفه عن القبر مقدار أربعة أذرع والصحيح قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم مستدبر القبلة طرقا رأسه غاض البصر كانه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم عليه *ويقول السلام عليك يا رسول الله كان ابن عمر لا يزيد على ذلك * وكان بعض الصحابة يزيد النطق بالشهادتين والصلاة عليه ويقول أشهد أنك

بلغت رسالة ربك ونصحت لامتك ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك كثيرا كما يحب ربنا ويرضى وان قال اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته فحسن ثم اذا فرغ يتقدم قليلا من مقام سلامه نحو ذراع عن يمينه ويقول السلام عليك يا أبا بكر الصديق السلام عليك يا عمر الفاروق السلام عليكما يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفتيه وضجيعيه اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الاسلام خيرا سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم ينصرف مستقبل القبلة ﴿وأما غير المشروع﴾ فهو قصده للدعاء واتخاذه عيدا بالاجتماع عنده والسفر اليه لما في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن انه صلى الله عليه وسلم نهى ان يتخذ قبره مسجدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد بعد قوله اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد فانه صلى الله عليه وسلم لم ينه عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة بأهلها بل لما يخاف على القاصدين لها من الفتنة بدعائها أو الدعاء عندها فان أصل عبادة الاوثان بذلك سببها اتخاذ المساجد على القبور وقصدها لدعائها او الدعاء عندها كما تقدم بيان ذلك فلولا انه قد يحصل عند القبور ما يخاف به الافتتان لما نهى الناس عن ذلك ولهذا لم يقصد القبر للدعاء عنده أحد من الصحابة مع شدة احتياجهم واضطرارهم بكثرة الأمور والنوائب المدلهمة التى قرعتهم ولا أيضا التابعين ولا أئمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء الصالحين المتقدمين بل كلهم كانوا ينهون عن ذلك وقد قال الشافعى فى الام أكره تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها ومراده بتعظيمها الصلاة بحضرتها والدعاء عندها فضلا عن السجود لها أو دعائها وما يحكى عنه انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبى حنيفة فهو كذب ظاهر لان الشافعى لما قدم بغداد لم يكن بها قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة ولم يكن هذا على عهده معروفا وقد رأى بالحجاز واليمن والشام من قبور الانبياء والتابعين من كان عنده أفضل من أبى حنيفة فما بالهم يتوخ الدعاء الا عنده وقد قال فى كتابه ما هو ثابت عنه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها وانما يضع هذه الحكاية وأمثالها من قل علمه ودينه ممن لا خلاق له ﴿وأما النهى﴾ عن اتخاذه عيدا بالاجتماع عنده والسفر اليه فلما روى أبو داود فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم وهذا اسناده حسن ورواته كلهم ثقات مشاهير وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده الى أن ساق سند الحديث عن على بن الحسين أنه رأى رجلا يجىء الى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه على بن الحسين وقال ألا احدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغنى أينما كنتم رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى فى مختاراته وعند سعيد بن منصور فى السنن عن أبى سعيد مولى المهدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى وقال سعيد عن أبى سهيل قال لما رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتى عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا

قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم ما أنتم ومن بالاندلس الاسواء فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لاسيما وقد احتج به من أرسله ولو لم يكن روى من وجوه مسندة غير هذين لكفى فكيف وقد تقدم مسندا وقبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان ثم انه أعقب النهي بقوله وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم وفي الحديث الآخر فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم يشير بذلك صلى الله عليه وسلم الى ان ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم منه فلا حاجة بكم الى اتخاذه عيدا والاحاديث عنه بان صلاتنا وسلامنا يعرض عليه كثيرة ﴿منها﴾ ماروى أبو داود في سننه من حديث أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم على الارد الله على روحي حتى أرد عليه السلام وهذا الحديث على شرط مسلم ﴿ومنها﴾ ماروى أبو داود أيضا عن أوس بن أوس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء ثم ان أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل ان يتحرى الدعاء عند قبره صلى الله عليه وسلم واستدل بالحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده على وهو أعلم بمعناه من غيره فتبين بهذا ان قصده للدعاء ونحوه واتخاذه عيدا وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته كره ان يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند غير دخول المسجد والصلاة فيه ورأى أن قصده ذلك من اتخاذه عيدا فقوله صلى الله عليه وسلم لاتجعلوا قبري عيدا مأخوذ من المعاودة والاعتياد ومنه ماهو اسم للزمان كقوله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام رواه أبو داود وغيره ومنه ماهو اسم للمكان كما روى أبو داود في سننه ان رجلا قال يارسول الله اني نذرت ان أنحر ببوانة فقال أبها وثن من أوثان المشركين أو عيد من أعيادهم قال لا قال أوف بنذرك واذا كان اسما للمكان فهو الذي يقصد للاجتماع فيه واتيانه للعبادة أو لغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله أعيادا للحنفاء مثابة للناس كما جعل أيام التعبد فيها عيدا وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالاسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام وعرفة ومنى والمشاعر واتخاذ القبور عيدا هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الاسلام فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصد قبره من بعيد أو للدعاء عنده أو للاجتماع لديه فانه بذلك يكون عيدا وحينئذ فقصد القبر بمجرد من الامصار في وقت معين أو في غير وقت معين هو الذي نهى عنه السلف الصالح لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه في قوله لاتتخذوا قبري عيدا ولما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وسعيد رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وقد روى هذا من وجوه أخر وهو حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنه فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف هو من الاعمال الصالحة وماسوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليه باتفاق أهل العلم حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان

القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال اليه من بعيد فان في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان ابن عمر يفعله
وفي لفظ مسلم فيصلي فيه ركعتين وذكره البخاري بغير اسناد وذلك ان الله سبحانه وتعالى نهى نبيه
صلى الله عليه وسلم عن القيام في مسجد الضرار وأمره بالقيام في المسجد الذي أسس على التقوى
ومسجده أعظم في تأسيسه على التقوى من مسجد قباء كما ثبت في الصحيحين عنه أنه سأل عن المسجد
الذي أسس على التقوى فقال مسجدي هذا فكلا المسجدين أسس على التقوى ولكن اختص مسجده
بأنه أكمل في هذا الوصف من غيره فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ويأتي مسجد قباء يوم السبت فاذا
كان السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة ممتنع شرعا مع ان قصده لأهل مصر يجب تارة ويستحب أخرى
وقد جاء في قصد المساجد ما لا يحصى من الفضل فالسفر الى مجرد القبور أولى بالمنع ولا يغتر بكثرة
العادات الفاسدة فان هذا من التشبه بأهل الكتاب المتخذين قبور أنبيائهم مساجد واعيدة الذي
أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم انه كائن في هذه الأمة لا محالة وأصل ذلك انما هو اعتقاد فضل الدعاء
عندها والا لم يقم عندها هذا الاعتقاد بالقلوب لانمحى ذلك كله واذا كان قصدها للدعاء يجر هذه
المفاسد كان حراما كالصلاة عندها وأولى وكان ذلك فتنة للخلق فتحا لباب الشرك واغلاقا لباب الخير
والايمان وقد آل الأمر الى قصد مجرد القبر واتخاذه عيدا وجمعا للنساء مع الرجال حتى ترتفع
الاصوات عنده ويكثر الضجيج اضعافا مضاعفة على تلبية الحجيج كل يسأل حاجته وتفريج كربته
وهم يعتقدون أن زيارته يحصل بها الغفران والنجاة من النيران وانها تمحو ما قبلها من الآثام الا ترى أن
أكثر الفجرة الساكنين بمكة المشرفة وجدة طول أيام السنة لا يتركون ذنبا ولا موبقا الا ارتكبوه ولا اثما
كبيرا الا اكتسبوه فاذا جاء شهر رجب أخذ على ذمته المعسر منهم واستدان وذهب الى القبر يسأل
المغفرة من خاتم الرسل وأفضل ولد عدنان فأخذوا بالهتف بذكره وبكنيته قائلين جئنا اليك قاصدين
تائبين لا تردنا يا أبا ابراهيم منذ يفارقون بلادهم الى ان يرجعوا يسألونه المغفرة وقضاء الديون وتفريج
الكروب فاذا رجعوا خائبين اعتقدوا انهم خرجوا من آثامهم كيوم ولدتهم أمهاتهم مسرورين
فعادوا على ما كانوا عليه من الباطل والطغيان ويقولون هم متوكلون على سيد ولد عدنان ولا ينهى
العوام بل هم ذو العقائد من أهل العلم غير التام فهذا السفر اليه وقصده لفعل العبادة عنده من
الدعاء والصلاة لا ريب في حرمته والاثم فيه عند أهل العلم لا يختلف عنه متقدمهم ولا متأخرهم للعنه صلى
الله عليه وسلم المتخذين قبور أنبيائهم مساجد واللعنة في كلام الله ورسوله لا تجامع الا الحرام والاثم
لا مجرد الكراهة ولقوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد ولان المسافرين اليه والقاصدين له بعضهم يسميه الحج الى القبر لحصول المغفرة بذلك وأما
ما حكاه أبو حامد الغزالي ومن وافقه من متأخري الفقهاء فرادهم السفر المجرد لزيارة القبر لا لقصد فعل
العبادة من الصلاة والدعاء عنده قالوا والحديث مبني على عدم تناوله النهي لزيارته اذا لم يتخذ عيدا
ولم يحصل المحظور الذي نهى عنه كما لم يتناول النهي عن السفر الى الامكنة التي فيها الولدان والعلماء
والمشايخ والاخوان أو بعض المقاصد من الامور الدينية المباحة وصدر صالح سلف الامة وخيارها
حملوا قوله عليه السلام لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني صريحا في
النهي مطلقا عن قصده من بعد لان الاجتماع عنده لازم له وذلك هو المنهي عنه وأيضا نهيه عليه

السلام عن شد الرحال الى مسجد من المساجد غير الثلاثة مع فضل العبادة الحاصلة في المساجد من صلاة وقراءة واعتكاف ووجوب قصده تارة على أهل مصره واستحبابه أخرى شامل للنهي عن شد الرحال الى مجرد زيارة القبور بالأولى اذ ليست زيارتها أفضل عند الله من عبادته في خير بقاع الارض وقد نهي عن شد الرحل اليها فهذه أولى بالنهي قالوا ومن اعتقد ان السفر الى مجرد القبر أفضل من السفر الى المسجد أو مثله فهو اما جاهل بشريعة الرسول واما كافر به واذا وجد السفر المشروع الى مسجد الرسول لفعل العبادة فيه دخلت الزيارة تبعا لانها غير مقصودة بشد الرحال اليها بل الى المسجد نفسه وحينئذ فالزيارة شرعية مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل المحظور عند القبر لا صلاة ولا دعاء وهو مستقبل القبر ولا يقصده وان استقبل القبلة في حال الدعاء ومن لم يفرق بين السفر المشروع الى مسجده صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره لداخلة تبعا الشرعية المجمع على استحبابها وبين السفر الى غير قبره فهو اما جاهل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واما كافر به واذا لاصاحب المقدمة واحتجاجه على سنية السفر وشد الرحال الى مجرد زيارة القبر تارة وقربه ووجوبه أخرى باطل من وجوه ﴿أحدها﴾ ان هذه الاحاديث كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل العلم ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل ولذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن والأئمة كلهم يروون بخلافه ومروياته مقدوح فيها خصوصا أحاديث زيارة القبر ومروياته فيها وهي أجل حديث روي في هذا الباب من حديث أبي بكر البزار ومحمد بن عساكر ﴿الثاني﴾ انه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روي في ذلك شئ لأهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفين في المسانيد كالامام أحمد وغيره وانما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره لمخالف لأهل الصحيح والتصحيح لم يميز بين الحسن والضعيف والموضوع من أهل الترجيح فالاحاديث المروية في زيارة قبره كقوله من زارني وزار ابراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن حج ولم يزرني فقد جفاني ونحو هذه الاحاديث كلها مكذوبة موضوعة باتفاق أهل المعرفة انما رخص في زيارة القبور مطلقا بعد ان نهى عنها بلا شد رحال وسفر اليها كما ثبت عنه في الصحيح ﴿الثالث﴾ نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره عيدا كما ثبت عنه من غير وجه رواه أبو داود من حديث أبي هريرة ورواه سعيد بن منصور في سننه من حديث أبي سعيد مولى المهري ورواه أيضا سعيد من حديث الحسن ابن الحسن بن علي كرم الله وجوههم كيف يقول لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم ثم يقول من حج ولم يزرني فقد جفاني ويقول من زار قبري وجبت له شفاعتي أو يقول لاعذر لمن كانت له سعة من أمتي ولم يزرني ويقول من زارني في المدينة متعمدا كان في جواري يوم القيامة أو نحوا من هذه المختلقات عليه وليحش الذي بهذه المختلقات صان الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنها ان يكون ممن قال صلى الله عليه وسلم فيه ان كذبا علي ليس ككذب على أحد من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار الحديث مخرج في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ولو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نسبه اليه هؤلاء لم ينه عن اتخاذ قبور الانبياء مساجد ويلعن فاعل ذلك فانه اذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله بها فكيف بملازمتها والعكوف عندها واعتيادها وقصدها واتيانها من بعيد وشد الرحال اليها بل هذا أولى باللعنة وكيف يسأل ربه ان لا يجعل قبره وثنا يعبد ثم يأمر بشد الرحال اليه وانه يدعا عنده ويقصد وكيف يقول أعلم الخلق من الصحابة بذلك ولو لا ذلك

لا بر قبره ولكن خشي ان يتخذ مسجدا وكيف يقول لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا على حيث ما كنتم
وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء المدعون ولم ينقلوا عنه ما نقله هؤلاء المختلقون
﴿الرابع﴾ انه ندب أمرا قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعله من سنته ودينه وانه
يتقرب بفعله وأصل الضلال في الارض انما نشأ من اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه الله
ولهذا كان الاصل الذي بنى الامام أحمد والشافعي وغيرهما من الأئمة عليه مذاهبهم ان أعمال الخلق
تنقسم الى عبادات يتخذونها دينا ينتفعون بها في الأخرى أو في الدنيا والآخرة والى عادات ينتفعون
بها في معايشهم فالاصل في العبادات ان لا يشرع منها الا ما شرعه الله ورسوله وان استحسنه العقل
اذ لا مدخل له في الدين والاصل في العادات ان لا يحظر منها الا ما حظره الله ورسوله فمن ندب
الى شئ يتقرب به الى الله و يجعله من سنة رسول الله أو وحيه بقوله أو فعله من غير ان يشرعه الله فقد
شرع من الدين مالم يأذن به الله ومن تبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله شرع له من الدين مالم يأذن
به الله ومن اعتقد ان أكثر هذه العادات المخالفة للسنة مجمع عليها بناء على ان الأمة قد أقرتها ولم
تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد فانه لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات
المحدثة المخالفة للسنة ولا يجوز دعوى اجماع بعمل بلد أو بلاد من بلاد المسلمين فكيف بعمل طوائف
فالعادات لا تصرف الاحاديث الواردة في النهي عن الحظر به فان غالب العاملين بالعادات البدعية
هم الملوك واشباههم ممن سلفهم واتبعهم ولا حجة في فعلهم ﴿الخامس﴾ زعمه انا نكفر من يزور
القبور وهذا منه بهتان علينا وقول زور فانا نقول أصل زيارة القبور سنة مندوبة أمر بها
الشارع بعد ان نهى عنها والترغيب في زيارتها التذكار الآخرة والاحسان الى الميت بزيارته والدعاء
والاستغفار له لكن بلا شد رحل اليه ونحن اذا نهينا عن شد الرحال كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه والأئمة من بعدهم لا يلزم من نهينا تكفير مرتكب المنهي عنه اذا لم يصدر منه ما يوجب
كفره من الشرك الاكبر غير المغفور كدعاء الميت بما لا يقدر عليه الا الله من سلامة وعافية
وتفريج كربة وكشف شدة وسؤال مغفرة أو ليكون له واسطة ووسيلة في قضاء حوائجه وليشفع
له في ذلك فهو متوكل عليه فيه كما تقدم بيانه موضحا وأما قصد الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه
وسلم أو غيره لنفس ذلك الداعي لا له ولا للميت فهو حرام ولا كفر حيث لم يدع الميت نفسه وانما حرم
لقصد البقعة للدعاء فنحن نعمل ونأمر بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته
وعلمهم اياها ونجتنب وننهى عن الزيارة التي نهى عنها أمته وأخبر انها دين المشركين ﴿السادس﴾
ان متأخري الفقهاء القائلين بزيارة القبور من الشافعية وغيرهم حتى ابن حجر الهيثمي صرح في
الامداد الذي شرح به الارشاد كلهم قالوا ينوي الزائر مع زيارته التقرب بالسفر الى مسجده صلى
الله عليه وسلم وشد الرحل اليه والصلاة فيه لتكون زيارة القبر تابعة و يكثر في طريقه من الصلاة
والتسليم عليه ومضمون كلام صاحب المقدمة معاكس لهم لجعله زيارة القبر هي الأصل استحبابا
أو قربا من الواجب رأسا وزيارة المسجد تابعة وصريح الاحاديث المتقدمة وكلام الأئمة راد عليه في
ذلك ادهم القائلون من اعتقد ان السفر الى مجرد القبر أفضل من السفر الى المسجد أو مثله فهو
اما جاهل بشريعة الرسول واما كافر به وممن صرح بذلك أيضا الامام الشافعي كثير من
السلف الصالح ﴿السابع﴾ انه لم يفرق بين الزيارتين ولم يميز بين الجنسين في الحضرية

والمشروعية بل هما عنده شئ واحد ولذلك نسبنا الى تكفير فاعل المحظور منه مامع انا نفصل بين ما فيه مجرد الاثم والحرمة وبين ما هو نفسه كفر حقيقي لا يحتمل الاول وبين ما هو من الدين قد شرعه رسول رب العالمين والله أعلم وأما اعتراضكم على الشيخ بقولكم ﴿وأما قوله وليعلم المتهاون بصلاته المستخف المسابق الامام فيها انه لا صلاة له وانه اذا ذهبت صلاته فقد ذهب دينه أخذ هذا القول من تشبيهه صلى الله عليه وسلم الدين بالخيمة والصلاة بعمود تلك الخيمة وقوله ان الفسطاط اذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالاوتاد واذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالطنب والاوتاد فكذلك الصلاة من الاسلام فنقول لا نسلم ان سبق الامام يبطل صلاته نعم يكره ذلك الفعل منه بل ان ترك الموحد الصلاة رأسا مع اعتقاد فرضيتها لا يكفر كفرا اعتقاديا نعم عند الشافعي يقتل حدا لا كفرا فكيف يحكم بسبب المسابقة بخروجه من الدين ولا يلزم من التشبيه الذي بالحديث المذكور ذلك اذ لا يلزم من تشبيه شئ بشئ مشاركته له من جميع الوجوه مثلا لا يلزم من تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة أن يقال الناس كالاسد نعم الصلاة أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين وفرضها أفضل الفرائض ونفلها أفضل النوافل كما هو مفصل في كتب التفسير والحديث والفقه﴾ فنقول هذا الاعتراض شاهد على المعترض بانه ليس له اطلاع على كلام الأئمة الاعلام ولا احاطة بمعاني الاحاديث النبوية الكرام وانما يقول من عند ذاته ويستدل بظاهر ما خلف من مصنفاته غير محررات تناقضها نصوص كلام امامه ومرويانه وذلك من وجوه ﴿أحدها﴾ ان هذا كلام للامام أحمد بن حنبل الشيباني لا لمحمد بن عبد الوهاب بل قاله الامام أحمد في رسالة له عدة ورقات كتبها في أحكام الصلاة والتهاون بها وما يلحق بها وكان سبب كتابتها على ما ذكره انه صلى في جماعة ورآهم أو أكثرهم يسابقون الامام في الاركان الفعلية فكتبها نصيحة لهم ولغيرهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة امامه تابع له في أفعاله لا يتقدم عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به ولقوله أيضا أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار وهذان الحديثان في البخاري ومسلم ومعلوم أن المسابق لامامه متهاون بصلاته مستخف بها ووجود هذين الوصفين أو أحدهما لا يجامع الصحة واذ بطلت فخطرها عظيم ولهذا قال الامام أحمد في رسالته وليعلم المتهاون بصلاته المستخف بها المسابق للامام فيها انه لا صلاة له فاذا ذهبت صلاته فقد ذهب دينه فعظموا الصلاة وتمسكوا بها واتقوا الله فيها خاصة وفي أموركم عامة واعلموا أن الله عز وجل قد عظم حق الصلاة في القرآن وعظم أمرها وشرفها وشرف أهلها وخصها بالذكر من بين الطاعات كلها في مواضع كثيرة من القرآن وأوصى بها خاصة فمن ذلك ان الله تعالى ذكر أعمال البر التي أوجب لاهلها الخلود في الفردوس فافتتح تلك الاعمال بالصلاة وختمها بالصلاة وجعل تلك الاعمال التي جعل لاهلها الفردوس بين ذكر الصلاة مرتين قال الله عز وجل قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فبدأ من صفتهم بالصلاة عند مدحه اياهم ووصفهم بالاعمال الطاهرة الزكية المرضية الى قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فأوجب الله عز وجل لاهل هذه الاعمال الشريفة الزكية المرضية الخلود في الفردوس وجعل هذه الاعمال بين ذكر الصلاة مرتين ثم عاب الله عز وجل الناس كلهم وذمهم ونسبهم الى اللوم والهلع والجزع والمنع للخير الا أهل

الصلاة فانه استثناهم منهم فقال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ثم استثنى المصلين فقال الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ثم وصفهم بالاعمال الزكية الطاهرة المرضية الشريفة الى قوله والذين هم بشهاداتهم قائمون ثم ختم ثناءه عليهم ومدحه اياهم بان ذكر همة محافظتهم على الصلاة فقال والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون فاوجب لأهل هذه الاعمال الكرامة في الجنة وافتتح ذكر هذه الاعمال المرتبة على وجودها الكرامة بالصلاة وجعل ذكر هذه الاعمال بين ذكر الصلاة مرتين ثم ندب الى الطاعات كلها والصلاة هي أكبر الطاعات فقال عز من قائل اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي تلاوة الكتاب جميع الطاعات كلها واجتناب جميع المنهيات فخص الصلاة بالذكر فقال وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أي والصلاة خاصة وقد ندب سبحانه وتعالى أنبياءه عليها فقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فامر الله نبيه أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها ثم أمر الله المؤمنين بالاستعانة على طاعته بالصبر ثم خص الصلاة بالذكر من بين الطاعات فقرنها مع الصبر بقوله يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وكذلك أمر الله بني اسرائيل بالاستعانة في الصبر على جميع الطاعات ثم أفرد الصلاة من بين سائر الطاعات فقال واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ومثل ذلك ما أخبر الله عز وجل من حكمه ووصيته خليله ابراهيم ولوطا واسحق ويعقوب فقال وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة فافردها بالذكر وأوصاهم بفعل الخيرات عامة وفعل الصلاة خاصة ومثل ذلك ما أخبر عن اسماعيل في قوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا فبدأ بالصلاة ومثله عن موسى عليه السلام في قوله هل أتاك حديث موسى الى قوله انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فاجمل الطاعات واجتناب المعاصي وأفرد الصلاة أمرها خاصة ثم قال عز من قائل والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة والتمسك بالكتاب لا زمه فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المنهيات ثم خص الصلاة بالذكر فقال وأقاموا الصلاة وأما تضييع الصلاة فهو تركها والتهاون بها واستخفافها وتعاطي ما يبطلها من فعل ما هو محظور فيها ككلام الناس بينهم وكثرة الحركات فيها عبثا لغير حاجة قتال مباح أو نحوه ومسابقة امامه بافعال الصلاة وعدم تعديل الاركان فيها بان لم يطمئن طمأنينة وان قلت أو لم يقرأ فيها بام القرآن فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن هذا الحديث رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه بلفظه وذكر الحديث بتمامه وعن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وهذا نهي عام فيشمل الاحوال كلها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلوا كما رأيتموني أصلي وعن أبي هريرة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ودخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا فقال والذي بعثك بالحق لا أحسن غيره فعلمني فقال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن

ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه واذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ثم نقع سجودا بعده وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي يحذر مسابقته فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في الظهر في الاولتين بأم الكتاب وسورتين ويطول الاولى ويقصر الثانية ويسمع الآية أحيانا وفي الركعتين الأخيرتين بأم الكتاب وقال صلوا كما رأيتموني أصلي وروى أبو سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وعن عبادة بن الصامت قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج وما روى عن علي رضي الله عنه انه قال اقرأ في الاولتين وسبح في الاخيرتين فيرويه الاعور وقد قال الشعبي انه كذاب وعمر وجابر يخالفانه الى أن قال فالصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم وبالصلاة أمر الله تبارك وتعالى رسوله اول ما أوحى اليه بالصلاة قبل كل عمل وقبل كل فريضة وبالصلاة أوصى النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من الدنيا فقال الله الله في الصلاة وفيما ملكت أيمانكم هذا في آخر وصيته اياهم * وجاء في الحديث انها آخر وصية كل نبي لأمته وآخر عهده اليهم عند خروجه من الدنيا وجاء في حديث آخر انه كان يجود بنفسه وهو يقول الصلاة الصلاة أول فريضة فرضت عليكم هي آخر ما يذهب من الاسلام وهي أول ما يسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة وهي عمود الاسلام ليس بعدها بهادين ولا اسلام والله الله في أموركم عامة وفي صلاتكم خاصة فتمسكوا بها واحذروا تضييعها والاستخفاف بها ومسابقة الامام فيها وخداع الشيطان لكم عنها واخراجه اياكم عن دينكم فانها آخر الدين ومن ذهب آخر دينه فقد ذهب دينه كله فتمسكوا بآخر دينكم وقال فيها كلاما طويلا أعرضنا عنه طلبا للاختصار *الوجه الثاني* ان قوله لانسلم أن بسبق الامام تبطل صلاته وقد قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله تعالى ان المسابق لامامه بركن أو ركنين تجب عليه اعادة الصلاة لفسادها حيث لم توجد المشاركة مع الامام أصلا فيما سبقه وبه فان سابقه اليه المشاركة مع الامام فيكره فالاولى للمأموم تخلفه عن امامه يسيرا بحسب تميز الامام عن المأموم بأفعاله واختلفت الرواية عنهما في مقارنة المأموم لامامه في تكبيرة الاحرام أو في غيرها عرضه فعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى الأولى المقارنة له حيث بدأ بها الامام أولا مسارعة الى الدخول فيما معه وعن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد أن يتميز بها الامام عن المأموم ليكون تابعا له فيكبر بعد تكبيرة الامام والاصح ان الاختلاف في الجواز لا في الافضلية ولو كبر قبله ناويا الاقتداء به بطل الاقتداء وشروعه على الاصح عند الامام وأبي يوسف ومحمد وعند أحمد والشافعي رحمهما الله تعالى لابد أن يفرغ الامام من راء أكبر حتى يبدأ الامام ويشرع بالهمزة من الله فلو وافقه فيها فصلاته باطلة وحجتهما قوله عليه السلام انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا رفع فارفعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس وظاهر كلامهم في المسابقة التفصيل بين المسابقة بالركن والمسابقة

اليه لان المؤتم تارة يسبق امامه الى الركن بان يشرع في فعله قبل شروع الامام فيه كان يركع قبل
ركوع امامه أو يرفع من ركوعه قبل رفع امامه أو يشرع في السجود قبل امامه أو يرفع منه قبله
وتارة يسبق امامه بالركن بان يأتي به قبل امامه كان يركع و يرفع قبل امامه ولا يعد سابقا بركن حتى
يتخلص منه الى غيره فلا يعد سابقا بالركوع حتى يرفع ولا بالرفع حتى يهوى وقيل حتى يعتدل والأول
هو الصحيح عند أحمد وقد يسبق امامه بركنين فاكثر واذا سبقه بركن فتارة يكون ركوعا وتارة لا واذا
سبق بركنين فتارة يكون أحدهما ركوعا أولا اذا علم ذلك فحكم السبق الى الركن عند الامام أحمد
والشافعي انه يحرم ولا تبطل صلاته به ولو عالما بسابقته الامام عامدا أوهو جاهل الحكم وعليه ان يرجع
ليأتي بذلك مع امامه فان لم يرجع حتى أدركه فيه الامام فان كان عالما المسابقة عمدا بطلت صلاته
عند أحمد في أصح الروايتين عنه ولا تبطل عند الشافعي في القول المشهور عنه ومشى عليه أصحابه
وان كان جاهلا أو ناسيا لم تبطل صلاته بل يعتد له بالذى سبقه اليه من ركوع وسجود ونحوهما من بقية
الاركان لانه سبق يسير يعسر التحرز عنه ولانه اجتمع مع امامه فيه فلم يخل ذلك بالاقتداء لعذر الجهل
أو النسيان بالسبق اليسير فان كان عالما بحكم البطلان وسبقه اليه عمدا ثم رفع منه و ركع ثانيا بطلت
صلاته لتعمد البطلان بزيادة الركوعين * وأما السبق بالركن فان كان ركوعا بطلت الصلاة في
القول المشهور عن أحمد ومشى عليه أصحابه حيث كان عالما عامدا وكذا ان كان غيره على ما في المغنى
والكافي والمحرر وغاية المطالب والانصاف وشرح الوجيز وغيرها * وما حكاه في الشرح وشرح
الوجيز كالانصاف والمحرر من الوجه بعدم البطلان بالسبق بالركن حيث كان عمدا وقيده في المحرر
ومن تخالفه وبشرط كونه غير ركوع * فهذا قول مرجوح بل المذهب المعتمد بطلان الصلاة بتعمد
السبق باى ركن مطلقا ولاسيما مع قولهم بالبطلان بالسبق اليه عمدا حتى أدركه امامه فيه والسبق
بالركن يستلزم السبق اليه وزيادة وعدم العذر مفروض فما بقى لعدم البطلان مسوغ وأما السبق
بالركن جاهلا أو ناسيا فان كان غير ركوع واستمر على ذلك لم تبطل صلاته ولم تلغ ركعته بل يعتد
له بذلك * قال ابن نصر الله في حاشية الكافي الصحيح لا تبطل صلاته و يعتد له بها وأما ان سبقه بركن
أو بركن الركوع خاصة فان كان عالما عامدا بطلت صلاته وان كان جاهلا أو ناسيا بطلت تلك
الركعة ان لم يأت بما سبقه به مع الامام وكذا ما زاد على الركنين بالاولى وعند الشافعي ان كان عامدا
بطلت وسهوا فلا ولا يعتد له بهذه الركعة وكذا القول في التخلف عن الامام بركن فاكثر في تخلف
بركن فان كان لعذر من نوم يسير لم ينقض الوضوء أو زحام أو غفلة أو عجلة الامام ونحو ذلك من الاعذار
لم تبطل ومما اتمم قراءة الفاتحة ان لم يكن المأموم مسبوقا بها عند الشافعي في أحد القولين الموجب
فيه القراءة على المأموم وذلك ان تخلف بطء قراءته لا لوسوسة صرح به في عمدة السالك ومتى وجد
العذر المسوغ للتخلف فانه لا تبطل صلاته وعليه ان يأتي بما تخلف به عن امامه وان لم يمكنه الاتيان
به أو تركه غير عالم عامد مع الامكان لغت الركعة وسواء في ذلك الركوع وغيره على الصحيح وان كان
التخلف بلا عذر بطلت صلاته باى ركن من الاركان الفعلية * وان كان التخلف باكثر من ركن فان
كان بلا عذر بطلت الصلاة وان كان لعذر فان أتى بما تركه مع أمن فوت ركعة آتية ولحق امامه صحت
والا أتى به أو خاف فوت آتية لغت الركعة المتروك منها وتابع امامه والتي تليها عوضها وعند الشافعي
لو تخلف بركن بلا عذر كره أو بركنين بطلت ﴿ وأما ﴾ التخلف عن ركن امامه فانه مشروع عند أحمد

والشافعي لقول البراء بن عازب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده لم يحن منا أحد ظهره حتى يقع النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ثم نقع سجودا بعده وقول أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى ان المسابق لامامه بركن أو ركنين تجب عليه اعادتها الصلاة علله أصحابه بالاثم وكراهة التحريم قالوا وهذا الحكم في كل صلاة أديت مع كراهة التحريم كذا في ابن الهمام وان أديت مع كراهة التنزيه فالاعادة مستحبة ﴿فنقول﴾ صاحب المقدمة لا نسلم لا يخفى ما فيه لانه وما بحثه الا انه لا يسلم من غير دليل عرضه ولا استدلال قصده وأما ما يبطل الصلاة من عدم تعديل الاركان في مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى فعنه في رواية الكرخي ان تعديل الاركان يعني طمأنينة الركوع والسجود والقيام بينهما والرفع بين السجدتين واجب يأثم بتركه فان أخل به فعليه الاعادة وهذه الرواية عنه أصح من رواية الجرجاني لوجهين * الاول منهما انها هي الموافقة للائمة الثلاثة ولظاهر الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا فعل أصحابه وتابعيهم * الثاني ان أكثر أصحابه على ذلك ما عدا محمدا رحمه الله في رواية عنه حتى أبا يوسف رحمه الله تعالى فان عنده تعديل الاركان وهو الطمأنينة في الركوع والسجود وتمام القيام بين الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين فرض تبطل الصلاة بتركه عنده وعند أكثر أصحاب أبي حنيفة وهو مذهب الشافعي وعند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ان تركه سهوا يلزمه سجود السهو وان تركه عمدا يأثم وتجب عليه الاعادة اذ هذا الحكم في كل صلاة أديت مع الاثم وكراهة التحريم وتستحب الاعادة مع كراهة التنزيه * قال في الظهيرية وعن أصحابنا انه يأثم بترك قومته ورفع ظهره من الركوع وشذ قوله في التتارخانية وشرح الطحاوي ولو ترك القومة جازت صلاته ويكره أشد الكراهة * فقوله جازت قول مرجوح مخالف للاصل * ولذلك جمع بين القولين في الجواز والكراهة التي فيها الاثم وهي لا تجامع الاجزاء بل لا بد معها من الاعادة كما تقدم * وفي الحديث ان العبد اذا صلى الصلاة لوقتها وأداها باركانها وشروطها صعدت الى السماء ولها نور حتى تصل الى الله فتشفع في صاحبها وتقول حفظك الله كما حفظتني وان ضيعها ولم يتم ركوعها ولا سجودها صعدت ولها ظلمة حتى تنتهي الى أبواب السماء وتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فتضرب وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني * وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها الا ثلثها الا ربعها الا خمسها حتى قال الا عشرها * فالصلاة اذا أتى بها كما أمر نهته عن الفحشاء والمنكر والاثم تنبيه دل على تضييعه لحقوقها وان كان مصليا ﴿الوجه الثالث﴾ ان قوله بل ان ترك الموحد الصلاة رأسا مع اعتقاد فرضيتها لا يكفر وهذا خرق لاجماع أكابر الصحابة والتابعين كما قال الحافظ عبد الحق الاشبيلي في كتابه في الصلاة ان جلة الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم يكفرون تارك الصلاة متعمدا ويحكمون عليه بالارتداد اذا خرج وقتها منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعلي بن أبي طالب ولا يعلم عن صحابي خلافهم قال ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل ومحمد بن ادريس الشافعي في الرواية الصحيحة المشهورة عن بعض أصحابه في الرجل الممتنع على حدته واسحق بن راهويه والامام مالك في احدى الروايتين عنه وعبد الله بن المبارك وابراهيم النخعي والحكم بن عيينة وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة

وأبو خيثمة زهير بن حرب قال يحيى بن معين قيل لعبد الله بن المبارك ان ناسا يقولون من لم يصم ولم
يصل بعد ان يقر به فهو مسلم مؤمن فقال عبد الله لا نقول نحن كما يقول هؤلاء بل من ترك الصلاة
متعمدا من غير علة حتى دخل وقت في وقت فهو كافر يحل قتاله * وقال ابن أبي شيبة قال النبي
صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر فيقال له ارجع عن الكفر فان فعل والا قتل بعد وفي
مسند الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك
صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله * وعن أبي الدرداء قال أوصاني أبو القاسم صلى الله
عليه وسلم ان لا أترك صلاة متعمدا فمن ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة * رواه ابن أبي حاتم في
سننه قال أحمد بن سيار سمعت صدقة بن الفضل يسئل عن تارك الصلاة فقال هو كافر فقال له السائل
أتبين منه امرأته فقال صدقة وأين الكفر من الطلاق لو ان رجلا كفر ولم يطلق خرجت امرأته من
عصمته لانه أعظم لكن قال أكثر العلماء ينتظر بها انقضاء عدتها ان كانت مدخولا بها لحديث
صفوان بن أمية وامرأته بنت الوليد بن المغيرة ان صفوان أسلم بعدها بشهر فانها أسلمت يوم الفتح وهو
بقي على كفره حتى شهد حنينا والطائف وهو كافر ثم أسلم بعد فلم يفرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما
بل استقرت عنده امرأته بذلك النكاح وقال أبو عبد الله محمد بن نصر سمعت اسحق بن يسار يقول
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن
النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ان تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر
* وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومحمد بن شهاب الزهري وداود بن علي المزني يحبس تارك الصلاة
المفروضة حتى يموت أو يتوب والرواية التي عن الشافعي في قتله تارك الصلاة حدا اعاهي في الرجل
الممتنع منها على حدته والصحيحة عنه كفره كما نقلها عنه عبد الحق الاشبيلي وتارك الصلاة رأسا وان
وجد منه التصديق والاقرار بها فانه معدوم ما هو معتبر به ومتوقف صحته والعصمة به على وجوده
وهو عمل القلب نيته واخلاصه ومحبته وانقياده لفعل الاوامر اذ لو وجد فعله انقادت له الاعضاء والا بان لم
يوجد منه الا التصديق خاصة فذلك قول القلب مجردا من فعله وهو لا ينفع كما لم ينفع ابليس وفرعون
والذين عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلموا صدقه وما جاء به من الحق فاعتقدوا صدقه وان ما جاء
به هو الحق ثم لم يعملوا وهؤلاء وان كذب به بعضهم ظاهرا فالبعض الآخر يقر عنده وعند غيره
ويعتذر عن العمل والاتباع والتكذيب ظاهرا سببه فقد عمل القلب مع ان قوله وهو التصديق
موجود ولم ينفعه * وتقدمت الادلة على كفر تارك الصلاة مستوفاة من كتاب الله وسنة رسوله
واجماع الصحابة والتابعين وانه لا خلاف في قتل تاركها الا أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى ومن وافقه قالوا
يحبسه حتى يموت في الرواية المشهورة عنهم وما فهمه صاحب المقدمة من كلام الامام أحمد في قوله
* وليعلم المتهاون بصلاته المستخف بها المسابق الامام فيها انه لا صلاة له صحيحة وانه اذا ذهبت صلاته
فقد ذهب دينه من أنه يحكم على المسابق الامام بالخروج من الدين ولحوقه بالكفار المرتدين اذا بطلت
صلاته بالمسابقة وهو أحد الروايتين عنه فيمن ترك من الصلاة ركنا أو شرطا يعتقد التارك وجوبه
أو أتى بمبطل لصلاته عالما عامدا الا أن ذلك كتركها فيقال فيه ما يقال في ترك جميعها وقد قال ابن هبيرة
في قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقد رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده ما صليت ولو مت مت
على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدا صلى الله عليه وسلم فيه ان انكار المنكر في مثل هذا يغلظ له

لفظ الانكار وفيه اشارة الى تكفير تارك الصلاة والى تغليظ الامر في الصلاة حتى ان من أساء في صلاته ولا يتم ركوعها ولا سجودها فان حكمه حكم تاركها قال الامام أحمد في رسالته الصلاة أول فريضة فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم وهي آخر ما يذهب من الاسلام ليس بعد ذهابها اسلام ولا ايمان ولا دين وهو أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله وهي عمود الاسلام اذا سقط الفسطاط فلا ينتفع بالاطناب والاوتاد * وكذلك الصلاة اذا ذهبت فقد ذهب الاسلام ووجود المبطل لها من مسابقة وغيرها مذهب ومعدم لها والرواية الثانية انه لا يكفر الا بترك ما هو مجمع عليه مما لا خلاف فيه وان رأى التارك وجوبه لانها اذا بطلت تصير كانها فائتة ولا يكفر تاركها ومراعاة للقائلين بصحتها وان اعتقد الفاعل بطلانها ونحن وان قلنا ما قاله الامام أحمد رحمه الله تعالى من أن المسابقة للامام عمدا تخل بالصلاة وتصيرها معدومة لم نحكم على المسابق بالكفر والردة كما لم نحكم على تارك القراءة في الركعتين الأخيرتين بام القرآن أو لم يعدل الاركان حيث يرى التارك صحتها بدونه اذ هذه مسائل اجتهادية لا يكفر بها ولا انكار في مسائل الاجتهاد نعم نأمر المسيء في صلاته ان يعدل أركانها وأن يتم قراءتها وركوعها وسجودها وان لا يسابق الامام فيها فان فعل بعد ذلك ونصح ونغلظ القول في ذلك كما نصح وغلظ فيه صدر الأمة السلف الاول ونخشى عليه من ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم وكررها ثلاثا للمسيء في صلاته صل فانك لم تصل وعلمه كيفيتها كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿الوجه الرابع﴾ قوله ولا يلزم من التشبيه الذي ادعاه المذكور ذلك اذ لا يلزم من تشبيه شيء مشاركته له من جميع الوجوه فهو قد توهم ان التمثيل الذي في كلام الله ورسوله هو التشبيه الواقع على المشبه والمشبه به والتمثيل عبر لتشبيه في المعنى فان تشبيه زيد بالاسد في قولنا زيد اسد أو كالاسد أوما هو من معاكس التشبيه كقوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ليس كالامثال التي ضربها الله في القرآن أو رسوله في السنة فانه سبحانه وتعالى ضرب قصة الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك مثلا لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرؤا منهم عند الشدة فقال ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون الى ان قال كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين وكذلك ضرب سبحانه وتعالى الامثال في القرآن كثيرا كقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الآية وكقوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم الآية الى غير ذلك من الامثال التي لا يعقلها الا العالمون فان هذه لمثل بها ليست أعلى ولا أتم من المثل بل هو فوقها وأتم منها حسا ومعنى وضربه صلى الله عليه وسلم الامثال في السنة كتمثيله الصلاة في عمود الخيمة وهي بالدين فكما لم تستقم بدون عمود ولا ينتفع بها بدونه كذلك لا يستقيم الدين بدون الصلاة التي هي منه كالعمود بالنسبة الى الخيمة وكالرأس للجسد أو كالروح للبدن وكضربه الله تعالى الامثال في القرآن في أن المثل أعلى ثم من المشرب حسا ومعنى في الغفلة يترقى الى عدم الوجود والانتفاع وأما المشبه فانه اذا كان بينه وبين المشبه به علاقة في صفة من الصفات شبه به ولا يلزم منه مشابهته له ولا به

من كل الوجوه فان زيدا اذا قيل عنه أسد او كالاسد لا يشاركه فى جميع الصفات كما لا يشاركه فى الذات بل الاسد فيه من الصفات المختلفة ما لا توجد فى زيد وفى زيد منها ما لا يوجد فى الاسد اذ الصفات الانسانية أفضل وأتم من سائر الحيوانات والجمادات والشجاعة الموجودة فى الاسد والحسن الموجود فى البدر أتم وأكمل من الشجاعة والحسن الموجودين أو أحدهما فى زيد بخلاف الامثال التى ضربها الله فى القرآن أو رسوله فى السنة فان الممثل أتم وأكمل من الممثل به وهو تابع معناه اعداما وايجادا وجوبا وجوازا ووجوبا ﴿الوجه الخامس﴾ قوله ونفلها أفضل النوافل وعزاه الى كتب الأحاديث والتفسير والفقه والذى فيها أفضل النوافل الجهاد ثم النفقة فيه ثم العلم تعلمه وتعليمه ثم صلاة النافلة ففى الصحيحين عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى الأعمال أفضل قال الايمان بالله وجهاد فى سبيل الله وفيهما أيضا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل الاعمال ايمان بالله وجهاد فى سبيل الله وفى الصحيحين عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فضل المجاهد فى سبيل الله كمثل القانت القائم الذى لا يفتر عن الصلاة ولا الصيام حتى يرجعه الله بما يرجعه من غنيمة أو أجر أو يتوفاه ليدخله الجنة وعند الامام أحمد والذى نفس محمد بيده ما شحبت ولا اغبرت قدم عبد فى عمل يبتغى فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة أفضل عند الله من الجهاد فى سبيل الله عز وجل وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد دال بصريحه على ان الجهاد أفضل الاعمال بعد الفرائض كما هو قول الامام أحمد وغيره من العلماء فانه عليه السلام عبر برأس الامر وعنى به الدين الذى بعث به الرسل وعموده وهو قوامه الذى يقوم به كما تقوم الخيمة بالفسطاط هو الصلاة وذروة سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعه وهو الجهاد وروى الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن الزبير قال قال عثمان بن عفان وهو يخطب على منبره انى محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعنى ان احدثكم به الا الظن بكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وقد ترجم ابن حبان فى صحيحه ذكر تضعيف النفقة فى سبيل الله على غيرها من الطاعات وذكر عن حريم بن فاتك مرفوعا من أنفق فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف ورواه الامام أحمد والنسائى والترمذى وحسنه وعند الامام أحمد وغيره من عمل حسنة كانت له بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة فى سبيل الله كانت له سبعمائة ضعف وفى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا وممن صرح به من الائمة اسحق بن راهويه نقله عنه ابن منصور وان من العلم ما يقع نفلا وفى خطبة المحيط للحنفية أفضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين وعلم اليقين معرفة الفقه قال الامام أحمد تذاكر بعض ليلة أحب من احيائها فى العلم الذى ينتفع به الناس فى أمر دينهم قال ابن منصور فقلت الصلاة والصوم والحج والطلاق ونحو هذا قال نعم والاشهر عنه الاعتناء بالحديث والفقه والتحريض على ذلك قال وليس قوم خيرا من أهل الحديث وعاب على محدث لا يتفقه وقال يعجبنى ان يكون الرجل فهيما فى الفقه الا ان الشافعى رحمه الله اختار فى القول المشهور تقديم نفلها على نفل العلم للاخبار فى انها أحب الاعمال الى الله وخيرها ولان مداومته صلى الله عليه وسلم على نفلها أشد من غيره ولقتل من تركها تهاونا وكسلا ولتقديم فرضها وقال غيره العلم يتعدى نفعه فاشتغاله فيه أفضل مما يقصر نفعه على الفاعل

ولذلك كان العالم العامل أفضل من العابد الا ان نفل الصلاة أفضل مما يتعدى نفعه سوى العلم كالصدقة وأمثالها وهل نفل الحج أفضل من نفل الصلاة أم نفلها أفضل فمن قال انه أفضل قال انه جهاد لما روت عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد قال عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة اسناده صحيح رواه الامام أحمد وابن ماجه وروى الامام أحمد والبخاري عنها قالت يا رسول الله أترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لكن أفضل الجهاد حج مبرور وعند الشافعي رحمه الله تعالى في القول المشهور عنه نفل العلم أفضل من نفل الحج لتعديه وانما قدم نفل الصلاة للاخبار الواردة في انها أحب الاعمال الى الله كما تقدم عنه وكذا القول في تقديم نفل الصوم فمن قدمه قال لاضافته الى الله لما في الحديث كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به ومن لم يقدمه قال انما أضافه الله اليه لانه لا يعبد به غير الله في جميع الملل بخلاف غيره ولان من نوى صلة رحمه وأن يصلي ويتصدق ويحج كانت نيته عبادة يثاب عليها ونطقه بما سمعه الناس من كلمة التوحيد أفضل اجماعا وأما الصدقة فهي زمن غلاء وحاجة أفضل من عتق وفي غير زمن غلاء وحاجة فعتق أفضل وصدقة على قريب محتاج أفضل من عتق والله أعلم ﴿وأما قولكم وقوله من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه﴾ وقول الله تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الآية وعن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من الواهنة فقال انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ولو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا فنقول لا شبهة في ان لبس ما ذكر حرام وصاحبه آثم لكن لا يلزم من كون مرتكبه كافرا مشركا خارجا عن دين الاسلام مباح الدم والمال وأيضا ليس مذهب لأحد من السلف الصالحين مع ان الواجب على كل أحد ان يحمل أخاه المؤمن على الصلاح كما قدمناه وما ذكر في معرض الاستدلال من الآية والاحاديث لا يدل عليه اذ المراد بالدعاء في الآية الكريمة العبادة كما عليه المفسرون وأما الاحاديث فمحمولة على من يعتقد فيهما التأثير كما يجب حمل أمثالها من الاحاديث الواردة من هذا النمط على ذلك ﴿فنقول أما الحلقة فقال أهل اللغة كل ما كان بين بعضه من بعض كحلقة الذكر ووسط الصف ونحو ذلك فهو حلقة ووسط بالاسكان وما كان مصمتا لا يبين بعضه من بعض كحلقة الباب ونحوها ووسط الدار والراس والراحة فهو حلقة ووسط بفتح اللام في الحلقة والسين في الوسط قاله الازهري والجوهري وغيرهما وقد أجاز في المفتوح الاسكان ولم يجيزوا في الساكن الفتح والمقصود هنا حكم لبس حلقة الصفر والحديد ونحوهما ولا ريب أن لبسهما وتعليق الخيط أو الخرزة أو العظم ونحوها من التمائم لدفع البلاء أو رفعه ان ذلك من شرك تعطيل المعاملة التي تجب على العبيد المتعلقة بمعنى الوهية الحق تعالى وتقدس فان الاله معناه كل مألوه في القلب برجائه فيما هو مختص بجلال الله وعظمته والالتجاء اليه كما تقدم تعريفه في بيان معاملته تعالى وما هو مختص به من سائر الطاعات والعبادات التي من أعظمها دعاؤه ورجاؤه والتوكل عليه واعتقاد ان الخير والشر بيده لا جالب لهما ولا دافعهما ولا رافعهما الا هو سبحانه وتعالى قال عز من قائل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فما اعتقد دفع البلاء والشر ودفعه بما في لبس الحلقة والخيط وتعليق العظم والتميمة فقد أشرك في اعتقاده وعطل معاملة الله المأمور بها فوضعها في غير موضعها بجعلها لغيره ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الحامل في عضده الحلقة من الصفر عن الواهنة انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ولو مت

وهي عليك ما أفلحت أبدا رواه الامام أحمد وغيره من حديث عمران بن حصين ونفي الفلاح في الابد يقتضي الشرك الاكبر غير المغفور بل الخلد في النار للاعتقاد المذكور وقول الله سبحانه وتعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته دليل على ان كشف الضر وامساك الرحمة عند الله خاصة لا عند غيره من سائر الخلق الانبياء والملائكة وتماثيلهم ولا الحلقة والخرزة والخيط والعظم والتميمة بالاولى ولذلك قال عقبها قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون والمتخذون تماثيل الانبياء والملائكة وسائل ووسائط يسمونها الآلهة يدعونها ويرجونها فالرجاء انتشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم وتقربهم منهم زلفى لم يعتقدوا فيها الضر ولا كشفه ولا امساك الرحمة عنهم كما تقدم بيان ذلك موضحا ولا استشفعوا بها واستقوا ودعوها راجين الشفاء والمطر وانزاله منها كما ذكر الله ذلك عنهم في عدة آيات بينات وكما قرعهم وانكر عليهم بالاستفهام الانكاري حيث قال تعالى هل هن كاشفات ضره هل هن ممسكات رحمته لانهم يعلمون ويعرفون ان الله وحده كاشف الضر وممسك الرحمة ومنزل الشفاء والرزق والمطر لا غيره ودعاؤها لشفاعتها ورجاؤها في ذلك وتعلق القلوب بها لتكون واسطة ووسيلة وتألهها بذلك هو معنى عبادتها وصاحب المقدمة قد فهم ان الدعاء ليس هو العبادة ولا هي معناه لقوله اذ المراد بالدعاء في الآية العبادة والظاهر انه يعني بها خصوص السجود لتماثيل الانبياء والملائكة ولم يعلم انها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من دعاء ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وزكاة وصلة رحم وبر واذا جعل شيأ من ذلك لغير الله فقد عبده فعبر عنها بما هي من معناه ولذلك قال سبحانه قل أرأيتم ما تدعون من دون الله فعبر عن العبادة بالدعاء لانها معناه ولانهم كانوا يدعونها التشفع لهم فيما يسألونه منها ولهذا قال تعالى في موضع آخر ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكل ما امر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي فهو العبادة ومن جعل ما هي من معناه المختص بجلال الله لغيره فقد عبده بما هو مأمور به شرعا الله وحده وقوله تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره قال ابن عباس ومقاتل بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة بخير وصحة وكشف شدة ورفع بلاء هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا لعلمهم ان ذلك لا يكون الا من الله وحده فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ولا يخفى ما في الاستدلال بهذه الآية بل بالقرآن كله والسنة على من علق الخيط والخرزة وعلق العظم والتميمة لدفع البلاء أو رفعه أو حصول خير او نفعه من كمال مناسبة معناها عن اعتقد في شيء أعظم مما اعتقد فيه الاولون فعلقه ولبسه وتعلقه ليدفع عنه سوأ و بلاء أو لرفعه أو ليكون سببا في دفعه ورفعه اذ الاسباب لا يجوز ان يتعاطى منها الا ما شرعه الله ورسوله فلا يجعل الشرك أو المحرم سببا في حصول غرض من الاغراض الدنيوية أو الاخروية ولا يتخذ سببا من الاسباب الا بعد علمه بحكمه وحيث جاز فلا يركن اليه ولا يتكل عليه وهذا واتم الله في الجائز فما الظن فيمن جعل الحرام المجمع عليه حلالا واعتقد فيه وتوكل عليه هل هذا يجامع الايمان أو الاسلام أو يحملا يعدل به عن اعتقاده الى رتبة الفساق المرتكبين لانواع الحرام مع وجود الاسلام واصل الايمان أم اعتقاده أفسد عليه فخرج به عن خطة دين الاسلام الذي أنزل به القرآن وعلق بوجوده الغفران ودخل في خطة عباد الشياطين وتماثيل الانبياء والملائكة والمرسلين من الاحجار والاشخاص

والطلاسم التي هي اسماء المعبودين والرسل لم يبعثهم الله الا لابطال كل ما يخالف دينه وما شرعه
ويكسروا الاحجار ويطمسوا التماثيل ويخبروا ان الامر كله لله ولا يجعل لغيره تعالى ما هو مختص
بجلاله من عبادته ومعاملته التي منشؤها القلب والاعتقاد ولقد زاد هؤلاء على اولئك باشياء كثيرة لولم
يكن منها الا اعتقاد كشف الضر وجلب الخير فيما تعلقوا فيه وعلقوه على انفسهم ودوابهم وحرثهم
لكفى فانهم يتوكلون على ما علقوه وتعلقوه ويسندون كشف الضر وجلب الخير اليه وانه لولاه لنزل
به البلاء او لوجدت الشدة او لضربته العين او لنزلت به لكن هي التي رفعت ذلك كله او هي الدافعة
له او هي التي رفعته ونحو ذلك من المعتقدات التي لم توجد الا عند هؤلاء المعتقدين المفتونين في
عبادة الشياطين وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولو لم يعتقدوا فيهم ما اعتقدوه من هذا الاعتقاد
الباطل لما علقوه وتعلقوه ومعلوم ان من لم يعتقد ذلك لم يكن ليفعله ولا ليرضى به ومع تقدير فعله من
غير اعتقاد فيه ولا رضى به لا يكفر ولا نكفره نحن كما زعمه صاحب المقدمة بل حمله ذلك وتعليقه
حرام والفاعل آثم فنحن ننهى عن ذلك ونغلظ فيه ويجب على العالم ان ينهى الجاهل عن ذلك
ويحذره منه انما الرزية كل الرزية تغافل العالم عن الجاهل وعدم نهيه ونصحه عما يضره من ذلك فان
وزر العالم اكبر من وزر الجاهل واعظم وافحش حيث فعلها هو بنفسه او رأى من يفعلها جاهلا بها
ولم ينبهه عليها او يبين له فيها فويل للعالم من الجاهل وويل له كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه
وسلم ولم يكن هؤلاء العلماء الذين نعرفهم واجتمعنا بهم وسمعنا عنهم انهم لا ينهون عن ذلك بل قد استقر
عندهم وفي نفوسهم ان من نهى عنه وعابه فهو وهابي او عارضي او شرقي وان لم ينسبوا اذاته بل عقيدته
فتسافهوا عن الحق واعرضوا عنه تكبرا وتجبرا وحسدا وبغيا والله يقول انما كان قول المؤمنين اذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون وهذا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما اراد تحجير النساء ان يزدن في صداقهن على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قامت اليه امرأة وهو على منبره في مجمع الناس فقالت كيف تمنعنا يا امير المؤمنين وقد قال الله
وآتيتم احداهن قنطارا فقال جهرا امرأة اصابت ورجل اخطأ فالحق احق ان يتبع وهو ضالة
المؤمن اينما وجدها التقطها وعلى العلماء البلاغ والتبليغ والعلم والتعليم لا المعاندة والطعن في
الحق والدين ومثل المصر على ما ارتكبه المتغرر فيما اجترحه من اتباع هواه وعموم بلواه مع الناصح
له المشفق عليه من عمله واتباع هواه كمثل مسافر في مفازة ومعه دابته ومعه زاده فنفد الماء والزاد
ثم انقطعت به الدابة وقد بقي من المسافة مدة طويلة وبقي يمشي على رجليه فاصابه الجهد من الظمأ
والجوع والتعب وضل الطريق فصار في طريق كثيرة السباع كثيرة اللصوص ويسر الله له من يريد
انقاذه ويدله على طريق النجاة فأبى وامتنع الا الاقامة على طريق الخوف وابى الا الهلاك الحالي التي
بلغه منها الجهد والتعب فلو سمع به وامره المجانين لتعجبوا من امره ولنسبوا الجنون اليه لان المناسب
في حقه الرجوع عن المهالك الى طريق السلامة والامن وشكر الدليل المرشد المنقذ هذا وهو هلاك
الجسد في الموت خاصة فما حال من هذه حاله من النار اما الخلود فيها واما ما هو سبب له يزيد له شيأ منه شيأ
وشيأ فهم من اكثر الناس عقدا ونفثا واعتقادا وتعلقا وتعليقا في الخيط وغيره من التمائم ومن اكثر
ما يكون النفث في الخيط والاعتقاد فيه اذا صعدوا المنبر لخطبة الجمعة او غيرها يعقدون وينفثون للتعلق
والتعليق من الحمى او العين ولدفعهما وقد علم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الاستعاذة من

شر النفاثات في العقد وهو وان كان السبب خاصا في بنات لبيد كن يعقدن في الخيط بشئ يقلنه
وينفثن فيه بلا ريق فهو عام في كل نافث في الخيط وناثة وعاقد وعاقدة فان الآية ظاهرها العموم فيمن
نفث في الخيط وعقد فيه والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبما يدل عليه وعلى حمل الآية
على العموم قوله صلى الله عليه وسلم من نفث وعقد فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيأ
وكله الله اليه رواه النسائي من حديث أبي هريرة ومعنى من تعلق شيأ أي علق على نفسه العوذة
والحرزة وامثالهما ويستوى في ذلك قاصد السحر أو الشفاء لان الله اذا حرم أمرا لا يغير حكمه عقيدة
الفاعل والمفعول له وان تلا الفاعل في نفثه القرآن ثم عقد كمن استعمل آلة لهو في ذكر وقراءة ونفس
الخيط وان كان الاصل فيه جواز الاستعمال فالنفث فيه لما قصد منه والعقد اقامه مقام الآلة بقطع
النظر عن اعتقاد النافث والعاقد والمنفوث والمعقود له ولان السحر في العادة لا يكون من غير نفث
ولا عقد وقد قال صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فالنافثون والعاقدون والمعلقون
والمتعلقون مشركون ومعطلون لحقيقة التوحيد الواجبة على العبيد ولا بكلام الله يعملون ولا يبالون
به ولا بكلام نبيه يأخذون ولا اليه ينتهون وهم قد جمعوا بين الاثمين والمتنبين الشرك الاعتقادي وحرمة
النفث والعقد مع وزر المنفوث والمعقود له من غير ان ينقص من وزره شئ فلا تصلى خلفهم الجمعة
ولا الجماعة بالاولى لشركهم وتعطيلهم في اعتقادهم وصنيعهم ماداموا كذلك حتى يتوبوا ويرجعوا
ومن رآهم فلم ينكر عليهم فهو شريك لهم في ذلك الاثم والوزر فان رضي باعتقادهم فهو مثلهم سواء
بسواء النهي الشارع صلى الله عليه وسلم عن التعلق بشئ ورد على فاعله وقال لا تزيدك الا وهنا
انبذها عنك لومت وهي عليك ما أفلحت أبدا رواه الامام أحمد وغيره من حديث عمران بن حصين
وطرق أخر غيره وروى أبو منصور بن طاهر التميمي عن محمد بن عبد الله بن علي بن زياد الدقاق
عن محمد بن ابراهيم البوسنجي عن عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل عن زهير بن محمد بن معاوية عن
عمرو بن قيس الملائي عن المنهال عن سير بن أم أبي عبيدة بن عبد الله أن عبد الله دخل على امرأته وهي
أم سير وأبي عبيدة وفي عنقها سير أو خيط معقود من مرض بها وعندها نسوة فاجتذبه حتى اختنقت
فقطعه فنبذه ثم قال لقد أصبح آل أم عبيدة أغنيا عن ان يكون في بيته شرك فقال بعضهن أو شرك
هذا قال نعم الرقى والتمائم والتولة شرك فقال بعضهن وما التولة قال ما يحببن به الى أزواجهن
فقال بعضهن ان أحدنا يأخذها الضربان في عينها فاذا استرقت سكن فقال ذلك الشيطان
عدو الله ينزغ في عين احداكن فاذا استرقت كف ولو انها اذا أحست شيأ من ذلك أحدت
كفا من ماء فنضحت في عينها وقرأت قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب
الناس لسكن وذهب فالاستعاذ مستعيذ بمثلهما ومن لم يتسع القرآن ولا شاء الله فيقرؤه
المريض على نفسه أو يقرؤه الغير عليه أو يكتب ويسقاه أو يقرأ له في ماء وكذا أسماء الله تعالى
وتقدس ومما ورد وضع المريض يده على الموضع الذي يؤلمه فيقول بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من
شر ما أجد وأحاذر سبعا وتقدم ما يجوز من تعاطي الادوية التي شرعها الله وبينها رسوله صلى الله عليه
وسلم من غير ركون اليها ولا توكل عليها وأخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمة في مال أو أهل فيقول ما شاء الله
لا قوة الا بالله الا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة

الا بالله فسن لمن أعجبه ماله أو ولده أو شيء من حاله أن يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فانه لا يرى فيما أعجبه مكروها الحديث المتقدم والله أعلم * وأما قوله ﴿وقوله من تبرك بشجرة أو حجر الخ﴾ فعلم جوابه مما ذكرناه آنفا مع انه أيضا ليس على اطلاقه اذ بعض الاحجار قد ينفع باذن الله وقد يكون لبعضها خواص ومنافع خلقها الله فيها كما نشاهده في حجر المغناطيس من جذب الحديد وأمثاله وكالحجر الاسود فان عمر بن الخطاب حين استلمه لما قال له انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك أجابه عثمان بن عفان بقوله انه يضر وينفع اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليشفع بمثل ربيعة ومضر فافهم ذلك يا ابن عبد الوهاب ﴿فنقول معنى تبرك أي طلب البركة وقصدها من الشجرة أو الحجر نفسهما أو هما السببان في حصولها فالاول هو اعتقاد المشركين بهما من غالب مشركي أهل هذا الزمان كما هو مشاهد لمن تأمل وتحقق والثاني هي ذات الانواط التي قال عنها أهل العلم من أصحاب مالك وغيرهم انظروا رحمكم الله حيثما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون بسببها البرء والشفاء ويضربون بها الخرق ويعلقونها عليها فاقطعوها فانها ذات أنواط وكما روى أبو داود والترمذي عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم وفي رواية للترمذي عنه انهم مروا بسمرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط قالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الاسلحة والعكوف حولها امتبركوا بها وينتفعوا بسببها يكون اتخاذها ذلك الها مع الله مع أنهم لا يدعونها ولا يسألونها فما الظن فيمن يدعوها ويرجو منها ومن بركتها وقد كانت العزى شجرة بسمرة بنخلة لغطفان يعبدونها بدعائها التشفع خاصة لهم فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها تالعاس وهو يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد أهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وكذلك مناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وسميت بذلك لما كان يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها رجاء شفاعتها وأخذوا اشتقاق اسمها من منى الله الامر اذا قدره زاعمين ان الله يقدر لهم بشفاعتها واراقة الدماء عندها ما أرادوه وطلبوه ودعوها لتشفع لهم فيه وقد زعم صاحب المقدمة ان من تبرك بشجرة أو حجر فرجى منها ومن بركتها ما تفرج عنه الكروب وتشفى القلوب وتقضى الحوائج وتكشف الشدائد أو لتشفع له فيما رجاها ودعاها أن تشفع له فيه من ذلك فليس شركا أكبر غير مغفور الا بالتوبة منه والرجوع الى دين الاسلام والملة الحنيفية بقوله فقد علم جوابه مما ذكرناه آنفا يعني قوله فيما تقدم فيمن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه انه ليس فيه الا الحرمة والاثم ولا يلزم منه كون مرتكبه كافرا مشركا فكذلك من تبرك بشجرة أو حجر ليس فيه الا الحرمة والاثم لكن لا يلزم منه كون مرتكبه كافرا مشركا الخ ولم يعلم بحكم تعطيل معاملة الله تبارك وتعالى الواجبة على خلقه

وعبيده التي هي معنى ألوهيته وتفرده فيما هو مختص بجلاله وعظمته من صمديته التي مفتقر بها اليه البر والفاجر والبائس والشاكر والمقل والمكثر المتفاخر وسائر خلقه كلهم بها له قانتون واياه يدعون ومن بركاته يرجون انما كان شرك الاولين عما يظنونه مرضيا لرب العالمين ومقربا اليه في كل حين ولذلك مخلصون له الدين في حال الشدة وكل أمر هائل مزعج متين قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون لكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لاقرارهم بربوبيته وافتقارهم الى صمديته وأنه يجيب دعاء المضطرين لا يعطيهم بدعائهم الا متاعا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق لانهم عطلوا معاملته المقتضية لعبادته وعصوا رسله قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وعدم فهم معنى عبادة الله ومعاملته وحكم تعطيلها هو الحامل له بان يحكم على من تبرك بسحرة أو حجر فرجى منها ومن بركتها ما تفرج به عنه الكروب وتقضى الحوائج وتكشف الشدائد بحكمه فيمن ادس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه في أن ادس في ذلك الامجرد الحرمة فقط ومما يدل على ما قلناه دلالة صريحة اعتقاده وتصريحه في كلامه الذي في قوله مع أنه أي من التبرك بالاشجار والاحجار ليس على اطلاقه اذ بعض الاحجار قد ينفع باذن الله وقد يكون لبعضها خواص ومنافع خلقها الله فيها كما نشاهد في حجر المغناطيس من جذب الحديد وأمثاله فلا اثم على من دعاه وتبرك به لما فيه من النفع من جذب الحديد وكذا الحجر الاسود لما فيه من نفع الشفاعة في مثل ربيعة ومضر ومن له أدنى لب من عقل ومعرفة فيما بعث الله به الرسل ودعاهم وهديهم واقتباس نصيب من نور الله علم يقينا ان معتقد هذا الاعتقاد وقائل هذا القول والحاكم بهذا الحكم محاد لله ولرسوله راد على الله ورسوله ناقض لحكم الله ورسوله وأنه ليس عنده علم ومعرفة في دين الله الذي من يتبع غيره ان يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ولم يفرق بينه وبين الانتفاع والاستمتاع فيما هو مخلوق من الارض ومعادنها للآدميين بل عنده من ذلك مجرد الادعاء في القول والكتابة على حكمه في القول فان نظره الى الصنعة في الخلق ولم ينظر الى الصانع الخالق رب كل شيء وخالقه ومليكه واله الذي لم يخلق خلقا الا لحكمة وجميع الكائنات شاهدة بالوهيته كما هو دال على ربوبيته والارض وما حوته من أنواع المعادن والنبات من حكمة موجدها وبركة الهها الموضوعة فيها انما وجودها دليل على وحدانية الله وتفرده بالالوهية ليكون الدين كله له ولينتفع بها وبما فيها سائر الحيوانات التي على ظاهرها وفي باطنها من بني آدم وغيرهم قال عز من قائل يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فهذا الامتنان من الواحد المنان ناطق بأن الأرض وسائر ما فيها من الاشجار والاحجار لا يعتقد فيها الضر والنفع ولا العطاء والمنع وانما ينتفع بها انتفاع استمتاع لا اعتقاد نفع فيه فالاول من معاني الامتنان والثاني من وظائف الاله الواحد المنان واعتقاد السببية الجائزة فيه من غير ركون اليه ولا توكل عليه من جملة الاستمتاع به وقد تقدمت الاسباب

الجائزة مستوفاة في بحث الشرك وان الله خالق السبب والمسبب ومن وقع في ظلمات الوهم وأبعد عن
نور الفهم لم يميز بين النوعين ولم يفرق بين الجنسين ولو كان المخالطون أو أذن لهم في الاقتصار في
العبادة على المصنوع والصنعة التي هي نتيجة الحكمة فهو طوره معاملة الصانع الحكيم أو التشريك
بينهما لعد ذلك نقصا في جانب الصانع نفيا لحكمته اي لأجل انه خالق الأرضين والسموات وما فيهما
وما بينهما من الآيات ولما اوجد جميع الكائنات وكيف بقدرته تعالى وتقدس ان يأمر الا بعبادته
ومعاملته او وحده لا شريك له [illegible] ونصب على ذلك الدلائل [illegible] الوهيته وحده من ذلك الأرض
وما اوجد فيها الا انه من معادن الأحجار بانواعها فان فيها خواص ومنافع للناس وبعضها أكثر من
حجر المغناطيس كحجر [illegible] واللؤلؤ والجوهر والزبرجد والزرنيخ والشب وغيرها من انواع المعادن
كل له خاصية ينتفع بها ليست في الآخر [illegible] يوجد حجر فيها [illegible] للانتفاع به دق أو حل كالبناء
وغيره وكذا حجر الألماس ونحوه كل له خاصية ينتفع بها دالة على الوهية خالقها واختلاف الوانها في
كل لون يكون فيها أو منها كما هو مشاهد في المعادن المستخرجة وكل لون ينقسم الى أنواع وألوان فان
حمرة المرجان مختلفة كما ان حمرة الزبرجد والياقوت وخضرتهما مختلفة وكاختلاف بقاع الأرض مع
تجاورها قال تعالى انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال تعالى وهو الذي مد
الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وكذلك
اختلاف الأجساد من سائر الحيوانات والعقول والادراكات والأشعار وانواع الثمرات مع اتحاد
الأب والأم ان في ذلك لآيات وهذا سر قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير
﴿ومن الدلائل﴾ على ألوهية خالقه [illegible] سائر الحيوانات و[illegible] تتوارى به الاجسام والعورات
من النبات كالقطن والكتان وما برزه الله [illegible] من الحيوانات [illegible] الصوف
والشعر والجلود وما اختلط [illegible] أصوافها وأوبارها وأشعارها [illegible]
الا الله الواحد المنان وكذا اختلاف الأخشاب [illegible] وهذه الآيات لا تحصيها
العبارات [illegible] تشير الى اليسير منها الاعتبارات [illegible] قول موحد الكائنات والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات وكذلك الحال
في الطيب والخبيث يكون في بني آدم كما يكون في الأرض وما يخرج [illegible] كما قيل

الناس كالأرض ومنهم * [illegible]

[illegible] * [illegible]

وهذا من نزع البركة عن بعضها [illegible] في كل منهما وفي الحديث
[illegible]
النار اخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي عيسى سعيد بن جبير رضي الله عنه عن [illegible]
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
يرى الناظر اليه عليه آثار الأنوار [illegible]
المختار وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴿ومن الدلائل﴾ على ألوهيته [illegible] الكعبة

الشريفة في البلد الأمين طهره الله وصانه وجعل عباده المتقين أولياءه وسكانه ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين وفيه من البراهين والآيات ما يسع الكائنات ولو لم يكن فيه الا انه منزل البركات من اله الكائنات تنزل عليه كل يوم مائة وعشرون رحمة تتفرق على أهل التوحيد من أهل الطاعات ومنها توجه وجوه أهل الاسلام في جميع الصلوات من كل الجهات وكذلك توجه اليه من المسلمين كل الأموات ﴿ومنها﴾ مضاعفة الحسنات وتجسيم السيئات ﴿ومنها﴾ أن تجبى اليه جميع الثمرات ومنها البركة التي طلب الخليل صلى الله عليه وسلم في الاقوات ﴿ومنها﴾ مقام ابراهيم وزمزم طعام طعم ولما شرب له عام ﴿وفيها﴾ يمين الله في أرضه فانه يأتي يوم القيامة وله شفتان ولسان يشهد لمن استلمه وقبله مؤمنا بالله غير مشرك به ومصدقا بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم متبعا الشرعه وهديه محاديا الضده فشهادته لاهل التوحيد باعمالهم الصالحة هي حقيقة نعمه التي أخبر بها على بن أبي طالب عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حيث صح وثبت جواب على لعمر والا فهذه الزيادة بعض العلماء على عدم ثبوتها انما الثابت صدر الحديث كما رواه البخاري من طريقين الاول عن عباس بن ربيعة عن عمر انه جاء الى الحجر فقبله وقال اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك الثاني عن زيد بن أسلم عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر وقال لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك وقول صاحب المقدمة اجابه عثمان بن عفان وهم انما المجيب على بن أبي طالب كما ذكره المثبتون لهذه الزيادة في آخر الحديث في بعض السير فاما شهادة الحجر لاهل التوحيد فهي ثابتة كما روى عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكي طويلا ثم التفت فاذا عمر بن الخطاب فقال يا عمر ههنا تسكب العبرات رواه ابن ماجه وروى مسلم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم استلم الحجر بيده وقبلها فتقبيله واستلامه والبكاء عنده لا يخلو ذلك من حكمة ولو لم يكن منها الا انه يمين الله في أرضه وشهادته لاهل التوحيد توحيده باعمالهم وذلك لا يقتضي اعتقاد النفع أو الضر فيه بطبعه ولا بقوته ولا يدعى ولا يرجى ولا يتوكل عليه لفضله وشهادته وشفاعته ليستا بأفضل ولا أكمل ولا أتم من شهادة الرسل وشفاعتهم ومع ذلك فلا يعتقد فيهم النفع ولا الضر ولا الاعطاء ولا المنع الا انهم يوم القيامة يشهدون على أممهم وعلى بعضهم بعضا بالبلاغ والتبليغ كما قال جل ذكره فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ويشفعوا في أهل التوحيد بعد اذن الله لهم فيها لمن رضى عنه وذلك لا يقتضي انهم يملكون الضر ولا النفع ولا العطاء ولا المنع فالحجر أولى بعدم الاعتقاد فيه اذ الامر كله لمالكه وهو الله الذي خلق الرسل وفضلهم على سائر الخلق وخلق الارض وما فيها من الآيات الدالة على ألوهيته وتفرده بملك الضر والنفع والاعطاء والمنع ولقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مخاطبا الكعبة الشريفة شرفها الله ما أطيبك وأطهرك ولحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ومعلوم انه لا أعظم حرمة في الخلق من الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم لم يبعثهم الله عز وجل الا لينزلوا هذا الاعتقاد في الأحجار والأشجار من قلوب سائر الخلق الكبار والصغار ويخلصون لله الواحد القهار وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد أعظم حماية أقل من هذا الاعتقاد وأظهره وغضب منه حين قال له القائل ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده فكيف باعتقاد المشركين اللات والعزى أو ما هو أعظم منه وقد ذكر بأبي مناسبة حكمه الله

في خلقه واظهار قدرته في مصنوعاته وشحنه من الاستمتاع بما في المقالة ولم نتعرض لما في المطالة طلبا للاختصار ومخافة في القصور وذلك اذا الارض بالنسبة اليها كحلقة ملقاة في فلاة واذا فتح الله فؤاد العبد للفكر في أمره ورأى ببصيرة قلبه فنطق لسانه بعجائب المطالة فاستدل بذلك على الوهية الخالق وتفرده فيما هو منفرد به من خلقه وعبادته وحده لا شريك له في حقه ومعاملاته والهدى ترتب ادا تكلم بالدليل على الوهية خالقه فهو في محل لهاء الرزية كل الرزية الاعراض عن الآيات والتعامي عن المشاهدات والمبصرات والمسموعات والمحسوسات وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ومن كان فكره في كل واد يهيم فهو من الافكار الباطلة والاعتقادات الفاسدة في ليل بهيم ولهذا قال الا لله تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴿ وبه اقول ﴾ لكم وقوله من الشرك النذر لغير الله وقول الله يوفون بالنذر الآية وقال تعالى وما نفقتم من نفقة او نذرتم من نذر الآية وفي الصحيح عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه فنقول هذا ايضا اغير مسلم انه من الشرك الاعتقادي وما استدل عليه من الآية والحديث لا يدل عليه بل انما يدل على انه لا يلزم الوفاء به كما عليه اتفاق العلماء ﴿ فنقول النذر لغة الايجاب يقال نذر فلان دم فلان أي أوجب قتله ومعناه شرعا الزام مكلف مختار نفسه عبادة لله تعالى غير لازمة له باصل الشرع وهو مكروه واذا كان لله ولا يأتي بخير ولا يرد قضاء وفاقا لأبي حنيفة رحمه الله تعالى لما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وقال انه لا يرد شيئا ولكن يستخرج به من البخيل وفي رواية للبخاري قول ابن عمر ولم تنهوا عن النذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر وانما يستخرج بالنذر من البخيل وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل مالم يكن البخيل يريد ان يخرجه فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر وأخبر انه لا يأتي بخير وانه ليس من الاسباب الجالبة لخير او لدفع شر أصلا وانما يوافق القدر موافقة كما يوافقه سائر الاسباب فيخرج من البخيل حينئذ مالم يكن يخرجه قبل ذلك وأجمع اهل العلم في الجملة على انعقاد النذر الذي لله ولزوم الوفاء به لقوله سبحانه وتعالى وما نفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ولما روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ولحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله اني كنت نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة وفي رواية يوما في المسجد الحرام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اوف بنذرك رواه البخاري فالوفاء به يدل على جواز النذر اذا كان في طاعة الله لا على استحبابه ومشروعيته ولذلك ثم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أمر به بل نهى عنه وأخبر انه لا يأتي بخير ولا يرد قضاء وفي الصحيح من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا أدري ذكر اثنين أو ثلاثة بعد قرنه ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون ويظهر فيهم السمن (ثم النذر) الجائز ثلاثة اقسام (احدها) معلق على وجود نعمة ودفع نقمة فاذا وجد ذلك لزم الوفاء به لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه وذمه الذين ينذرون ولا يوفون كما في حديث عمران بن حصين المتقدم ﴿ والثاني ﴾ ما علق على شيء بقصد المنع منه أو الحث عليه كقوله ان دخلت الدار فعلي لله كذا وان لم أخبرك بما يكون فعلي كذا وهذا

القسم هو نذر اللجاج والغضب وقد اختلفوا في لزوم الوفاء به وللشافعي قول موافق للرواية الصحيحة
عن أحمد أنه يخير بين الوفاء فيما نذر وبين كفارة يمين لما روى عمران بن حصين قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا نذر في غضب وكفارته كفارة يمين رواه سعيد بن منصور في سننه ولأنها
يمين فيخير فيها بين الأمرين ﴿الثالث﴾ ما ينذر من الطاعة بلا تعليق كصلاة وصوم وحج واعتكاف
وقراءة وعيادة مريض فيلزم الوفاء به عند عامة أهل العلم * وحكي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه
لا يلزم الوفاء إلا بما له نظير في أصل الشرع وما لا أصل له في الوجوب كالاعتكاف وعيادة المريض لأن
النذر فرع على المشروع فلا يجب به ما لا يجب له نظير بأصل الشرع وحجة ملزمي الوفاء حديث
عمر وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وذم النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينذرون ولا يوفون
والنذر المطلق غير المقيد بشيء كقوله لله علي نذر أكثر أهل العلم منهم مالك يوجبون فيه كفارة يمين
كقوله إن فعلت كذا فلله علي نذر وفعله ففيه كفارة يمين لما روى عقبة بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين * رواه ابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح غريب قالوا وهذا نص المسئلة فلا يعدل عنه ﴿والنذر﴾ غير الجائز قسمان
﴿أحدهما﴾ نذر فعل معصية كشرب خمر وقتل معصوم وصوم يوم عيد أو حيض أو أيام
التشريق فيحرم الوفاء به لقول النبي صلى الله عليه وسلم من نذر أن يعصي الله فلا يعصه ولأن معصية
الله تبارك وتعالى لا تباح في حال من الأحوال وهل ينعقد أم لا جمهور العلماء على أنه لا ينعقد لأن
في قوله فلا يعصه دليلا على عدم انعقاده ولقوله صلى الله عليه وسلم لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما
لا يملك ابن آدم رواه أبو داود وأصله في الصحيحين وقال بعضهم وهو الإمام أحمد في الرواية المشهورة
عنه ينعقد لأن وجود النذر كوجود اليمين وعدم جواز الوفاء به لا يمنع انعقاده ويكفر كفارة يمين وهذا
مروي عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعمران بن حصين وسمرة بن جندب رضي الله عنهم وبه
قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى إلا أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى قال فيمن نذر ذبح آدمي
معصوم يلزمه ذبح كبش ويطعمه للمساكين وهذا القول أحد الروايتين عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ﴿الثاني﴾ النذر لغير الله ولأجله عقدت الترجمة كالنذر لإبراهيم الخليل أو محمد
النبي الأمي صلى الله عليهما وسلم أو ابن عباس رضي الله عنهما أو الشيخ عبد القادر أو الخضر أو الملك
من الملائكة أو نبي أو شجرة فلا خلاف بين من يعتد به من علماء المسلمين أنه من الشرك الاعتقادي
لأن الناذر لم ينذر هذا النذر الذي لغير الله إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع ويعطي ويمنع
إما بطبعه وإما بقوة السببية فيه ويجلب الخير والبركة ويدفع الشر والعسرة والدليل على اعتقاد
هؤلاء الناذرين وشركهم حكايتهم وقولهم إنهم قد وقعوا في شدائد عظيمة فنذروا لفلان وفلان أصحاب
القبور من الأنبياء والمشايخ وللغار الفلاني والشجرة الفلانية فانكشفت شدائدهم واستراحت
خواطرهم ويقول أحدهم مرضت فنذرت للشيخ فلان فشفاني وعافاني ويقول الآخر خرج على
المحاربون واشتد علي الأمر فنذرت لشيخي وسيلتي ومستندي إلى الله الفلاني واستغثت به فأجابني وكشف
شدتي وفرج كربتي ويقول الآخر ركبت البحر فحصل الطوفان وكثرة الأمواج والريح فنذرنا
أصحاب السفينة ودعونا الولي الفلاني ومعتقدنا الذي في جزيرة أو محل كذا ونذرنا له كذا وكذا
فأسكن الريح وأبطل الموج وركدت سفينتنا فسلمنا واسترحنا فلما قدمنا إلى مكانه ابتدرنا إلى سادن

القبر بلاقينا قائلا ان الشيخ أخبرني وهو في قبره ان له عندكم نذر كذا وكذا وأرسلني اليكم لاقبضه منكم فيوفون فيتعجبون منه ويزيدون له في الاعتقاد فيه والنذر له وتثبت عندهم ولايته وضره ونفعه فيدعونه ويرجونه ويرسلون له من المكان البعيد شمع العسل ويوقد في قبته عند قبره ويأتون اليه بالجوخ وأنواع الحرير يضعونها تغشية على تابوته وأعلاما عند ضريحه * وقد قام بنفوسهم ان هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم ومن تأمل القرآن وسنة المبعوث به ونظر أحوال السلف الصالح علم ان هذا النذر نظير ما جعلته المشركون لآلهتهم في قوله تعالى هذا لله وهذا لشركائنا وقوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون حذو القذة بالقذة واعتقاد هؤلاء في المنذور له أعظم من اعتقاد أولئك في المجعول له لانهم يعتقدون فيهم الضر والنفع والعطاء والمنع لانهم اذا الأول شرك عالم الآخرين والثاني هو شرك الأولين ألا ترى ان الحلف بالله وحده عند هؤلاء لا يرضون به ولا يكتفون ولا يكون عندهم قسما بل لا يكون قسما مؤكدا الا اذا كان بمعتقدهم سواء كان ميتا أو غيره ولا يقدمون على الحلف به كاذبا خوفا من نفسه أن يصيبه بضر في جسده أو ماله أو عياله ويقدمون عليه بالله كاذبا ولا يخافون ولا يبالون بل لا يعدونه يمينا هذه عقيدة الخواص منهم لا العوام الطغام فلذلك له ينذرون ومنه يرجون ويخافون وعليه يتوكلون واياه يدعون وبه يستعينون وبه يستغيثون ومن خالفهم في ذلك وأنكر عليهم يخرجونه ويبدعونه وينالون منه ولا من الله يسألون ولا يخافون من ما اعتقدوه وكالوه هو الذين عندهم وكانه هو المطلوب منهم فهؤلاء المشركون مبطلون يضيفون قضاء حوائجهم من المنذور له الى خصوص النذر مع أن جنسه لا أثر له في ذلك وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان نذر طاعة الله فضلا عن معصيته ليس سببا لجلب خير ولا لدفع شر انما الخير الذي يحصل للناذر يوافق النذر موافقة كما يوافق سائر الأسباب فلا ينسب اليه أثر ولا سيئة فاما نسبة التأثير اليه في جلب الخير أو دفع الشر أو رفعه وانه من المنذور له أو هو متسبب فيه بشفاعته وواسطة للناذر الذي يدعوه ويتوكل عليه ويرجوه يشفع له في كل ما نابه وكشف ما أهمه فلا شبهة ان هذا هو الشرك الأكبر والكفر الاعتقادي لعموم قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والنذر عبادة قربة يتقرب بها الناذر الى المنذور له وتعلق قلبه بواسطته وتألهه له سعاية اياه ورده له وتوكله عليه ولحديث حصين بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم تعبد قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام فأسلم خرجه الامام أحمد في مسنده والترمذي ولحديث القوم الصالحين الذين فتنتهم قومهم خرجه البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره ولاعتقاد قريش في اللات والعزى ومناة وأما نسبة السببية في النذر خاصة دون المنذور له ولا يعتقد فيه ضر ولا نفع ولا سببية فيهما وانما نذر له ليكون النذر وحده سببا في حصول المطلوب فهذا نذر معصية لا كفر ولا يجوز الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر أن يعصي الله فلا يعصه رواه البخاري عن عائشة ولنهيه صلى الله عليه وسلم عن وفاء نذر المعصية لله وعن العقر والذبح لغير الله رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث

أنس والنذر لغير الله من ذلك وفى معناه ولا يجوز الوفاء به وان تصدق بما نذره من ذلك على مستحق الصدقة من الفقراء الصالحين غير سدنة القبور وخادميها العاكفين عليها القابض النذور كان خيرا له وأنفع عند الله تبارك وتعالى وجواز الاعتقاد فى ان هذا النذر هو السبب فى حصول المطلوب لابد له من داخل لا يمكن وجوده على ذلك لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه واخباره انه لا يرد شيأ ولا يقدمه ولا يؤخره ولا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدره له كل ذلك مروى فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولو نذر فعل قربة من صلاة أو ذبح نسك فى مكان معد على قبر نبى أو صالح أو تمثالهما أو أحدهما وذلك المكان يقصد لدعائه وبركاته أو للدعاء عنده أو لم يقصد لذلك ولكن نية الناذر التقرب بجعله لديه والتبتل اليه حرم النذر والوفاء مثل نحر عهما فى مكان فيه وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعيادهم وذلك لما روى أبو داود عن أبى قلابة ان ثابت بن الضحاك حدثه قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر ابلا ببوانة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى نذرت أن أنحر ابلا ببوانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم وبوانة بضم الباء الموحدة من أسفل موضع فى أرض اليمن ولا تخفى مناسبة الآية والحديث لذكر الترجمة اذ قوله تعالى وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه شامل لنذر الطاعة والقربة ونذر المعصية المغفورة والمحبطة وقوله تعالى يوفون بالنذر القرآن دال بمنطوقه ومفهومه وصريحه وكنايته ان الله لا يأمر الا بالطاعة قولا وعملا واعتقادا وينهى عن المعصية قولا وعملا واعتقادا فتعين أن يكون الحث على الوفاء بالنذر ومدح الوافين اذا كان فى طاعة الله وقربة اليه والا فهو داخل فى عموم قوله تعالى واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وقوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ومن أعظم الزور والفواحش معاصى الله بأنواعها الشاملة للنذر لغيره تعالى سواء كان نذر شرك أصغر أو كان شركا أكبر فان النذر لغير الله لا يتناول الا هذين النوعين ولا يخرج عنهما فلا ينعقد وجواز الوفاء به متوقف على انعقاده وعدم الاثم فيه فضلا عن اللزوم وهذا الذى عليه العلماء جملة لا كما زعمه صاحب المقدمة فانه انما نفى اللزوم خاصه وأسنده الى اتفاق العلماء وأبقى جواز الوفاء به وصنيعه يدل على عدم فهمه وقصور اطلاعه فان نصوص العلماء قاطبة ناطقة بعدم جواز الوفاء بنذر المعصية وعللوا بنهيه صلوات الله وسلامه عليه عن عصيان الله بالنذر وبه ولان فى الجواز تقرير المعصية الله وهى منتفية شرعا وعقلا هذا مع اختلافهم فى انعقاد نذر فعل المعصية كقطيعة رحم وقتل معصوم وشرب خمر وصوم يوم عيد وتقدم أن الجمهور لا يرى انعقاده وان من رآه لا يجوز الوفاء به بل يوجب فيه كفارة اليمين وان أبا حنيفة رحمه الله تعالى يوجب فى نذر قتل المعصوم ذبح كبش واطعامه المساكين وأما النذر لغير الله فانه وان كان نوعا منه فلا أحد ممن يعتد به من العلماء يقول بجوازه أو انعقاده أو جواز الوفاء به نعم قال بعض العلماء من الشافعية وغيرهم فيمن نذر لميت أو نحوه شمعا أو زيتا ونحوه وقصده أن يكون نذره وسيلة فى قضاء ما طلبه أو منع ما قصده ولم يقصد ذلك من الميت نفسه ولا أن يكون سببا فيه ان هذا النذر حرام لا يجوز الوفاء به وان تصدق بثمن ما نذره من ذلك أو عينه على المساكين المستحقين كان خيرا له عند الله تبارك وتعالى وأنفع اه نعم وقوله صلى الله عليه وسلم ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه وقوله انه لا وفاء لنذر فى معصيه

شامل لكل نذر معصية اما هو بنفسه او ماهي وصف له وان لم يكن هو معصية كنذر الرجل نحر الابل وذبح النسك او فعل قربة في مكان معهود فيه شرك وما هو من أفعال الجاهلية فان الحكم يتبع الوصف ايجادا واعداما جوازا ومنعا وهو سبب الحكم فان وجد فهو مانع من الوفاء وان لم يكن النذر في نفسه معصية لله كفعل القربة ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم الرجل لما قال يارسول الله اني نذرت أن أنحر ابلا ببوانة فقال هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قال لا قال أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم * رواه أبوداود في سننه وغيره فلما ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم عدم المانع لجواز الوفاء وهو فقد الصفة المحرمة في الصورتين قال له فأوف بنذرك يعني حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح في ذلك الموضع فكان جوابه صلى الله عليه وسلم فيه أمرا بالوفاء عند الخلو من الصفة المانعة للنذر الجائز مع فقدها ونهيا عن الوفاء به مع وجودها وأصل الوفاء بالنذر الجائز معلوم * فبين صلى الله عليه وسلم ما لا وفاء فيه واللفظ العام اذا ورد على سبب فلا بد أن يكون السبب مندرجا فيه والله أعلم ﴿وأما قوله﴾ وقوله ومن الاشراك الاستعاذة بغير الله فهذا غير مسلم انه من الاشراك الاعتقادي وما يستدل عليه من قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن لا دلالة فيه عليه أصلا ﴿ فنقول قد تقدم تعريف نا معنى الاستعاذة في أول الكتاب عند قوله ونعوذ بالله من شرور أنفسنا والاستعاذة الالتجاء الى الله والملاذ بجنابه من كل شر والعياذ يكون لدفع الشر والملاذ لطلب الخير كما قال المتنبي

يامن ألوذ به فيما أؤمله * ومن أعوذ به فيما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهيضون عظما أنت جابره

ومن لاذ واستجار واعتصم بغير الله فقد خاب وخسر وأشرك في قوله واعتقاده قال سبحانه وتعالى ان الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقال تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فبين سبحانه وتعالى في هذه الآيات بل بالقرآن كله انه ليس دونه خلقه ولي ولا نصير وانه لا أحد يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا فلا يوجد الا بتقديره ومشيئته وانه الخالق للسبب والمسبب وأما نزغ من الشيطان والاستعاذة منه لا تكون الا بالله السميع العليم وان ليس للعين سلطان قهر وغلبة واستيلاء على عباد الله المقادين لأمره المؤمنين به وبرسله بما أرسلوا به المفوضين أمورهم الى خالقهم ولهم فلا يتمكن من قلوبهم فيصدهم عن ذكره وتوحيده ويقعوا في ذنب لا تجامعه المغفرة بل انما يكون ذلك على أوليائه المنقادين لأمره الذين يتولونه والذين هم به مشركون لاعراضهم عن توحيد خالقهم والاستعاذة بغير الله اعراض عن توحيده ونفي لتفرده تعالى بملك الضر والنفع والعطاء والمنع والاستغاثة والقرب وتعطيل لمعاملته وافضاله ومزيده والمستعيذ بغيره متخذ وليا ونصيرا من دونه فقوله تعالى فاستعذ به من الشيطان الرجيم الى قوله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمن استعاذ بغير الله

على هذا الوجه فهو عن استعاذ به مشرك في قوله وعقيدته اذ تعلق قلبه في المستعاذ به من المخلوقين برجائه والملاذة به والالتجاء اليه والتوكل عليه هو الحامل والمقتضى له على الاستعاذة به وذلك هو الشرك الاعتقادي ولهذا كان الرجل من العرب في الجاهلية اذا سافر فامسى في أرض قفرة أي خالية قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح فانزل الله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون أي يلوذون ويستعيذون برجال من الجن فزادوهم أي فزاد الانس الجن المستعاذ بهم رهقا سفها واثما وطغيانا بقولهم سدنا الانس والجن وكذا ما في صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من دخل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك وفي المسند للامام أحمد عن أبان بن عثمان عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شئ قال الخطابي قال العلماء لا يستعاذ بغير الله أو صفاته اذ كل ما سواه تعالى وصفاته مخلوق ولذلك وصفت كلماته تعالى بالتمام وهو الكمال وما من مخلوق الا وفيه نقص والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معاملته تعالى الواجبة له على عبيده انتهى وبهذا احتج السلف كالامام أحمد وغيره على ان كلام الله غير مخلوق قالوا وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات الله التامات فلا يستعاذ بمخلوق ولما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا فنهى عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالمخلوقين الجن أو غيرهم قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال الآية ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والاقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره التي تتضمن الشرك بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك كما تقدم خشية أن يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقى المشروعة فانه جائز ومما يؤيد ان الاستعاذة بالمخلوق شرك اعتقادي جعل المستعيذ نصيبا من ماله ما كولا كان أو غيره لمن استعاذ به من الجن لائذا به وعائذا ليرفع عنه أو غيره ما حل به من المس والالم أو يدفع ما يحذره من سائر الالم قائلا أعوذ وألوذ بفلان وفلان ومن ساد من انس وجان من شر كذا وكذا ثم يحرا الحصيرة لسكان الارض من الجيران ليرفعوا عنه أو يدفعوا ما حل به وكان ويدس ما نحره لهم في التراب ليكون لهم خالصا وبهم سائغا وبعضهم يقول أعوذ بأبي الجان وشهاب الشيطان من العين وما كان من شر كيت وكيت ونحو هذه الاستعاذات التي هي شرك اعتقادي من هؤلاء المفتونين عبدة الشياطين ولفظ الاستعاذة بالمخلوق شرك قولي ناشئ عن الاعتقادي فقول صاحب المقدمة الاستعاذة بغير الله غير مسلم انه من الاشراك الاعتقادي دال بصريحه على انه لم يميز اللازم من الملزوم ولم يعرف المقتضى المشؤم وذلك من وجوه ﴿أحدها﴾ انه ما دليله فيه الا انه لا يسلم من غير دليل من الكتاب والسنة وكلام الائمة غرضه ولا استدلال قصده ﴿الثاني﴾ ان قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا دالة الآية بمنطوقها ومفهومها ان الاستعاذة بغيره تعالى من الجن واقعة اعتقادية لحديث كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاحتمل حملا من الغنم فوثب الراعي فنادى يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فاذا الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة

فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية ﴿الثالث﴾ انه لولم يعتقد فيه القدرة على تحصيل ما يرومه منه ودفع ما يخشى شره لما استعاذ به ﴿الرابع﴾ نفيه الاستدلال بالآية على ان الاستعاذة بغير الله شرك اعتقادى لقوله لاد لالة فيه عليه أصلا والله قد أنزلها بسبب الشرك الاعتقادى فى عامر الوادى ﴿الخامس﴾ ان حكم الآية عام فى كل مستعيذ بغير الله فيما لا يقدر عليه الا هو سبحانه وتعالى اذ العبرة فى القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ملاحظته وعدم القصور عليه ﴿السادس﴾ ما قاله عبد الرحمن جلال السيوطى فى كتابه الخصائص الكبرى ان من التلاوة على الجن المستفاد من شرورهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين الى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين لا طارق يطرق الا بخير يارحمن أما بعد فان لنا ولكم فى الحق سعة فان تك عاشقا مولعا أوفاجرا مقتحما أو راعيا حقا مبطلا هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تمكرون اتركوا صاحب كتابى هذا وانطلقوا الى عبدة الاصنام والى من يزعم ان مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون تغلبون لا تنصرون تفرق أعداء الله بلغت حجة الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم دال بمنطوقه على ان الاستعاذة لا تكون الا بالله لانه ذكر صفة ما كانت فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم رسول الله الى سائر الانس والجن الى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين طالبا منهم فيه الحق على ضمن ما فى كتاب الله وهو القرآن من تحريم ظلم المسلمين عليهم فلا يظلمونهم ولا يتعدون عليهم بل يفعلون ما حكم عليهم القرآن وطلبه منهم ويتركون ما نهوا عنه ولذلك قال هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق فان القرآن الكريم ناطق بتحريم ظلم المسلمين بعضهم بعضا حاكم بذلك على الانس والجن ولهذا قال بلغت حجة الله وبسبب الحوقلة فى هذا الباب لانه أمرهم وما ذكرت على كل منهم الا مرجعه الله ثم استكفاهم الله السميع العليم فقال فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴿وأما قولكم وقوله باب قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يعنى من يدعو غير الله نبيا أو غيره يكون مشركا كما يدل عليه سياق كلامه فقلنا ان أردت من الدعاء العبادة كما هو معنى الدعاء فى الآية فسلم لكن لا نسلم ان الداعى غير الله يعبده بل انما يناديه ولا يلزم من النداء ذلك والا لزم تكفير كل من نادى غيره ولا يقول به أحد من الامة بل من جميع الامم﴾ فنقول من له أدنى لب من عقل ومعرفة فى أى دين عرف بهما حق الله الخاص بجلاله وهو عبادته التى أمر بها فى النص المتضمنة السؤال ممن نيل افضاله وحق المسلمين بعضهم على بعض وما يقدرون عليه فعرق بين العبادة والعبادة فانها اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه ويثيب عليه مما أمر به من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة ثم ان كان ما أمر به مختصا بجلاله لفظه ومعناه ولا يصرف لغيره تعالى من ذلك الدعاء بما لا يقدر على جلبه أودفعه أو رفعه الا الله وحده فمن دعا به غير الله من سائر الخلق واستعان به فيه فقد عبده به وهذا المعنى مما عناه المفسرون تحت قوله تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله فى قولهم أى تعبدون وقوله والذين تدعون من دونه أى تعبدون وأمثال ذلك ولهذا قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا فان المشركين لما أحبوا مع الله كحب الله وظنوا

ان ما تألهته قلوبهم تشفع لهم عند الله وتقربهم منه دعوهم لذلك والتمسوا البركة عندهم راجين الشفاعة منهم واتخذوهم أسبابا فى قضاء حوائجهم من عند خالقهم ولذلك قال تعالى عنهم ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله واذا كان اتخاذهم أسبابا فى قضاء حوائجهم من عند الخالق ودعاؤهم ورجاؤهم اياهم فى ذلك يكون عبادة لهم مع اقرارهم بربوبيته تعالى وملكه وجميع الكائنات وانه تعالى الذى بيده ملكوت كل شئ وهو الذى يجير ولا يجار عليه فهو الضار النافع المعطى المانع فكيف بمن اعتقد الضر والنفع والعطاء والمنع فيمن دعاه وسماه وسيلة وزعم ان الله جل شانه قد أمر بذلك فهو يدعوه لقضاء حوائجه وتفريج كرباته والبركة فى ماله وأولاده ويبتهل اليه فى ذلك وليس معه من التوحيد الا مجرد ادعاء لان صنيعه ذلك فى قوله وفعله وعقيدته مكذب له فيما ادعاه بجعله نداله مماثلا له فى عبادته ومعاملته المختصة بجلاله فمعنى قوله تعالى أيشركون أى يعبدون بما هو مختص بجلال الله خالق جميع المخلوقات ورب كل الكائنات من نسبة عبودية أسماء المخلوقين اليه وتوكلهم فى حاجاتهم وجميع أمورهم عليه فيصلون ذلك لغيره وهو ما لا يقدر على خلق شئ وهم يخلقون أى مخلوقون وما لا يقدر على خلق شئ لا يتأله فى العبادة ولا يتخذ الها معبودا لا فى القول ولا فى الاعتقاد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك والند المثل قال الله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال تعالى وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار والداعى غير الله فيما لا يقدر عليه غيره سبحانه وتعالى جاعل لله ندا من خلقه فيما يستحقه تعالى من الالوهية المقتضية للرهبة والرغبة والاستعانة وذلك كفر باجماع الامة لان الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لذاته فانه المألوه المعبود الذى تألهه القلوب بالرغبة لديه والفزع عند الشدائد اليه وما سواه فهو مفتقر بالعبودية مقهور بها فكيف يصلح ان يكون الها مرغوبا مرهوبا مدعوا قال الله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين وقال تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وقال لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين وقال تعالى قل انى أمرت ان أعبد الله مخلصا له الدين فالله هو المستحق ان يدعى ويرجى ويعبد بكل ما أمر به لذاته قال الله الحمد لله رب العالمين فذكر الحمد بالالف واللام التى تقتضى الاستغراق لجميع المحامد فدل على ان الحمد كله لله ثم حصره فى قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو تفصيل لقوله الحمد لله رب العالمين ﴿اذا علم هذا﴾ فالمقصود من قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيأ الآية وقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير الآية اقامة الحجة على ان كل ما سوى الله لا يصلح الها معبودا لانه غير خالق لافعال نفسه ولا غيرها فلا يدعى بما لا يقدر على جلبه أو دفعه الا الله وحده ولا تنسب عبودية المخلوقين اليه ولا يرجى ولا يتوكل عليه بل لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره المشركون ولذلك قال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير الذى هو قشر النواة ولفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين ﴿أحدهما﴾ دعاء العبادة وهو دعاء الله لامتثال أمره فى قوله عز وجل وقال ربكم ادعونى أستجب لكم الآية ﴿الثانى﴾ دعاء المسئلة وهو دعاؤه سبحانه فى جلب المنفعة ودفع المضرة بقطع النظر عن الامتثال ولفظ الصلاة فى اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معناه وهو الدعاء الشامل

للعبادة والمسئلة وقد فسر قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم بوجهين ﴿أحدهما﴾ ماهو عام في الدعاء وغيره وهو العبادة وامتثال الامر له سبحانه وتعالى أستجب لكم أى أثبكم كما قال في الآية الاخرى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى يثيبهم على أحد التفسيرين ويزيدهم من فضله ﴿الثاني﴾ ماهو خاص معناه سلوني أعطكم كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له فذكر أولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما أن السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وهذا المعنى الثاني أعني الخاص هو الاظهر لوجهين ﴿أحدهما﴾ مارواه النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة وفي رواية مخ العبادة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعوني أستجب لكم الآية رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح فاستدلاله عليه الصلاة والسلام بهذه الآية على الدعاء دليل على ان المراد منها سلوني وخطاب الله لعباده المكلفين بصيغة الامر منصرف عند الاصوليين الى الوجوب مالم يقم دليل يصرفه الى الاستحباب ومفيد أيضا قصره وقصره على الله فلا يجعل لغيره حيث كان عبادة قولية أو فعلية ولهذا أمر الله الخلق بسؤاله فقال تعالى واسألوا الله من فضله وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعا اسألوا الله من فضله فانه يحب أن يسأل وفيه عن أبي هريرة مرفوعا من لا يسأل الله يغضب عليه وفيه أيضا ان الله يحب الملحين في الدعاء وفي حديث آخر ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع وفي المعنى أحاديث كثيرة صحيحة ﴿الثاني﴾ قوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وكل سائل راغب فهو عابد للمسؤل وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة أودعاء مسئلة من الرغب والرهب والخوف والطمع والرغبة الى الله والرهبة والخوف منه والطمع عنده ليس ذلك يكون لغيره فلا يصرف ماهو مستحق به الى غيره من سائر الخلق انفسه تعطيل معاملته المقتضية لالوهيته وصمديته مع عجز المدعو وضعفه وافتقاره الى خالقه فان توحيد الالهية يتضمن اخلاص ذلك كله له قال جل شأنه له دعوة الحق وقال فلا تدعوا مع الله أحدا وقال ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وقال قل لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا وقال قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز والشرك بالرجل المتقدم لاجل صلاحه وقربه وولايته أو بقبره أقرب الى النفوس وأحب اليها من الشرك بخشبة أو حجر مصور على صورته وتمثاله فمن دعا غير الله بما لا يقدر عليه الا الله أو قال ان المعطي أو المانع أو الضار أو النافع او المعز أو المذل أحد غير الله أو معه فقد أشرك في ربوبيته وعطل معاملته وعبادته المقتضية

لا الوهيته وصمدبته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك أو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فهذا يدل بعض يجمعه على انه لا نفع ولا ضر ولا قبض ولا بسط ولا خفض ولا رفع ولا حركة ولا سكون الا والله سبحانه هو فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وحافظه فلا يدعي ولا يرجي غير الله ولا يتوكل الا عليه ولا يستعان الا به كما قال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه والرجاء بفضل الله ورحمته وهذا المشهد فيه الكلمات الكونيات وهو علم معرفة صفة الربوبية في الاول وعلم معرفة صفة الالوهية في الثاني وهو كشف التكليفات فالتحقيق بالامر والنهي والمحبة والخوف والرجاء يكون عن كشف علم الالوهية والتحقيق بالتوكل والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبية وهو علم التدبير السارى في الاكوان كما قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فاذا تحقق بهذا المشهد ووفقه الله تعالى لذلك بحيث لا يحجبه مشهد الربوبية عن مشهد الالوهية فهو السعيد في العبودية فان هذين المشهدين عليهما مدار الدين فان جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال داخل في مشهد الالوهية وجميع مشاهد العظمة والكبرياء والملك والقهر والجلال داخل في مشهد الربوبية ولهذا قيل ان هذه الآية جمعت سر القرآن بل سائر الكتب الالهية كلها ترجع اليها وتدور عليها أعني اياك نعبد واياك نستعين لان أولها اقتضى عبادته بالامر والنهي والمحبة والخوف والرجاء الذي لازمه الدعاء والانابة والرغبة والرهبة والتوكل وآخرها اقتضى عبادته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك فلا يدعي بما لا يقدر عليه الا الله غيره ولا يرجي فيه الا هو ولا يستغاث الا به لانه لا حول وهي الحركة والتحول من حال الى حال ولا قوة على ذلك الحول الا بالله سواء ذلك الحول والقوة الموجود في السماء والارض والآدميين والملائكة والجن وسائر الدواب وغيرها قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين كم تعبد قال ستة في الارض وواحدا في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء الحديث رواه الامام أحمد والترمذي فهذا يوجب انقطاع تعلق القلب بغيره تعالى وان كان ملكا أو نبيا فكيف بالمشايخ الاولياء العلماء أو بالفجار الدجالين الاشقياء فان غاية الراجي لهم الداعي منهم المتوكل عليهم ان يقول مرادي يشفعون لي فقطع سبحانه مادة ذلك كله قطعا شافيا فاخبر تعالى في محكم كتابه انه ما من شفيع الا من بعد اذنه ونفى ان يشفع أحد لاحد الا باذنه وأعلن بان سائر الشفعاء لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا ولهذا اذا جاء سيد الشفعاء وأفضلهم صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ورأى ربه سجد له وحمده بمحامد يفتحها عليه ولا يبتدئ بسؤال الشفاعة حتى يقال له اي محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع والموفق اذا حقق قيام الله تبارك وتعالى على جميع الاشياء وتصرفه في جميع الكائنات وتدبيره أمور كل المخلوقات أغناه ذلك عن التعلق على سواه فاخلص له توكله ورجاءه ودعاءه والتجاءه بقصوره

ذلك على سيده ومولاه فيما أمره وأبداه فمن جلب خير ينفعه أو كشف ضر يضره وهو القائم على كل نفس
بما كسبت فأمره نافذ فيها وقضاؤه وقدره حاكم عليها وأزمة الامور كلها في يده ومرجعها اليه ومدعى
الايمان بذلك لازمه الشهادة في قوله وعقيدته بان المعطي والمانع والضار والنافع والخافض والرافع
والمعز والمذل هو الله وحده وان الامر كله له والشفاعة كلها له والدين هو له وحده مختص بجلاله فلا يتأله
بدعاء ما لا يقدر عليه الا الله غيره ولا يرجو الا هو ولا يتوكل الا عليه ولا يعتقد ان جالب الخير أو كاشف
الضر الا الله وحده فان أسدى اليه أحد من الخلق معروفا لقدرتهم عليه كان نظره أولا الى الخالق
فيشكره على ما أولاه من نعمه فانه سبحانه المعطي للمخلوق ما أسداه وحببه اليه وقواه عليه ثم لينظر الى
من أسدى اليه المعروف فيكافئه عليه ويثني عليه خيرا لقوله عليه السلام من أسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس رواه أبو داود في سننه وأخرجه الترمذي وقال
صحيح وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع اليه معروف
فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى عطاء فوجد شيأ فليكافئ به
فان لم يجد فيثني فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره رواه أبو داود وذلك لان النعم كلها من الله
سبحانه وتعالى كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وقال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فان الله
سبحانه هو المعطي على الحقيقة فانه الذي خلق الارزاق كلها وقدرها وساقها الى من يشاء من عباده
واذا حقق ذلك العامل به كان مستعينا بالله متوكلا عليه راغبا وراهبا اليه ولان في استعانة الله وحده
فائدتين ﴿الاولى﴾ ان العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في أعمال الطاعات ﴿الثانية﴾ انه لا معين له
على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وفي الحديث
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وكان صلى الله عليه
وسلم يقول في خطبته ويعلم أصحابه ان يقولوا الحمد لله نستعينه ونستهديه ومن دعاء القنوت الذي كان يدعو
به عمر وغيره اللهم انا نستعينك ونستهديك وأمر معاذ بن جبل ان لا يدع في دبر كل صلاة ان يقول اللهم
أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم رب أعني ولا تعن
علي وفي دعائه أيضا صلى الله عليه وسلم لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا اللهم أشكو اليك ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني
أو الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك
الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو يحل علي غضبك لك
العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك وكان من دعاء موسى عليه الصلاة والسلام لما ضرب البحر
فانفلق اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة الا بك واذا كان هذا الدعاء وأمثاله هو دعاء العبادة المشتمل على الاستعانة من رب العالمين
بالنص عند كل علماء المسلمين فلو صرف لغير الله من سائر الخلق لكان معبودا به والداعي عابد المدعو
ومستعين به ومتوكل عليه ولا يقال ليس هو عابدا ولا مستعينا لانه انما يناديه فقط فيصرف العبادة
والاستعانة وجود النداء كما فهمه صاحب المقدمة مطلا بعدم لزوم العبادة كل منادى وعدم تكفير

كل من نادى غيره لانا نقول علة التكفير وجود دعاء العبادة الشاملة لدعاء المسئلة التي هي حق الله وصرفه الى غيره سواء وجد النداء أولم يوجد وليس العلة وجود النداء نفسه خاليا من العبادة وبهذا يعلم ماذكره المفسر ون تحت قوله تعالى قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أى تعبدون والذين تدعون من دون الله أى تعبدون وأمثاله وذلك لان العبد محتاج الى الاستعانة بالله في كل الافعال المأمورات وفى ترك المحظورات وفى الصبر على المقدورات كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال لها أهل الافك ماقالوا فبرأها الله مما قالوا وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون ولما بشر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال الله المستعان ولما دخلوا على عثمان فضربوه جعل يقول والدماء تسيل عليه لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى أستعينك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ماابتليتني وروى أبوطلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في بعض غزواته حين لقى العدو يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال أبوطلحة ولقد رأيت الرجال تصرع أخرجه أبوالفتح الاصبهاني فالعبد محتاج في مصالح دينه ودنياه وكل مالا يقدر عليه الا الله منهما لايجوز ان يسئل من غيره فلا يعبد الا الله ولا يتوكل الا عليه ولا يستعان الا به لان ماسواه مفتقر اليه مقهور بالعبودية فكيف يصلح ان يكون معبودا قال عزمن قائل وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين ولهذا ماسأل ربيعة بن كعب الاسلمي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرافقته في الجنة وكان خادما له يأتيه بوضوئه وحاجته فقال سلني فقلت أسألك مرافقتك في الجنة فقال أوغير ذلك فقلت هو ذلك قال فاعني على نفسك بكثرة السجود رواه مسلم لم يبادر صلى الله عليه وسلم بقوله نعم افعل أجملك بل هي اشارة الى ان الامر بيد الله وان كثرة السجود باخلاص هي الوسيلة في قضاء الحاجة ونيل المسؤل والسائل لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخله الجنة وانما سأله أن يكون رفيقا له في الجنة ومعناه صحبته وعدم فراقه فيها كحالته معه في الدنيا فاجابه صلى الله عليه وسلم بقوله فاعني على نفسك بكثرة السجود تعليما له أن نفس دخول الجنة ثابت بوعد الله تعالى لمن مات لايشرك به شيأ فهو رحمة من الله وفضل ورفع الدرجات ومرافقة الصالحين الأحباب بسبب كثرة الأعمال الصالحة واخلاصها لله على ان سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم مرافقته الجنة معناه دعاء الله ان يكون كذلك كما قاله المحققون من أهل العلم واتفقوا على ان النبي صلى الله عليه وسلم لايسأل بعد موته لااستغفارا ولادعاء ولاغيرهما فان الدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع لاعلى الاهواء والابتداع ولو كان هذا من العبادات لسنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له وقوله تعالى ولوانهم اذظلموا أنفسهم جاؤك الآية فاتيانه صلى الله عليه وسلم للاستغفار مخصوص بوجوده في الدنيا ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة احتياجهم وكثرة مدلهماتهم وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله وأحرص اتباعا للملة من غيرهم بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده منهم الامام مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعي وهم من خير القرون التي قد نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لاأدرى اذكر ثنتين أوثلاثا بعد قرنه رواه البخاري في صحيحه مع أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة برزخية أقوى من حياة الشهداء ولكنه

قد انتقل من هذه الدار الى دار القرار بنص الكتاب والسنة واجماع الامة ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس كما رواه البخارى عن أنس ولم يأتوا الى قبره ولا وقفوا عنده وما ذهب اليه طائفة من متأخرى الفقهاء من استغفار الله فى حضرة القبر مستندين الى الآية وقصة الاعرابى فلا يعتد به لما تقدم عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وقولهم فى معنى الآية ومثل هذه الحكاية لا تثبت بها حكم شرعى لاسيما فى مثل هذا الامر الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأولى بالعمل من غيرهم بل لو لم يكن منكرا وهو عندهم شديد المنع عنه وعن فعله وليس الدين بالعقل انما هو بالتوقيف والنقل كيف وقد آل بهم هذا الامر الى الفتنة العظمى التى هى الشرك بالله من دعائه ورجائه والتوكل عليه صلى الله عليه وسلم ﴿وأما حق المسلمين﴾ بعضهم على بعض مما يقدرون عليه والعادة جارية فيه بينهم فمنه توادهم وتعاطفهم وتراحمهم والنصح لهم والتيسير على معسرهم ومعاونة أخرقهم وفى الصحيحين عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفى رواية لمسلم المؤمنون كرجل واحد اذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفى رواية له أيضا المسلمون كرجل واحد اذا اشتكى عينه اشتكى كله واذا اشتكى رأسه اشتكى كله وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وفيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان فى عون أخيه الحديث وفى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وخرج الطبرانى من حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كربه نفس الله عنه كربة يوم القيامة ومن ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته وخرج الامام أحمد من حديث مسلمة عن مخلد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من ستر مؤمنا فى الدنيا ستره الله فى الدنيا والآخرة ومن نجى مكروبا فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته وقوله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة هذا يرجع الى أن الجزاء من جنس العمل وقد تكاثرت النصوص من هذا المعنى كقوله صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده الرحماء وقوله ان الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا والكربة هى الشدة العظيمة التى توقع صاحبها فى الكرب وتنفيسها أن يخفف عنه منها مأخوذ من تنفيس الخناق كأنه يرخى له الخناق حتى يأخذ نفسا والتفريج أعظم من ذلك وهو أن يزيل عنه الكربة فتنفرج عنه كربته ويزول همه وغمه فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما وقد جمع بينهما فى حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت

الباطل متفق عليه والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ولا تنكر ثبوت حق المسلمين بعضهم على بعض ولا منافاة بعضهم بعضا فيما يقدر عليه الخلق من سائر امورهم الجارية بينهم وانما قولنا وارادتنا في عبادة الله وحده التي ليس لخلقه منها شئ البتة وذلك يوجب الاعتماد على الله في القول والاعتقاد الشامل جميع الأحوال ولهذا يذكر الله الاسباب وينهى عن الاعتماد عليها ويامر بان لا يرجى الا الله وحده كما قال تعالى لما أنزل الملائكة وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقد قدمنا ان الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة وكلاهما لا يصلح الا لله فمن جعل مع الله الها آخر قعد مذموما مخذولا والراجي سائل طالب فلا يصلح ان يرجو الا الله ولا يسأل غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك والمشرف الذي يستشرف بقلبه والسائل الذي يسأل بلسانه وفي الحديث الذي في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال أصابتنا فاقة فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول أيها الناس والله مهما يكن عندنا من خير فلن ندخره عنكم وانه من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا أو أوسع من الصبر والاستغناء أن لا يرجو بقلبه أحدا فيستشرف اليه ولهذا كان الغنى غنى القلب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ولهذا قيل

اذا رزقت من الدنيا قناعة * فأنت ومالكها سواء

والاستعفاف أن لا يسأل بلسانه أحدا ولهذا لما سئل الامام أحمد بن حنبل عن التوكل فقال قطع الاستشراف الى الخلق أي لا يكون في قلبك ان أحدا يأتيك بشئ فقيل له فما الحجة في ذلك فقال قول الخليل لما قال له جبريل هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا فهذا وما أشبهه مما يبين ان العبد في طلب ما ينفعه ودفع ما يضره لا يوجه قلبه الا الى الله ولهذا قال المكروب لا اله الا أنت ومثل هذا ما في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم فان هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد ومسئلة العبد ربه وتعلق رجائه به وحده لا شريك له وهي لفظ خبر يتضمن الطلب والناس وان كانوا يقولون بألسنتهم لا اله الا الله فقول العبد مخلصا من قلبه له حقيقة أخرى وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله فيتيقن محقق التوحيد العامل بالطاعة انه لا نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع الا من الله وحده فان سأل مخلوقا شيئا يقدر عليه الخلق من أمورهم الجارية بينهم فحصل له ما سأله أو منع منه كان نظره الى الخالق في انه سبحانه المعطي لهذا المسؤل ما أسداه وحببه اليه وقواه عليه أولم يقدره منه شيئا بل كره دفعه اليه فمنعه عنه وان يكن الدفع واجبا فمنعه المسؤل قادرا عليه عوقب شرعا مع بقائه مكلفا مختارا لعموم خطاب الشرع له ومع جواز سؤال الخلق بعضهم بعضا مما يقدرون عليه من أمورهم الدنيوية فسؤال الله دون خلقه مطلقا هو المتعين عقلا وشرعا وذلك من وجوه متعددة (منها) أن السؤال فيه بذل لماء الوجه وذلة للسائل وذلك لا يصلح الا لله وحده وهذا هو حقيقة العبادة التي تختص بالاله الخالق كلهم ولهذا كان الامام أحمد يقول في دعائه اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسئلة لغيرك وفي هذا المعنى يقول بعضهم

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * بدلا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

ولهذا المعنى كان عقوبة من أكثر المسئلة بغير حاجة ان يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم كما ثبت ذلك في الصحيحين لانه أذهب عز وجهه وصيانته وماءه في الدنيا فأذهب الله من وجهه في الآخرة جماله وبهاءه المعنوي فلا يبقى له عند الله وجاهة وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة أن لا يسألوا الناس شيأ منهم الصديق وأبوذر وثوبان وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحدا أن يناوله رضي الله عنهم * ومنها * ان سؤال الله عبودية عظيمة لانها اظهار للافتقار اليه واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج وفي سؤال المخلوق ظلم لان المخلوق عاجز عن جلب الخير لنفسه ودفع الضر عنها فكيف يقدر على ذلك لغيره وسؤاله اقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر ويشهد لهذا المعنى الحديث الذي في صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ياعبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر وفي الترمذي وغيره زيادة في هذا الحديث وذلك باني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام اذا أردت شيأ فانما أقول له كن فيكون فكيف يسأل الفقير العاجز ويترك الغني القادر ان هذا لاعجب العجب * ومنها أن الله * يحب أن يسأل ويغضب على من لا يسأله فانه يريد من عباده أن يرغبوا اليه ويسألوه ويدعوه ويفتقروا اليه ويحب الملحين في الدعاء * ومنها * ان الله يستدعي من عباده سؤاله وينادي كل ليلة هل من سائل فأعطيه سؤله هل من داع فاستجيب له وقد قال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فاي وقت دعاه العبد وجده سامعا قريبا مجيبا ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب * وأما قوله وكم وقوله من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره فنقول ان أراد بالاستغاثة التي جعل مرتكبها كافرا الاستغاثة به على اعتقاد أن غيره تعالى قادر بقدرة مؤثرة على جلب نفع له أو دفع مضرة عنه ولا شبهة في كفر من يعتقد ذلك وان أراد مطلق الاستغاثة يكون المرتكب به مشركا فغير مسلم اذ لا شك في ان للعبد قدرة كاسبة وما يفعل من فعل فهو بتأثير الله وكسب من العبد وحال دعاء غيره تعالى قد علم مما تقدم آنفا والآية المذكورة في معرض الاستدلال لا تصلح له دليلا * فنقول هذا مما يؤيد ما قلناه من ان صاحب المقدمة انما يقول من عند ياته وانه لم يعلم معاني كلام الله وآياته وسنة الرسول وأصحابه وما قاله أهل اللغة في معنى الاستغاثة من انها طلب الغوث من الغير قال أهل اللغة المستغاث به هو المطلوب منه الغوث والمستغيث هو الذي يطلب الاغاثة من غيره وكذلك ما ذكره النحاة كلهم في باب الاستغاثة وما نقلوه عن العرب من الفرق بين المستغاث به والمستغاث من أجله كقولهم يالله للمسلمين بفتح لام المستغاث به وخفض لام المستغاث من أجله ومنه قول المهاجري يالله اجرين وقول الانصاري يالأنصار واستغاث هذا بالمهاجرين وهذا بالانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم فالمستغاث به عندهم هو الذي يدعى ويسئل ويطلب منه الغوث والمنادي هو داعي المنادى لكن فرقوا بين دعاء المستغاث به وغيره كما فرقوا بين دعاء المندبة وغيره كقوله ياحسرتا على مافرطت وقولهم يا أبتاه ياعمراه ونحو ذلك مما يلحقون في آخره ألفا لاجل مد الصوت اذ النادب الحزين يمد صوته وهو يندب

ماقدفات فيمد الصوت في آخر دعائه كقوله يا أسداه يا ركناه يا أبتاه حتى قالوا يا أمير المؤمنيناه يا عبد الملكاه اذ نداء الندبة يقوله الانسان عند حدوث أمر عظيم و يقوله للتعجب كقول سارة حين بشرت يا ويحتى يا ويلتى بخلاف المستغيث فانه يدعو المستغاث به كما يدعو غيره فيقول يا زيد كقوله يا زيد لكن دل بهذه الصيغة انه يطلب منه الاعانة على ما يهمه من أموره مطلقا بخلاف النداء المجرد فانه لا يدل على ذلك فالمستغيث بالشئ داعيه مع زيادة طلب الاغاثة ومن المعلوم بالاضطرار من لغة العرب وهو موجود في جميع الكتب المتداولة التى يذكر فيها مثل هذا في كتب اللغة والنحو والتفسير ودواوين العرب وغيرذلك أن المستغيث بالشئ هو الذى يطلب منه الغوث وهم يقولون استغثته واستغثت به كما يقولون استعنته واستعنت به ودعوته ودعوت به و بين المعنيين فرق لطيف وهو انهم اذا عدوه بنفسه لاحظوا انه فاعل الغوث بنفسه واذا عدوه بالباء لاحظوا انه معين على ذلك فكأنه اذا قال استغثت فلانا قال طلبت منه ان يغيثنى واذا قال استغثت به تضمن معنى استغثته واستغثت به على ان يغيثنى فالباء فيه متضمنة معنى كتبت بالقلم فالاستغاثة عامة في المعنى الاستعانة وزيادة هذا هو معناها في القرآن في قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم أى تستجيرون به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر عليه وكذلك السنة في قوله صلى الله عليه وسلم والله لا يأخذ أحدكم شيأ بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم القيامة فيأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك شيأ قد بلغت ويأتى ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغت رواه البخارى فالمستغاث به مسؤول مطلوب ومن المعلوم ضرورة ان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع فيه للامة ان تدعو أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا غيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرها كما انه لم يشرع لها السجود لغيره تعالى بل نهى عن ذلك كله واخبر انه من الشرك المنافى لما جاء به لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة جعل ذلك مما لا بأس به ولهذا عمت دعوة الاموات والاستغاثة بهم عند نزول الكربات يسألونهم و يستجيرون بهم و يتضرعون اليهم فكان ما يعملونه بالاموات أعظم من عبادتهم واعتقادهم في رب الارض والسموات لانهم انما يقصدونهم في ضرورة نزلت بهم فيدعونهم دعاء المضطرين ولقضاء حاجاتهم منهم أو بهم راجين بخلاف عبادتهم لله ودعائهم اياه فانما يفعلونه على وجه العادة واشتراط صاحب المقدمة اعتقاد قدرة مؤثرة على جلب نفع له أو دفع مضرة عنه دال على عدم معرفته أقسام الشرك الموجب للكفر الاعتقادى وخلود أهله في النار فان ذلك المشروط انما هو شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وانه لم يكن معدوما أصلا بل لم يزل ولا يزال والموجد للحوادث أسباب أثرت فيها واقتضت ايجادها هى بنفسها أو شرك القدرية القائلين بان الحيوان توجد منه قدرة على خلق أفعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله تعالى أو شرك الجهمية والقرامطة الذين لم يبقوا لله اسما ولا صفة ولا قدرة تامة بل جعلوا المخلوق له قدرة مؤثرة واما تعطيل معاملته تعالى عما أوجب على عبده والشرك فيها فليس عنده من ذلك تمييز ولا معرفة والحاجب له عن ذلك شهود القيومية التى يشترك فيها وفي معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر والآثم وذو الالوهية التى دعت اليه الرسل حيث أمروا بعبادة الله وحده وطاعته فان العبد اذا فنيت عين بصيرته له فرق بينه و بين قسميه الاول فعمل ما أمر به وترك ما نهى عنه وعلم حكم المأمور به فعلا وتركا كفرا أو معصية والمنهى عنه كذلك ووالى أولياء الله وعادى أعداءه وصار

على ملة ابراهيم ودين محمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يقل بالفرق بين القسمين كان خارجا عن حقيقة
الايمان كما أنه خارج عن شريعة الاسلام فليس معه حقيقة ايمانية ولا شريعة اسلامية وانما معه حقيقة
خلقية قد أقر بها عباد الاصنام الذين هم مشركون وذلك ان شهود القيومية لا جمع بينه وبين شهود
الالوهية ممتنع طبعا وشرعا اذ لا يغني أحدهما عن الآخر فمن لم يشهد الفرق الشرعي الالهي كان مع الفرق
الطبيعي النفساني أو فرق شيطاني ومن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين الى قوله فبئس القرين وذكر الرحمن يراد به الذكر الذي أنزله الله كما قال تعالى
فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى الى قوله وكذلك اليوم تنسى فمن أعرض
عن هدى الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه فلم يفرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه كان معرضا عن
ذكره المنزل فيقيض له شيطانا يصده عن سبيل الله فيقول ويعمل بمجرد هواه ومن أضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله ولو كان مثل هذا ذاكر الله ولم يشهد الا القيومية العامة لم يشهد ما جاء به الكتاب
المنزل بل يكون من أعظم أتباع الشياطين الخارجين من الدين كما تخرج الشعرة من العجين ومع
كون العبد له قدرة وقوة كسبية لا يخرج من مشيئة رب البرية فلا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا
يستعان به ولا يتوكل عليه فيه ولا يطلب من الغائب أو الميت ما يطلب من الحي الحاضر فليس في
المخلوقات شئ ينفع ويضر استقلالا اذ ليس فيها ما يستقل باحداث غيره ونفعه ولا يفعل شيأ الا باذن
الله كما ليس فيها من يعطي ويمنع بهذا الاعتبار وكان من أسمائه تعالى المعطي المانع الضار النافع
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول في رقيته اذهب البأس رب الناس لا شفاء الا شفاؤك وفي رواية
لا شافي الا أنت شفاء لا يغادر سقما وكذلك النفع والضر المعتاد كالصحة والمرض والغنى والفقر والامن
والخوف واليسر والعسر الحقيقيين لا يفعله رسول ولا غيره وهذا ليس يخفى على عموم المؤمنين فضلا
عن علمائهم وان وقع في كثير من ذلك ما وقع من العامة ونحوهم ممن ينتسب الى الزهد والصلاح فهؤلاء
وأمثالهم حقهم ان يرجعوا الى العلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتكون عباداتهم
وأعمالهم مقيدة بالشريعة النبوية والعلم الموروث لا بما يخطر لهم من الآراء والاهواء قال سبحانه وتعالى
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وفي الصحيحين من حديث عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا
فهو رد وقال عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وقد اتفق
المسلمون على انه ليس لاحد ان يعبد الله بما أحبه ورآه بل لا يعبده الا بما كان عبادة عند الله وهي
العبادة الشرعية ودين الاسلام مبني على أصلين ﴿أحدهما﴾ أن لا نعبد الا الله ﴿والثاني﴾ أن نعبده
بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه
وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا
كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على
السنة ولهذا قال الامام أحمد ان أصول الاسلام تدور على ثلاثة أحاديث حديث الحلال بين والحرام
بين الحديث وحديث انما الاعمال بالنيات الحديث وحديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد
وذلك أن الدين فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه فالمنهي عنه ذكره في حديث الحلال بين والحرام

بين والمأمور به أمران عمل باطن وهو اخلاص الدين لله وعمل ظاهر وهو ماشرع لنا من واجب ومستحب وأهل الضلال كالمشركين والنصارى يفارقون هذين الاصلين يعبدون غير الله و يبتدعون عبادة لم يأذن بها الله كما ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام والاعراف وبراءة وغيرهن من السور وقد أمرنا الله أن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهم مبتدعون والمشركون يذهبون الى ماذهب اليه الضالون ابتداعا يشرعون دينا لم يأذن به الله فهم يدعون غير الله و يستغيثونه بما لا يقدر عليه الا الخالق فلا يكون عملهم لله خالصا ولا للشريعة موافقا وبذلك كانوا ضالين فان قيل يجوز أن يكون لفظ الاستغاثة بغير الله بمعنى التوسل فمعنى قول المستغيث أستغيث برسول الله و بفلان الولي أي أتوسل برسول الله أو بالولي و يصح حينئذ أن يقال يجوز الاستغاثة في كل ما يطلب من الله بالانبياء والصالحين بمعنى انه يجوز التوسل بهم في ذلك و يصح لفظا ومعنى * الجواب ان هذا باطل من وجوه أحدها أن لفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب انما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به فقول القائل استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الاغاثة لا بمعنى توسلت به وقد اتفق من يعتد به من أهل العلم على ان الاستغاثة لا تجوز بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله وقول القائل استغثت به بمعنى توسلت بجاهه هذا كلام لم ينطق به أحد من الامم لا حقيقة ولا مجازا ولم يقل أحد مثل هذا ولا معناه لا مسلم ولا كافر والقائل أستغيث بفلان عندك ان تفعل بي كذا وكذا ناطق بما لم ينطق به أحد في اللغة بل ولا من سائر الامم الثاني انه لا يقال استغثت اليك يافلان بفلان ان تفعل بي كذا وانما يقال استغثت بفلان ان يفعل بي كذا فاهل اللغة يجعلون فاعل المطلوب هو المستغاث به نفسه ولا يجعلون المستغاث به واحدا والمطلوب آخر فالاستغاثة طلب منه لا به وقولهم يالله للمسلمين أحدهما مطلوب والآخر مطلوب له لا مطلوب به الثالث ان من سأل بشئ أو توسل به لا يكون مخاطبا له ولا مستغيثا به لان قول السائل المتوسل أتوسل اليك بالحي بفلان انما هو خطاب لله لا لذلك المتوسل به بخلاف المستغاث به فانه مخاطب مسؤل منه الغوث فيما سأل من الله فحصلت المشاركة في سؤال ما لا يقدر عليه الا الله وكل دعاء شرعي لابد أن يكون الله هو المدعو فيه كالادعية التي جاء بها الكتاب والسنة مما قص الله عن عباده الصالحين من أهل السموات والارضين ومما شرعه لعباده المؤمنين ومما أخبر به عن خلقه واحتج به عليهم في ان لا يعبدوا غيره كما قال تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وقال ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه من الكرب العظيم وقال عن ابراهيم رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وقال رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين الآية الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فالاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والصالحين وغيرهم في كل ما يستغاث الله فيه على معنى انه وسيلة من وسائل الله قول لم يقل به أحد من علماء المسلمين ولا من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم ولا أئمة الفتيا المعتد بهم ولا علماء الحديث والتفسير بل قائل هذا القول مفتر على الله ملبس على المسلمين ولا يخرج مدلول قائل ذلك في اللغة المعروفة عن أن يكون كفرا اذ معناه طلب الاغاثة والتخليص من جنس الكربة والشدة سواء كان طلب ذلك من الخالق أو المخلوق واذا كان كذلك فهذا القول يقتضي انه يطلب من المخلوق الحي أو الميت ازالة

الامراض والاسقام وكشف الجدب والقحط بانزال المطر واسقام الاثام وكشف كل شدة وتفريج كل غمة والنصر على الاعداء في الدين وازالة الكفار والمشركين وذلك هو الكفر برب العالمين والمضاهاة للنصارى والمشركين مع اعتقاد هذا المستغيث السائل ان لمن استغاثه وسأله من المخلوقين قدرة كاسبة وان سائر فعله كائن بتأثير الله وكسب من العبد ولكنه سأله ما استغاث فيه ملاحظا وجرد المسؤل اما نفس المخلوق المستغاث أو على معنى ان جاهه قادر على تحصيل ما طلب منه استقلالا ولا يخرج مدلول استغاثته عن أن يكون مسؤلا اما هو بنفسه ما طلب منه مما لا يقدر عليه الا الله زيادة على اعتقاده قدرة الجاه على ايجاد المطلوب وتحصيله الرابع ان لفظ التوسل والتوجه ومعناهما يراد به أن يتوسل الى الله ويتوجه اليه بدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم عند خالقهم في حال دعائهم اياه فهذا هو الذي جاء في ألفاظ السلف من الصحابة رضوان الله عليهم كما في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فهذا اخبار عن عمر رضي الله عنه عما كانوا يفعلون وتوسل منهم بدعاء العباس كما كانوا يفعلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما استسقى بأهل الشام توسل بدعاء يزيد بن الاسود الجرشي وهذا هو الذي عناه الفقهاء في كتاب الاستسقاء في قولهم يستحب ان يستسقى بالصالحين واذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل وكذلك الأعمى الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال ان شئت دعوت لك وان شئت صبرت فهو خير لك قال ادع لي فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك سيدنا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفعه في وقد طلب من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء ليشفعه الله بدعائه صلى الله عليه وسلم كما طلب الصحابة من النبي الاستسقاء فدعا الله له وأمره صلى الله عليه وسلم ان يسأل الله قبول شفاعته فيه وقوله يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى خطاب لحاضر معاين في قلبه كقولنا في صلاتنا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وكاستحضار الانسان محبه أو مبغضه في قلبه فيخاطبه بما يهواه بلسانه وهذا كثير في لسان الخاصة دون العامة ومعناه أتوجه اليك بدعاء نبيك أو شفاعته المشتملة على الدعاء لي ولهذا قال في تمام الحديث اللهم شفعه في وهذا متفق على جوازه وقد مضت السنة ان الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه سواء كان بلفظ الاستغاثة أم بغيرها ومنه ما قص الله عن الاسرائيلي المستغيث بموسى على القبطي في قوله تعالى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى أو كاستشفاع الامة من أهل الموقف بالانبياء والطواف عليهم يسألونهم أن يشفعوا الى الله من أهل الموقف عامة وأما المخلوق الغائب أو الميت فلا يستغاث ولا يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله البتة ﴿الخامس﴾ أن التوسل فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه في لغة الصحابة والتابعين طلب الدعاء من النبي أو الصالح أو التوجه بدعائه كما تقدم عنهم ودعاؤه صلى الله عليه وسلم من أعظم الوسائل عند الله وأما معناه في لغة هؤلاء المعاندين فهو أن يسأل الله عز وجل بذات ذلك المخلوق ويقسم عليه تعالى به أو يسأل ذلك المخلوق نفسه على معنى انه وسيلة من وسائل الله يتقرب بذاته ويسأل منه شفاعته والله تعالى واحد لا شريك له في عبادته ولا في معاملته بل هو أحد صمد متعال عن الانداد والاضداد ولا يقسم عليه تعالى بشيء من مخلوقاته فلا

يقال أقسمت عليك يارب بنبيك أو بجاهه ولا بملائكتك ولا بسماعك الصالحين ولا بكعبتك كما لا يجوز القسم بهذه الاشياء ومجرد ذوات الانبياء والصالحين ومحبة الله لهم وحصول الجاه لهم عنده ليس بها ما يوجب حصول مقصود السائل بلا سبب بينه وبينهم من محبتهم وطاعتهم واتباعهم فيما جاءت الرسل به فيثاب على ذلك ويكون محبا لله طائعا أمره راضيا عنه فيستجيب له ويزيده من فضله ويقبل دعاءهم له وشفاعتهم فيه كما قال جل شأنه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعلامة محبة الله اتباع الرسول في كل ما جاء به قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فامامجرد سؤالهم وبجاههم من غير اتباع لما جاء به الرسول فلا ينفعه وان عظم جاه المسؤل به عند الله ولا ينال نصيبا من شفاعته لوجود المنافى الذى هو عدم الاتباع فيما جاء به الرسول من التوحيد لانه كل العبيد ومع عدم المنافى ووجود التوحيد فلا نقول ان سؤال الله بأحد من خلقه كفر بل مكروه كراهة تحريم على الاصح كما قال به جمهور العلماء لما فيه من الاقسام على الله بخلقه وهو تعالى لا يقسم عليه بشئ من المخلوقات ولكن كثير من الناس تعود ذلك كما تعود الحلف بهم حتى يقول أحدهم وحقك على الله او وحق هذه الشيبة على الله والله انما يقسم عليه باسمائه وصفاته كما قال جل شأنه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكالاحاديث الواردة فى السنن عن بريدة بن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى اسألك بأنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سألت بالاسم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب أخرجه أبو داود وغيره وأخرجه أبو حاتم فى صحيحه ولفظه عن بريده أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فاذا رجل يصلى ويدعو اللهم انى اسألك بانى أشهد أن لا اله الا أنت الاحد الصمد وذكر الحديث بتمامه وفى السنن عن أنس أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فى حلقة ورجل قائم يصلى فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال فى دعائه اللهم انى أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون بما دعا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال والذى نفسى بيده لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى رواه أبو داود وغيره ورواه أبو حاتم فى صحيحه واللفظ له عن أنس ومن قال أسألك باءيمانى بك وبرسولك ومحبتى له ونحو ذلك فقد أحسن قال تعالى فى دعاء المؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا الآية وقال تعالى الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقال تعالى عن الحواريين ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول اللهم انك أمرتنى فاطعتك ودعوتنى فاجبتك فاغفر لى ومن هذا الباب حديث الثلاثة الذين أصابهم المطر فآووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة ثم دعوا الله باعمالهم ففرج عنهم الحديث فى الصحيحين عن ابن عمر وأما توسل السائل فى قوله اللهم انى أسألك بمعاقد العز من عرشك ففيه قولان للعلماء قال الشيخ أبو الحسن القدورى فى كتابه المسمى بشرح الكرخى المعروف والمشهور وعنه وقد عقد فيه فصلا فى باب الكراهة ونقل فيه عن بشر بن الوليد أنه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينبغى لأحد أن يدعو الله الا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك وهو قول أبى يوسف فانه قال بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال

القدوري المسئلة بخلقه تعالى لا يجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق فلا تجوز وكذا قاله البلدجي في شرح المختار أيضا وأما حديث أبي سعيد أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فقد رواه عطية العوفي وفيه وهن ومع تقدير ثبوته انما هو سؤال الله تعالى بفعاله لان حق السائلين ان يجيبهم وحق المطيعين ان يثيبهم كقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ بن جبل حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم أو هو سؤاله باعمالهم لان المشي الى الطاعة وسؤاله امتثالا لأمره عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقد أجمع العلماء انها القربة ولا قربة أعظم من عمل الطاعة والله أعلم ﴿ وأما قولكم وقوله من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا فنقول لا شبهة في ان مرتكبه عاص بقصده آثم لكن لا يكون بهذا مشركا وما ذكره في معرض الاستدلال على مدعاه من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها ومن الحديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ان أعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش الحديث لا دلالة فيه على ما ادعاه نعم فيه دلالة على قبح حاله ولا شك انه آثم عاص فيما ارتكبه من هذا القصد لا يقال هو كبيرة مرتكبها كافر لانا نقول هذا مذهب الخوارج المارقين من الدين كما تقدم ﴾ فنقول أيضا مما يوضح ما قلناه من ان صاحب المقدمة لم يعرف الشرك وأقسامه ولم يتأمل ماذا يقول في كلامه اذ قد نفى الشرك عمن عمل عملا لا يبتغي به ثواب الآخرة مريدا به غير وجه الله وعمن فرغ قلبه ولسانه للدنيا وما حوته من زينتها وأمتعتها مقبلا بكليته عليها ومعرضا عن الله ورحمته وما يوصل اليها زاعما صاحب المقدمة ان ذلك لا يسمى الا معصية مجردة عن الشرك فلا هو سببها ولا مسماه في هذا الباب براد فهاشم انه لم يفهم معنى الآية والحديث وما قاله أهل العلم في القديم والحديث من المفسرين وشراح الحديث فلذلك تجلى له وهمه وخاطبه كما ظنه انه ليس قصدنا من الترجمة وذكر الآية والحديث الا الشرك الأكبر والكفر المخلد في النار الموجب لأنواع الشر فصدق ما قاله علينا ظنه واخطأ المعنى فهمه وذلك ان قوله سبحانه وتعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله قاله المفسر ون منهم أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه معالم التنزيل وروى فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء وحكاه البكري تلخيصا من السنة في معنى الآية ان المرائي لا ثواب له في عمله وانما يعجل له حظه في الدنيا من صحة وسعة لا ينقص منه شيأ وهذا مع مشيئة الله وارادته كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية ثم ان كان المرائي مسلما ففعله ذلك ذنب كبير يؤاخذ به الا ان يرحمه الله وان كان كافرا عجل له ما سبق ويقطع له بالخزي في الآخرة وقال العوفي عن ابن عباس ان أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك انهم لا يظلمون نقيرا فمن عمل صالحا من صوم أو صلاة أو تهجد في الليل لا يعمله الا التماس الدنيا يقول الله وفيه الذي التمسه من الدنيا واحبط عمله في الآخرة وهو من الخاسرين وروى ذلك عن مجاهد وغيره قالوا ان هذه الآية نزلت في أهل الرياء وقال ابن عباس في رواية

عطاء من كان يريد عاجل الدنيا فلا يؤمن بالبعث والثواب والعقاب وقال أنس والحسن
نزلت في اليهود والنصارى وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله في الدنيا بحسناته ثم
يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها هذا في الكافر وأما المؤمن فارادته الآخرة غالبة فيجزى
في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة وذلك قوله نوف اليهم أعمالهم فيها وفي حديث أنس المرفوع
الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى
بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها
خيرا انتهى فاذا عمل المؤمن عملا يبتغي به غير الله فاما ان يعمله ملتمسا به منه تحصيل أمر من أمور الدنيا
كصحة وعافية وكالذي يعبد الله ليكثر ماله وولده أو يكرمه في الدنيا أو يسلمه من آفاتها لا امتثالا لامره
تعالى واجلالا لعظمته وقياما بحق عبوديته لان العمل لذلك من أعلى درجات الاخلاص واما أن يعمله
ملتمسا به اكتساب محمدة عند الناس أو محبة ومدح منهم فيظهر في عمله التصنع لهم فالأول داخل
في عموم قول ابن عباس في رواية العوفي عنه ان معنى الآية فيمن عمل صالحا لا يعمله الا لالتماس الدنيا يقول
الله فيه أوفيه الذي التمسه من الدنيا وأحبط عمله في الآخرة وهو من الخاسرين فلا ثواب له في عمله ذلك
﴿فان قيل﴾ باقي الآية وهو قوله أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
وباطل ما كانوا يعملون دال بصريحه على ان المقصود منها الكفار المنكرون للبعث وأشباههم أو اليهود
والنصارى كما هو قول ابن عباس في رواية عطاء ان من كان يريد عاجل الدنيا فلا يؤمن بالبعث
والثواب والعقاب وقول أنس والحسن انها نزلت في اليهود والنصارى ﴿الجواب﴾ ان منكري
البعث واليهود والنصارى وسائر أنواع الكفار لا يخرجون عن مضمون معنى الآية وغيرها من سائر
القرآن ان من رغب عن الله وما عنده من الجزاء لأوليائه المؤمنين وعصى رسله واتبع هواه مريدا
للدنيا وزينتها ومؤثرها على اتباع أوامره تعالى واجتناب مناهيه رائيا في عمله أولم يراء انه ليس له في
الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها أي ذهب ما عملوا في الدنيا من حسنة لانهم وقت البعثة والجزاء لم
يروا لها ثوابا وباطل ما كانوا يعملون أي ماحق مضمحل وعبر أولا بالحبوط باعتبار وقت حصول المأمول
وثانيا بالبطلان باعتبار وقت العمل وهي في المؤمن العامل لارادة الحياة الدنيا وزينتها زجر وتهديد
لحبوط ثواب ما عمله وخسرانه في الآخرة واستحقاقه دخول النار بذلك الا ان يرحمه الله ويغفر له والاشارة
ترجع اليه بهذا المعنى ولهذا قال ابن عباس في الرواية الأخرى عنه وغيره ان هذه الآية فيمن عمل
صالحا من صلاة وصوم ونحوهما الا لالتماس شيء من الدنيا والا فقد تواترت الأخبار الصحيحة والنقول
الصريحة من كلام الله وسنة رسوله ان المؤمن العاصي لا يخلد في النار وأكثر الصحابة وأهل العلم من
المفسرين وغيرهم على ان هذه الآية نازلة في المرائي بعمله والثاني أعني من يعمل ملتمسا بعمله
اكتساب محمدة عند الناس ونحوها فهو أكبر من الأول لان العبادات هنا باطلة من أصلها مع بطلان
ثوابها فان كانت فرضا لا تصح منه ولا تجزئه مع مقارنة الرياء أول العبادة وفعلها لأجله وهذا هو
الذي ذكره مجاهد وغيره ان الآية نزلت فيه ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة حديث الثلاثة الذين
أول من تسعر بهم النار وهم الذي تعلم العلم ليقال عالم وتصدق ليقال جواد وجاهد ليقال شجاع بكى
معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية فالعمل لغير الله شرك سواء كان لارادة الدنيا هي بنفسها أو للسلامة
من آفاتها لا لامتثال الأمر والقيام بحق العبودية أو لالتماس محمدة أو محبة ومدح من أهلها وقد عقدت

الترجمة لذلك مقصودا بها الشرك الأصغر وصريح كلام صاحب المقدمة بأن الشرك عن هذا العمل
زاعما أنا نكفر به لأنه كبيرة والخوارج يكفرون بها وقد نسبنا إليهم وإلى مذهبهم وما هذا إلا جراءة
وبهتان وقول زور وطغيان لأنا نقول لا شك أنه شرك أصغر وهو كبيرة لورود الوعيد والعقوبة على
فاعله بنص التنزيل والأحاديث الصحيحة المتواترة المشهورة والمصونة عن الأباطيل لكن فاعل الكبائر
إذا مات موحدا لا يخلد في النار ولا يكفر صاحبها بمجرد فعلها قال سبحانه وتعالى إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولحديث عبادة بن الصامت المتقدم ذكره وحديث
أبي ذر وغيره المتفق عليه ولأن الشرك الأصغر دون الأكبر فيدخل تحت المشيئة والآية واردة في
الشرك الأكبر بخصوصه على أن طائفة من العلماء مشوا في الآية على ظاهرها العموم فقالوا
إن الشرك الأصغر لا يغفر إلا بالتوبة منه وإلا فلا بد من تطهير فاعله في النار ثم يخرج منها كبقية
أهل [illegible] لأن الآية نص في عدم غفران الشرك من حيث هو لكن الأكبر أهله مخلدون
[illegible] السنة والأصغر أهله مسلمون بنصها غير محكوم على صاحبه بالكفر
[illegible] به في عدم غفرانه فارق بينه وبين سائر المعاصي التي هي دونه قابلة للغفران والجواب
[illegible] ما تقدم من أنه داخل في الدون فهو تحت المشيئة ويصدر من خواص الأمة ولا قائل
[illegible] وب العذاب والحكم به عليهم إذ لا يسلم منه غالبا إلا من عصمه الله وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين ولأن الغفران اضمحلال الذنب ومحوه وهو عدم وجوده وبقاؤه موجب العذاب
ما بقي وذلك مخالف للقاعدة في أن أهل الكبائر لا يخلدون لأن خروجهم بعد دخولها بالذنب
لأمرين ﴿الأول﴾ منهما أن الذنب الذي استحق به دخول النار قابل للمغفرة وإن لم يوجد الدخول
﴿الثاني﴾ وجود الإيمان الذي ماتوا عليه بخلاف الذنب الذي لا يغفر فإنه يقتضي العذاب دائما أبدا
ولا يضمحل بعذاب مرتكبه لأنه غير قابل للمغفرة قبل العذاب وكل ما لا يقبل المغفرة قبل العذاب
لا يضمحل بوجوده ألا ترى إلى عذاب الكفار قال سبحانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب وليس هنا ذنب غير قابل المغفرة إلا الشرك الأكبر فإنه لا يغفر بل يعذب أهله
العذاب الأكبر فتعين أن يكون الشرك الأصغر ذنبا كبقية الذنوب التي تقبل الغفران من علام
الغيوب ومن الدليل أيضا على أن المريد بعمله غير الله يكون مشركا قوله سبحانه وتعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ولما في المتفق عليه من حديث
جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به وفي
المتفق عليه أيضا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما الأعمال بالنيات ولمسلم من حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار وله
أيضا من حديثه مرفوعا قال الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته
وشركه وله أيضا من حديث أبي سعيد مرفوعا ألا أخبركم بما هو أخوف عندي عليكم من المسيح
الدجال قالوا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيحسن صلاته لما يرى من
نظر الرجل إليه وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود مرفوعا من حسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها
حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من
حديث أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع

الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى منادمن كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه
من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك وأخرج البزار باسناد لا بأس به عن أنس مرفوعا
تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل في صحف مختمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا
فتقول الملائكة يارب والله مارأينا منه الاخيرا فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا أقبل من العمل
الا ما أريد به وجهي ﴿اذا علم ذلك﴾ فالمشركون في هذا الباب يتفاضلون فيه تفاضلا عظيما
كتفاضل المؤمنين في حقيقة الاعمال وتفاضلهم فيه بحسب مقاصدهم ولهذا كان الشرك في هذه
الأمة أخفى من دبيب النمل والقيام بحق العبودية انما يتم بانقطاع القلب الى الله وتعلقه به وكلما التفت
العبد الى غيره وأعرض عنه كان فيه من العبودية لذلك الغير بحسب تعلقه به وانقطاعه اليه ففي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ... القطيفة
تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان أعطى رضي وان لم يـ ... ـاه
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة
بصيغته وخبر بمعناه والانتقاش اخراج الشوكة مما هي فيه وهذه حال من عبد المال وا...
فرغب فيها ومال اليها واعرض عن الله لم يفلح واذا أصابه شر لم يخرج منه لكونه تعس وا...
هلك وخاب فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وقد وصف ذلك بأنه اذا أعطى رضي واذا...
سخط كما قال تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون لغير الله فرضاهم وسخطهم لغير الله وهذا حال عبد ما يهواه من ذلك فهو رقيق له والرق
عبودية وكلما استرق القلب واستعبده من الامور فالقلب عبده ورقيقه ولهذا يقال العبد حر ما قنع
والحر عبد ما طمع ومنه قول القائل

قصدت الشام أطلب مستقرا * فلم أجد لي بأرض مستقرا
أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولو أني قنعت لكنت حرا

ويقال الطمع غل في العنق وقيد في الرجل فاذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل ويروى
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال الطمع فقر واليأس غنى وان أحدكم اذا أيس من شيء استغنى
عنه وهذا مشاهد فان ما لا طمع فيه اذا أيس منه القلب لا يطلبه ولا يطمع فيه فلا يبقى فقيرا اليه رقيقا
له الا عشق الصورة وقد يضمحل مع الاياس أيضا وقال الخليل صلاة الله وسلامه عليه فابتغوا عند
الله الرزق وذلك أن العبد لابد له من رزق وهو محتاج اليه فان طلبه من الله كان عبد الله فقيرا اليه
وان طلبه من مخلوق كان عبد الذلك المخلوق فقيرا اليه ولهذا كانت مسئلة المخلوق محرمة في الاصل وانما
تباح عند الضرورة وقد ورد النهي عنها في أحاديث كثيرة مذكورة في الصحاح والمسانيد والسنن
كقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بأحدهم حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم وقال
من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيامة خدوشا أو خموشا أو كدوحا في وجهه وقوله
لا تحل المسئلة الا لذي غرم مقطع أو دم موجع أو فقر مدقع وهذا المعنى في الصحيح وفيه أيضا لان يأخذ
أحدكم حبله فيذهب فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقد تقدم الكلام على هذا
مبسوطا في بحث الدعاء فطمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له واعراض القلب عن الله
وعن رجائه يوجب انصراف قلبه عن عبوديته لاسيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث

يكون قلبه معتمدا اما على رياسته وجنوده وأتباعه ومماليكه واما على أهله وأصدقائه واما على
أمواله وذخائره واما على ساداته وكبرائه كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ممن هو حي قد مات
أو يموت قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا
وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن يرزقوه أو ينصروه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم
بقدر ذلك وان كان في الظاهر اميرا لهم مدبرا لهم متصرفا بهم فالعاقل ينظر الى الحقائق لا الى الظواهر
فالرجل الذي قد تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه اسيرا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد
وهو في الظاهر سيدها لانه زوجها وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لا سيما اذا علمت بفقره اليها وعشقه
لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها فانها حينئذ تحتكم فيه حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي
[illegible] الخلاص منه بل أعظم فان أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من
[illegible]بدن لان من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي اذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا بل
[illegible]تيال في الخلاص من ذلك وأما استرقاق القلب واستعباده لغير الله فهو الذل والاسر
[illegible] المحض وما العبودية الا ما استعبد القلب واسترقه وأسره وهذا هو الذي يترتب عليه الثواب
[illegible]ان المسلم لو اسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك مع قيامه بما يقدر عليه مما أمر به
[illegible]بات ولهذا من استعبد بحق فادى حق لله وحق مواليه فله اجران ولو أكره على الكفر
وقبله مطمئن بالايمان لم يضره ذلك وهذا بخلاف ما استعبد قلبه لغيرالله فصار رقيقا له فهذا
[illegible] صارف الدين المنقص عن درجة الموحدين وان كان ملك الناس ظاهرا فالحرية في هذا الباب
حرية القلب والعبودية عبوديته كما أن الغنى غنى القلب وهذا اذا استعبدت صورة مباحة قلبه فكيف
بالمحرمة كالمرأة الاجنبية والصبي الامرد أو الدرهم أو الدينار المحرم فهذا هو العذاب الأليم دنيا ودينا
والعاشق لصورة اذا بقي قلبه متعلقا بها واستعبدته رقيقا لها اجتمع عليه من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه
الا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام تعلق القلب بها بلا فعلها أشد ضررا
ممن يفعل ذنبا ثم يقلع عنه ويتوب منه ويزول من قلبه أثره اذ تعلق القلب بالمواحش
والظلم والشرك والكذب وابتغاء العلو في الارض موجب لبقاء عبودية القلب لها ما بقي متعلقا
بها وهو رقيق أيضا لمن يعينه عليها وان كان دونه رتبة والامور الدنيوية نوعان منها ما يحتاج
اليه العبد كاحتياجه الى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله
ويرغب اليه فيه كما قال تعالى وابتغوا عند الله الرزق ويكون المال عنده بهذا النوع يستعمله في
حاجته بمنزلة دابته التي يركب عليها او بساطه الذي يجلس عليه بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه
حاجته فلا هو عبده بذلك ولا رقيقه ومنها ما لا يحتاج اليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه بها لانه اذا
تعلق قلبه بها أقبل بكليته عليها وأعرض عن الله فصار عبدا لها وربما يكون معتمدا على غير الله
فيها فلا تبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من
التوكل على غير الله فهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد
الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة وهذا هو عبد هذه الامور وان طلبها من غير الله
وهو يسخط ان منعها ويعتمد فيها على غيره لعدم اقباله على الله ورضاه ما رضيه له وانما عبد الله من
يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما يحب الله ورسوله ويبغض ما يبغضه

الله ورسوله ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله هذا هو الذي يستكمل الايمان كما في الحديث من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان لا من أحب لغير الله وسخط لغيره واعتمد على غير الله وتوكل على غيره وعمل لغيره فان قلبه رقيق عبد لذلك الغير مشرك به شاء أم أبى ﴿وأما قولكم وقوله ماشاء الله وشئت وتضليل قائله وتفريعه عليه تضليل من قال

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

فنقول حاشاه ثم حاشاه من الضلال والعجب ثم العجب من جراءتك على السلف وتضليل الصالحين الذين قد شاع وذاع بل ملأ الاسماع علمهم وصلاحهم وزهدهم بل ان كان صاحب بردة المديح مشر[...] س على وجه الارض موحد وقد علمت أن الواجب على كل مسلم حمل كلام هذا الرجل الصالح الزاهد وامثاله على محمل حسن وحسن الظن بالمسلمين واحب أ يضامع طهو راب الحصر الذي و البيت وأمثاله اضافي بالنسبة الى المخلوق والمعنى مالي من ألوذ به من المخلوقات لاحل الشفاعة وليت شعري ما الذي حملك على تضليل هذا الرجل الذي قد توفاه الله قبل ان تخلق باعوام عديدة عداوة حصلت بينك و بينه أم على أي خصومة لاجلها تعاميت عن هذا الوجه الظاهر الصحيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحملت كلامه على محمل بعيد غير لائق بحال آحاد الناس وهو الحمل على الحصر الحقيقي حتى حكمت بتضليله بسبب هذه المقالة وما اشبهها من قول صاحب البردة * وان يضيق رسول الله جاهك بي * الابيات كما نقلها عنه اذ لا شك ان مراده منها لن يضيق جاهك عن الشفاعة لي وهذا ظاهر جدا فالويل كل الويل لمن يحكم بتضليل اساطين هذه الأمة بامثال هذه التمويهات و يظهر الطعن في السلف الصالح لجلب قلوب العوام أو لحب رياسة أو عصبية أو لغرض من الاغراض الفاسدة﴾ فنقول أما قول القائل ماشاء الله وشئت أو ماشاء الله وشاء فلان فقد ورد النهي عنه فيما رواه النسائي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ماشاء الله وشئت فقال النبي أجعلتني لله ندا بل قل ماشاء الله وحده وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان رواه أبو داود بسند صحيح وعن الطفيل أخي عائشة لامها قال رأيت كاني اتيت على نفر من اليهود قلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وانتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانكم لانتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما اصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال هل أخبرت بها احدا قلت نعم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان أنهاكم عنها فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده رواه ابن ماجه باسناد قوي وعن قتيلة بنت صيفي الجهنية أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة وان يقولوا ماشاء الله ثم شئت رواه النسائي وصححه وروى ابن أبي حاتم في مستدركه

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه وتعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قال هو الشرك
أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ومنه قول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ولولا الله
وفلان وقال أبو عبد الله الند هو الضد والله تعالى منزه عن الأضداد والأمثال المتخذين من دونه أو معه
ذكره أهل التفسير وإثبات الله سبحانه المشيئة للعباد في قوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم قال
المفسرون في معناه لمن شاء منكم بدل من العالمين بإعادة الجار يقول سبحانه وتعالى ما القرآن إلا موعظة
للخلق أجمعين ثم أبدل منهم لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان بدل بعض من كل ومعناه
أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق ثم رد سبحانه وتعالى المشيئة إلى نفسه فقال وما تشاؤون
[إلا أن ي]شاء الله رب العالمين فأعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة
[الله وتوفي]قه وهذا إعلام منه تعالى بأن الإنسان لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله له ولا شرا إلا بخذلانه
[...] عبد الله بن المبارك عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال لما نزلت لمن شاء منكم
[أن يستقي]م قال أبو جهل الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله عز وجل وما تشاؤون
[إلا أن يش]اء الله رب العالمين وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فمن شاء فليؤمن
[ومن شاء فل]يكفر إن الضمير في من شاء أي فمن شاء الله إيمانه آمن ومن شاء كفره كفر فالمشيئة حقيقة
[...]ر مشيئة العبد تحت مشيئة الله وقدرته وإرادته خيرها وشرها وحسنها وقبيحها ولا يخرج شيء
[عن مشي]ئته وقدرته تعالى فإن العبد وأعماله مخلوقة لله قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وأعمال
العبد كسب له فالله خالق لا مكتسب والعبد مكتسب لا خالق هذا مذهب أهل السنة والله تعالى يحاسب
العبد على هواه واختياره المعصية وميله إليها وله الحجة البالغة لا يسئل عما يفعل ولو شاء لهدى الناس
أجمعين . ونهي الشارع صلى الله عليه وسلم عن التشريك في مشيئة الخالق والمخلوق بالواو دليل
على الحظر به إذ قد صرح الأصوليون بأن حد النهي استدعاء كف بالقول على سبيل الوجوب وهو
الحتم وأنه دال على فساد المنهي عنه في العبادات سواء نهي عنها لعينها كصوم الحائض أو لأمر لازم
لها كالصلاة أوقات النهي وصوم يوم العيد أو لأمر مطلق على أصح الوجهين كالوضوء بماء مغصوب
والبيع وقت نداء الجمعة وفي المعاملات أيضا سواء رجع النهي إلى نفس العقد كبيع الحصاة أو إلى أمر
داخل فيه كالنهي عن بيع الملاقيح وهو ما في بطون الأمهات أو الأمر بالشيء نهي عن ضده والنهي
عن الشيء أمر بضده فإذا قال اسكن كان ناهيا له عن التحرك أو لا تتحرك كان آمرا له بالسكون فتعين
أن يكون النهي عن التشريك أمرا بالتوحيد وذلك منصرف إلى الوجوب إذ هو متحتم على كل
أحد كالنهي في قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فكل هذا النهي وما في معناه متضمن الحتم على الخلق عن المنهي
عنه سواء كان كفرا أو معصية وقول القائل ما شاء الله وشئت معصية بعد النهي الوارد عن هذه
الصيغة بالواو ولا يكفر مرتكبها إلا أنه مشرك شركا أصغر يجب الكف عنه والتوبة منه تغليبا لجانب
أصل الإيمان المستصحب على وجود المعصية الصادرة ممن حكم بإسلامه وفاعل المعصية المتلبس بها
ضال ما لم يتب منها ويتجافى عنها فالعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين وقوامه كله
لله تحقيقا لقوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة

وذلك دين القيمة فقوله

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

أولى بنهي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل عن قوله ماشاء الله وشئت من وجوه ﴿منها﴾ ان الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث بتحقيق هذا التوحيد وتحريره ونفي الشرك بكل وجه حتى في الالفاظ كقوله لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء محمد بل ماشاء الله وحده وكقوله للرجل القائل ماشاء الله وشئت أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده ﴿ومنها﴾ ان الله سبحانه أثبت لعباده مشيئة كقوله لمن شاء منكم أن يستقيم وقوله لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر وكاثباته الشفاعة لمن شاء من خلقه فيمن رضي عنه بعد اذنه فالعبد له مشيئة كسبية ولا بد ولكنها تحت مشيئة الله وارادته لا توجد الا بها و[illegible] سدر الاعظم اذ هو الخالق تعالى لافعال العباد كلها وهو الباعث مقام المحمودية للنبي صلى الله عليه وس[illegible] محمودا الذي يحمده فيه الأولون والآخرون وهو المشفع فيمن رضي عنه من أمته بخلاف ا[illegible] والتصرفات الكونيات التي أسندها [illegible] سبحانه الى نفسه كقوله بل لله الأمر جميعا وقوله [illegible] نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وما يكون الا له لا يسند لغيره لا حقيقة ولا مجازا الا في الشفاعة غيرها مما لا يقدر على وجوده الا الله وهو متوقف على أذنه تعالى ورضاه فلا يقال فيه لأحد مالي من ألوذ به سواك اذ الأمر كله لله والشفاعة كلها له لعدم وجودها من النبي وغيره الا من بعد [illegible] الله له صلى الله عليه وسلم ورضا الله عن المشفوع له كغيره من سائر الشفعاء واسناد الشفاعة للا[illegible] أو غيرهم انما هو باعتبار وتحقق الاذن لهم فيها لمن رضي الله عنه وارتضى عمله والسائل لم يحقق في نفسه وجود الشرطين المعتبرين فلا يعلم أهو ممن يأذن الله فيه أم لا وهل هو ممن ارتضى أم لا فتعين عليه صرف همته وعزائم أمره في طلب ما هو السبب الموصل والمقتضي من الاعمال الباطنة والظاهرة للرضا عنه والاذن فيه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة عنه أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله يبتغي بها وجه الله وفي رواية خالصا من قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب الاسلمي خادمه وقد سأله مرافقته في الجنة فأعني على نفسك بكثرة السجود فكل ما كان الرجل أتم اخلاصا لله عاملا بطاعته كان أحق بالشفاعة وكل ما كان مشغوفا بالتعلق على أحد من المخلوقين يدعوه ويرجوه كان أبعد الناس عن الشفاعة ﴿ومنها﴾ أن سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة قد اتفقوا على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل في قبره بعد موته لا استغفارا ولا شفاعة ولا غيرهما وقالوا ان الشفيع يطلب من الله ويسأله ولا تنفع الشفاعة الا باذنه قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقد ثبت في الصحيح أن سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم اذا طلبت منه الشفاعة بعد أن تطلب من آدم وأولي العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى فيردونها الى محمد صلى الله عليه وسلم العبد الذي غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال فاذهب الى ربي فاذا رأيته خررت ساجدا فاحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا احسنها الآن فيقول أي محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول رب أمتي أمتي فيحد لي حدا فادخلهم الجنة فالشفاعة كلها لله وهو تعالى غني عن العالمين وهو وحده يدبرهم كلهم فما من شفيع الا من بعد اذنه لانه الذي يأذن للشفيع في الشفاعة وهو الذي يقبل

شفاعته كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه فالأمر كله له وإذا كان العبد يرجو شفعاء من المخلوقين
فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وإن اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته فيه
قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك
كان محذورا قال طائفة من السلف كان قوم يدعون العزير والمسيح والملائكة شفاعتهم فأنزل الله
هذه الآية وأخبر فيها أن هؤلاء المسؤلين يتقربون إلى الله ويبتغون مرضاته ويرجون رحمته ويخافون
عذابه وأنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فلا يملكون الشفاعة من دونه ولا يشفعون
الا باذنه [illegible] رضي عنه وأفضل الخلق محمد ثم ابراهيم صلى الله عليهما وعلى سائر الأنبياء وسلم وقد منعوا
من . ا لمن لم يرض عنه ولا ارتضى عمله وما ذاك الا أنه تعلق على غير الله وأعرض بقلبه عنه
قلبه ولسانه بل ما أخذ واجتهد في دعاء غير الله ورجائه فيما لا يقدر عليه الا الله وأما
غ قلبه ولسانه فيما هو الموقع في الشرك نفسه مما هو الأصل في علة عبادة الأصنام الذين
ـم والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى وقال تعالى أم
ن دون الله شفعاء إلى قوله قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض وقال تعالى
ين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء الآية فحسمه سبحانه عن غيره في عدة
من القرآن وعلق على وجوده اذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له حسما لمادة الاشراك
وقد توهم في علته من رجاء الشفاعة والتقريب فكيف عن المعلول ويعمل فيما جاء به الرسول
فيكون الدين كله لله وقد ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قال يا رسول الله أي الناس أسعد
بشفاعتك يوم القيامة قال يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما
رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله يبتغي بها وجه الله
ومعلوم أن اخلاص هذه الكلمة الطيبة ابتغاء وجه الله هو تجريدها من شوائب الشرك فلا يأله
القلب أحدا غير الله فمن علق قلبه على غير الله وتوكل عليه كان فيه من الشرك بحسب ذلك التعلق قل
أو كثر دق أو جل فان دعاه ورجاه وأطمعه فيما وجوده لا يكون الا من الله ولا يقدر عليه حتى المسئول
لأنه اله الا منه فهذا الداعي الراجي من أبعد الناس من الشفاعة لتألهه مع الله فإن أخلص قائل
الكلمة الطيبة عمله لله وعلق قلبه ولسانه على الله كان من أحق الناس بالشفاعة وإذا أملها
ورجاها من الله وسأله أن يشفع فيه نبيه ووليه حقق الله أمله واستجاب سؤاله فتقبله وشفع
فيه حيث مات قائلا لا اله الا الله خالصا من قلبه مبتغيا بذلك وجه الله فانه سبحانه يستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والفاسق لا يخرج بفسقه عن حكم الاسلام المرجب
للتوارث والمناكحة والولاية الاسلامية فلا يخرج به عن حد الشفاعة لأن هذا مذهب الخوارج
المنكرين للشفاعة مستدلين بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وأما سلف الامة
وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فاثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الانبياء والملائكة
وقالوا انه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد قالوا وثبوت الشفاعة بالوصف لا بالشخص اذا لم يقع
عليه التعيين من النبي صلى الله عليه وسلم كما وصف عليه الصلاة والسلام الذين هم أسعد الناس

بشفاعته يوم القيامة وهم القائلون لا اله الا الله يبتغون بها وجه الله الى أن لقوا الله وكما وصف أهل
الكبائر من أمته ولم يعين شخصا من النوعين فى هذين الحديثين واذا كان كذلك تعين على الشخص
دعاء الله أن يجعله من أهل الوصف الذين هم أسعد الناس بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فان كان
من أهل الكبائر فقد سأل الله أن يتوب عليه ويجعله من المخلصين واذا كان من المخلصين فقد
رغب الى الله وسأله أن يزيده مما هو فيه من العمل الصالح والقول الراجح ويثبته عليه حتى يلقاه
فينال السعادة الابدية ﴿ومنها﴾ ان هذه المقالة مشاكلة قول المشركين وعقيدتهم حيث اتخذوا من
دون الله أولياء وشفعاء يشفعون لهم عنده ويقربونهم لديه كقولهم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى وكما دعوا العزير والمسيح والملائكة يقربونهم الى الله ويحببونهم اليه ويشفعون لهم
عليهم وعابهم بذلك ولامهم عليه وأخبر ان الولاية كلها له فليس لخلقه من دونه ولى ولا نصير
الامر بعد اذنه وانه لا يأذن لهم فيها الا لمن رضى عنه كقوله جل شأنه الله الذى خل
والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا
وقوله عن الملائكة بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين
خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وقوله وكم من ملك فى السمو
شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقوله عن الرسل وله من فى السموا
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفتر
وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ﴿ومنها﴾ ان الله سبح
نفى الملك فى ذلك اليوم عن غيره فلا يملك أحد عن أحد شيأ ولا يغنى عنه شيأ يوم لا تملك نف
شيأ بل أخبر ان الامر كله له فقال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين وفى القراءة الاخرى ملك
يوم الدين وقال سبحانه وتعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
والآيات فى هذا الباب كثيرة جدا وفى حديث أبى ذر الذى رواه مسلم قال الله يا عبادى انما هى
أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن
الا نفسه ﴿ومنها﴾ ان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينذر عشيرته الأقربين
وانه لا يخلص أحدا منهم الا ايمانه بربه عز وجل وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله
المؤمنين ومن عصاه من الخلق كائنا من كان فليتبرأ منه فقال عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز
الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم وهذه النذارة الخاصة
لا تنافى العامة بل هى فرد من أجزائها كما قال لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون وقال
لتنذر أم القرى ومن حولها وقال وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه
ولى ولا شفيع لعلهم يتقون وفى صحيح مسلم والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى
ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى الا دخل النار وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن ابن عباس
قال لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد
عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل يجىء ورجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم

صدقتموني قالوا نعم قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ما دعوتنا الا لهذا وفي رواية عنه ألهذا دعوتنا جميعا وفي رواية أخرى ألهذا جمعتنا فانزل الله تبت يدا أبي لهب وروى البخاري عن عائشة قالت لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا عباس بن عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيأ سلوني من مالي ما شئتم وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال لما أنزل الله هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعم وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار لا أملك لكم من الله شيئا ونحوه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله لا أغني عنكما من الله شيأ سلاني من مالي ما شئتما وتفرد به البخاري عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقوله صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة رسول الله يا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله لا اغني عنكما من الله شيأ أمر منه عليه السلام لهما بحقيقة الشفاعة في فعل الطاعة وعمل الايمان ونهي لهما عن الاتكال عليه مع وجودهما بقوله مؤمنتين به عاملتين بما أمرهما وتذكار اغيرهما أيضا فلا يغني عن الله أحد كما لا يجير عليه احد وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ذكر جماعة من المفسرين ان هذه الآية في الشفاعة وهو قول علي والحسن وعطاء عن ابن عباس قال هو الشفاعة في امته وقال محمد بن علي يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول ان أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا اله الا الله حتى يقول يا رب رضيت وزدتني على أمتي في أمتي فكل هذا نؤمن به ونسلمه ولكن لا يخرج عما قاله أهل السنة والجماعة من أن ثبوت الشفاعة في أهل لا اله الا الله وهم الموصوفون بهذه الكلمة الطيبة غير ضيقة فيهم لاهلها ولا ينحصر فلا تعين لأحد بعينه ادلم يرد فيه نص فيتعين على كل احد صرف همته ورجاؤه في تلك الكلمة الطيبة التي هي السبب في وجود الشفاعة مع الاعمال بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا في مجردات النبي صلى الله عليه وسلم أو شفاعته اهمل ما جاء به وعملها قوله تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون وقوله صلى الله عليه وسلم لصفية وفاطمة لا اغني عنكما من الله شيأ مع ايمانهما وعملهما رضي الله عنهما يشير الى عدم الاتكال عليه وعلى شفاعته كما قدمناه فانما هو امرهما باخلاص العمل لله والدوام والاستمرار عليه وليكون توجههما واتكالهما على الله وغيرهما بالاولى (ومنها) ان هذه المقالة قد تخذها أولو التزيي من المتزهدين الزهاد وأولي العلم متزيين به ورد ايتلونها في الصباح والمساء جعلوها تضاهي كلام الله وذكره في البركة يتلونها ويسمعونها تبركا بها وبعد ختم كلام الله والصلاة على نبيه كذلك ويزعمون ان ختمة القرآن ناقصة اذا لم تتل هذه لانه لم تعقبهم ولا توجد في ضمن المك الختمة ناقصة الثواب وليس لها رونق يزداد ويتزايد ولا انس فيها

يحضرو يشاهدوا الويل كل الويل عندهم لمن عاب عليهم ذلك أو أنكر صنيعهم فيما هنالك فهم قد
اتخذوه دينا وقربة حتى في المسجد الحرام تجاه الكعبة طهره الله وصانه وجعل المتقين أولياءه
وسكانه بل في كل آن ومكان والله يقول أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وفي حديث
عائشة الذي في الصحيح من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (وقول) صاحب المقدمة العجب
ثم العجب من جراءتك على السلف دعوى بغير علم وتعجب بلا فهم وتزكية على الله وحكم لمن قولهم غير
مناسب في الشريعة والله بهم أعلم وثناء على ما اعتقدوه وتقرير لما قالوه في القصيدة من أنه ورد
ونشدوه لحصول البركة ورفع كل شدة ودليل ما قلناه فيه أمور (منها) مخالفة الكتاب والسنة أما
الكتاب فقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا
وقوله تعالى فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا وأما السنة فأخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن
ابن أبي بكرة عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان كان أحدكم مادحا أخاه لا محالة فليقل
أحسب فلانا ان كان يرى انه كذا وكذا ولا أزكي على الله أحدا وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لا نزكي على الله أحدا وأمرنا أن نقول في التزكية أحسبه كذا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا
قالت أم العلاء رضي الله عنها لعثمان بن مظعون أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة لما
انتقل الى رحمة الله شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك
ان الله أكرمه قالت بأبي أنت وأمي والله لا أدري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه
اليقين واني لأرجو له الخير ووالله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي أخرجه البخاري وزيد
طعن علينا في عقيدتنا وعاب أمرنا وهينا وزكاه على الله قطعا اعتمادا على صريح كلامه بما تخيله في
باله وقام في ذهنه مما يهواه مرامه ولذلك زكى على الله هذا الرجل الذي الله أعلم به وبأمره وبنيته
وعلمه وزهده فان وجدنا ظاهرا فاسنادنا لحقيقتهما وباطنهما الى الله أنسب وأصوب اذ ما من أحد
يظهر لنا منه حسن عمله الا الله والله أعلم به وقد انعقد اجماع أهل السنة على عدم الجزم لأحد بعينه
بجنة أو نار الا من نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء حتى
الكلام في سبيل الله المفضي الى الشهادة التي أثنى الله عليها في كتابه أسنده النبي صلى الله عليه وسلم
علمه الى الله كما في المتفق عليه من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة اللون لون الدم
والريح ريح المسك اعلاما منه صلى الله عليه وسلم بأن علم حقائق أعمال العباد وصلاحهم بصلاح
نياتهم وأعمالهم وعلم ذلك عند الله سبحانه وتعالى ومع المعاملة بالظاهر فلا جزم ويتوقى كل كلام
معلول مخالف (ومنها) تعليقه توحيد أهل الملة الحنيفية الذين قال الله فيهم كنتم خير أمة أخرجت
للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال عنهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي
قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله على وجود توحيد هذا الرجل الواحد الذي
الله أعلم به وبحقيقة أمره واثباته شركهم بشركه (ومنها) نفيه التوحيد عن جميع من على وجه الارض
وتكفيرهم واثبات شركهم بوجود شرك رجل واحد ليس عند الامة نص فيه في قوله بل ان كان صاحب
بردة المديح مشركا فليس على وجه الارض موحد فبكلامه عرف قدره وعلم انه قد تعدى طوره
(ومنها) تعليقه مستحيلا وجوده وهو نفي التوحيد عن جميع الامة واثبات شركهم على ممكن وهو

وجود شرك رجل واحد ليس عند الامة من حقيقة أمره نص ذا رجل الواحد الذي ليس فيه نص قدوة وأما الامة فلا بالنص القطعي ﴿ومنها﴾ اثباته الايهام في تلك المقالة وانها تحتاج الى محمل حسن يليق بها او بقائلها او المقر عند الامة المحفوظ عنه أن الكلام الموهم اذا لم يكن من كلام الله ورسوله المتشابه لا تجوز قراءته ولا النظر فيه بخلاف كلام الله ورسوله يجب الايمان به وتلقيه وان لم يفهم معناه وهؤلاء يتخذون هذا الكلام الموهم أصلا في تميمتهم ويتلونه ورداً في الصباح والمساء ويقدمونه على القرآن في كل آن ومكان (ومنها) مبادرة فهمه لذي قلبي في ذهنه لما يأتي فيه مما في المقالة في ذمه لخالق نفسه تعالى وتقدس ولذلك قال ان الحصر الذي في هذا البيت وأمثاله اضافي بالنسبة في والمعنى مالي من ألوذ به من المخلوقات لا جل الشفاعة سواك ولم يدر ولم يحقق أن هذا الى لا يقول به أحد في ذات الله تعالى وتقدس ووحدته ثابت عند الخاص والعام حتى ام مقرون بخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومدبر أمورهم كما قررهم في سورة يونس والزخرف وأمثالها من السور التي أخبر الله فيها انهم يعرفون خالقهم ورازقهم فاقروا انه الله مدبر كل شيء ومليكه ولكن أشركوا معه في عبادته وعطلوا معاملته الشاملة لاخلاص تكذيب رسله فيما جاء وا به من عنده ومنهم من يكذبهم ظاهرا وباطنا ومنهم من يكذبهم وهو تعلم صدقهم باطنا كما قال حين شأنه فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله ن وكما احتجت أقوالهم في الرسل كذلك احتلفت اقوالهم وآراؤهم في الكتاب بين مكذب انه شعر انه سحر وكل دلت لا يدل على انهم مكذبون بذات الله بل أقروا به تعالى وعرفوه ولكنهم لم يوحدوه والقصد بالقرآن والرسول توحيد الله بعبادته وافراده تعالى بمعاملته المختصة بجلاله من الاعمال الظاهرة والباطنة وبعد ما جاءهم أمن الاله والرالأقمان ولا عتقدات فبذلك يحصل الايمان بهما واتباعهما ولا أعظم مخالفة من اعتقاد ما يخالفه ولم ينزل القرآن ويرسل الرسل الا بنفيه وليكون الدين كله لله والامر كله له والجاعل الدين أو بعضه لغير الله قولا أو فعلا أو اعتقادا لم يؤمن بالقرآن معنى وان آمن به لفظا ولم يؤمن بالرسول حقا وان آمن به ظاهرا وليس احتلافهم أعداؤنا الابذلك لا ما يقول الدين كله له والامر كله له فليس للخلق من دونه ولي ولا نصير قال سبحانه وتعالى مالكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده الآية وقال أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني اولياء الآية وهم يقولون بل لهم ولي ونصير ويستدلون بقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وبقوله لهم ما يشاؤن وتقدم معنى ذلك في محله فهذ حول هذه المسألة أن دمر بالى آخر عمر ينددن الاشبر الا اليها ولا يجاهد الاعليها مع انهم يدعونا ولا يرجعون الى ما كان عليه من عبادة الطين والاحجار عن الشياطين ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وقد قدمنا الكلام على قوله * يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به * سواك وان هذه المقالة مردودة من وجوه تقدم ذكرها آنفا (ومنها) قوله ليت شعري ما الذي حملك على تضليل هذا الرجل الذي قد تولاه الله قبل ان تحقق اعوام عنده أي عداوة حصلت بينك وبينه أم على أي خصومة لاحلها عميت عن هذا الوجه الظاهر المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحملت كلامه على محمل بعيد فيه يثق بحل آحاد عوام

الناس وهو الحمل على الحصر الحقيقي يعني به نفي ذات الله حتى حكمت بتضليله بسبب هذه المقالة الى
قوله فالويل بل كل الويل لمن يحكم بتضليل أساطين هذه الامة بامثال هذه التمويهات ويظهر الطعن في
السلف الصالح لجلب قلوب العوام أو لحب رياسة أو عصبية أو لغرض من الاعراض الفاسدة فهو قد
قال فينا وافترى علينا بتضليل هذا الرجل الذي قولنا فيه والله أعلم به منا ومن غيرنا الان كلامه ذلك
غير مناسب من مثله بل الواجب عليه وعلى جميع الخلق الانقطاع الى الله وتفويض الامر اليه
والتوكل عليه والاستقامة على ما هو السبب في حصول شفاعته صلى الله عليه وسلم من الاعمال المرضية
لرب العالمين والمقربة اليه في كل حين الشاملة خصال الايمان وأركان الاسلام فيكون كالذين
حكى الله عنهم في القرآن انهم توسلوا اليه فيما يرضيه مما أمرهم به ونهاهم عن ضده في ك   على
السنة رسله ولكن أبى الله أن يصلح بالحفظ الا كتابه أو يعم بالعصمة الا رسوله والذي يعتر
اما قصا واما شططا والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أن يكو
قصده توحيد الله بعبادته واخلاص معاملته لله وحده لا شريك له وطاعة رسوله ويدور على د
أين وجده ويعادي فيه ويوالي فيه ونحن لم نعاده هذا الرجل ولم نحكم عليه بالضلال بل قولنا
أعلم وأولى به ولكن مقالته لا تقبل بل يكف عنها وورد النهي عنها وعن أمثالها ولان ا
والخلق لا يغنون عن الحق شيأ بل من رحمه الله فهو المرحوم ومن ابعده فهو المبعد فلا أحد كا
يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته حتى الانبياء فغيرهم بالاولى وكل من حكم باسلامه شرعا فهو
والله أعلم بعاقبة أمره فلا نشهد لمعين بالنار وان ارتكب المعاصي في الدنيا لامكان انه تاب أو
حسنات محت سيآته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك مما هو من فضل الله وعفوه وان ارتكب دهرا
عاملا بما ظهر لنا منه وأمره الى الله ولا لمعين بجنة وان اكتسب أعمالا صالحة في الدنيا اذ لا يعلم ما في
نفس الامر الا الله فلا يقطع لمعين بشيء من دونه بلا نص من الشارع صلى الله عليه وسلم وللعلماء في
الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال منهم من لا يشهد بالجنة لاحد الا للانبياء وهذا قول محمد بن الحنفية
والاوزاعي والثاني أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص وهذا قول أكثر اهل الحديث والثالث
نشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون كما في البخاري من حديث انس بن مالك قال مر بجنازة فاثنوا
عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مر باخرى فاثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت يا رسول الله قال هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم
عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الارض وقال صلى الله عليه وسلم توشكوا أن تعلموا أهل
الجنة من أهل النار قالوا بم يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيء أخبر ان ذلك مما يعلم به أهل الجنة
وأهل النار وكان أبو ثور يقول أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ويحتج بهذا والمؤمن بالله ورسوله
باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول اذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولى أن يعذره الله
في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب فان هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب وأما ذاك فليس متعمدا
للذنب بل هو مخطئ والله قد تجاوز لهذه الامة الخطأ والنسيان والعقوبة الحاصلة في الدنيا تكون لدفع
ضرره عن المسلمين وان كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب
أهل الذمة من النصارى واليهود والمسلم خير منهم في الآخرة والمسلم المذنب الذي ذنبه خاص أخف شرا
عند الله ممن ذنبه اكتسبه الناس منه وفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة ثم بعدهم التابعون فلا

ينتصر لشخص انتصاراً عاماً مطلقاً الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً الا للصحابة فان الهدى يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه حيث داروا وكذا التابعون لهم باحسان فاذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط بخلاف عالم من العلماء أو قائل قولا فقد يصيب وقد يخطئ بل كل أصحاب مجتهد من المجتهدين قد يكون الصواب معهم وقد يكون مع غيرهم ممن قد خالفهم وكل قول لم يرد به الكتاب والسنة ولا قاله صدر سلف هذه الامة استنباطاً منهما او من أحدهما بل قالوا خلافه فهو خطأ لا يعمل به ولا يقر عليه قائله فكيف وصاحب المقدمة قد افترى وأصمته حمية الجاهلية فيما منه جرى بقوله أم على أي خصومة لاحاها تعاميت عن هذا الوجه الظاهر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه وقد أثبت بيننا خصومة رجماً بالغيب مع انها لا تكون الا بين موجودين لا بين معدومين أو أحدهما الا من ورد فيه النص بعينه بعداوته لله ورسوله كأبي جهل وأبي لهب ومن عينته السنة فعداوته متحتمة على الاعلم به وان لم يعاصره أو من تواترت عنه الاخبار بأنه محاد لله ورسوله متعد لحدوده فانه يكره ويعادى لظاهر اساءته والله متولي أمره وحملك على هذا الافتراء اثباتك تلك المقالة واستحسانك اياها التي قد خالفت الكتاب والسنة واجماع الامة وجعل تأويلك لها مماثلا لكلام الله الذي قال تعالى فيه وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فجعل ذلك التأويل لتلك المقالة وما شاكلها مما بعدها تنزيل مشابهاً له في صحته واجتيازه والايمان به وتلقيه وعدم رده والاعتراض عليه وأهل السنة يردون على أهل الصحيح ويناظرونهم وكل يؤخذ من قوله ويترك الا كلام الله ورسوله وما لم يكن كذلك فهو باطل مردود لا يعمل به وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة في الكتاب والسنة

واجماع صالح سلف الامة ولكن بالوصف لا بالشخص ومن مات لا يشرك بالله شيأ فهو من ذوي الوصف وكذا شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم فعلى الانسان الاجتهاد فيما هو الموجب لها لينالها بفضل الله ورحمته ورضاه عنه واذنه للشافع وعليه أيضا اخلاص عمله لله وقصده طاعة الله فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وهو يحب صلاح المأمور به واقامة الحجة عليه قاصداً أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فلا يغضب على من خالفه مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه ولا يرضى عمن كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد بل يحمد من حمده الله ورسوله ويذم من ذمه الله ورسوله وتصير موالاته ومعاداته على دين الله ورسوله لا على هوى النفس وأصل الدين الذي لا فتنة فيه أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والمعاداة لله والعبادة لله والاستعانة بالله والاتكال على الله والخوف من الله والرجاء لله والاعطاء لله والمنع لله وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وصاحب الهوى يعميه هواه ويصمه ولا يستحضر في قوله وعقيدته ما لله ورسوله في ذلك ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرضى اذا حصل ما يرضاه هواه ويغضب لما يغضب له هواه ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا بل قوله وعقيدته وحميته بمجرد هوى وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً جانبوا قوله تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فكانوا ممن قال الله فيهم فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون واذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء وذلك ليس في سبيل الله فكيف باهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها فانهم

يفعلون ذلك شجاعة وحمية وميل نفس وهوى وربما يعاقبون لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله
لا بمجرد الخطأ الذي اجتهد وافيه ولهذا قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى لان أتكلم في علم يقال لي فيه
اخطأت أحب الي من أن أتكلم في علم يقال لي فيه كفرت والله أعلم * وأما قولكم ﴿ وقوله تعالى فلما
آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وما ذكر فيه من الرواية عن عبد الله بن عباس انهما آدم
وحواء وان الشيطان أتاهما ولم يزل بهما حتى سميا ولدهما عبد الحرث الخ ما قال فنقول هذه الرواية وما
أشبهها لا أصل لها أساطير لا يلتفت اليها في حق الانبياء المعصومين عن أمثال هذه الامور بل الواجب
على كل مؤمن أن يحكم بكذبها ويحمل قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما على أن الخطاب في ...
لقريش وحدهم لا لبني آدم كلهم والنفس الواحدة قصي وجعل منها زوجها أي جعلها عر
من جنسه لانه خلقها منه واشركا فيما بتسميتهم ابنيهما عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار و
والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما وعلى هذا فليس الضمير في جعلا لآدم وحواء وهذا
أكثر المفسرين وان صح انه لآدم وزوجته فاين الدليل على الشرك في ألوهيته والجعل
المذكور في الآية هو الميل الى طاعة الشيطان وقبول وسوسته مع الرجوع الى الله تعالى
للشيطان وذلك الميل المتفرع على الوسوسة غير داخل تحت الاختيار فلا يكون معصية،
كان قبل وان أبيت عن هذا كله فهو على تقدير المضاف أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتا
وكيف لمن في قلبه ذرة من ايمان ان يصدق بهذه الحكاية مع ان الآية التي تتلوها تنادي ب
وهي قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وهم الاصنام كما عليه المفسرون مع ان
لم تعبد من دون الله الا قريبا من زمن نوح ﴾ فنقول هذا مما يؤيد ما قلناه في صاحب المقد
يرده من تلقاء نفسه بلا تحقيق ولا تحقق فيما قاله الأئمة الاعلام من اولي العلم والفهم وما نقلته ... رواه
وتلقته بالقبول الجهابذة الثقات فانه قد فهم من معنى الشرك المذكور في هذه الآية شرك الالوهية
في آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام فلذلك أوجب نفي رجوع الضمير الذي في الآية عنهما وجعل
من لازم جواز نسبته اليهما شركهم في الالوهية ونسبتهما الى تكفير الانبياء واهل البيت وذلك الا لعدم
فهمه ومعرفته معنى الشركة التي في الآية مع ما نقله السلف من صحة رجوع الضمير اليهما بل في معرفة
معنى الشرك من حيث هو وأقسامه والجهل فينا وفي عقيدتنا وفيما قلناه وعيناه وذلك من وجوه
﴿الوجه الاول﴾ ما رواه الامام احمد في مسنده عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فعاش فكان ذلك من وحي
الشيطان وأمره وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن عبد الصمد بن عبد الوارث ورواه
الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث حسن غريب
لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في
مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا وقال هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا
وصححه عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه المتقدم ورواه الامام أبو محمد بن أبي حاتم في
تفسيره عن هلال بن فياض عن عمر بن ابراهيم مرفوعا ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره
من حديث هلال بن فياض قال الحافظ ابن كثير وشاذ لقبه هلال وعمر بن ابراهيم هو البصري قد
وثقه ابن معين وقال أبو حاتم الرازي لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن

الحسن عن سمرة وقد روى الحديث عنه مرفوعا وموقوفا ﴿الثانى﴾ ماقاله أهل التفسير كافة عند
قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم وخلق منها زوجها يعنى حواء ثم انتشر الناس
منهما كما قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم
من نفس واحدة وخلق منها زوجها الآية فكلهم قد فسروا قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها الآية بآدم وحواء عليهما الصلاة والسلام وأسندوا بيان النفس الواحدة
ثم منها سائر البشر وبيان الزوج المجعول منها الى سائر الآيات المعنى بها آدم وزوجته حواء
التى فى قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴿الثالث﴾ ما أجمع عليه المفسرون وقالوا
متفقة المعنى مختلفة اللفظ عن ابن عباس من طريقين أو ثلاثة الاول منها ماقاله محمد
بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليهما
السلام أولادا فيعبدهم لله ويسميه عبد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتى ابليس آدم وحواء
كما لو تسميانه بغير الذى تسميانه أولا لعاش فولدت له غلاما فسمياه عبد الحرث ففيه أنزل الله
خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية الثانى ماقاله العوفى عن ابن عباس أيضا فى قوله تعالى
خلقكم من نفس واحدة الى قوله فمرت به وشكت أحملت أم لا لخفته فلما أثقلت دعوا الله
لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان مايكون بهيمة أم لا
لهما الباطل انه غوى مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما انكما ان لم تسمياه
الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث لم يخرج سويا ومات كالاول فسمياه عبد الحرث
قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الثالث ماقاله عبد الله بن المبارك عن
شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا
جعلا له شركاء فيما آتاهما يعنى آدم وحواء أتاهما ابليس وقد حملت حواء فقال انى صاحبكما الذى
أخرجتكما من الجنة لتطيعانى أو لأجعلن له قرنى ايل فيخرج من بطنك فيشقه أولافعلن وافعلن فأبيا
أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثانية فأتاهما أيضا فقال أنا صاحبكما الذى فعلت مافعلت لتفعلن
وتطيعانى أو لأفعلن يخوفهما فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما
ماقاله أولا فادركهما حب الولد فسمياه عبد الحرث فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
آتاهما رواه ابن أبى حاتم فى مستدركه وجاء فى الحديث خدعهما ابليس مرتين مرة فى الجنة ومرة فى
الارض وقد تلقى الأثر الوارد فى خدع ابليس لآدم وحواء جماعة من السلف كمجاهد وعكرمة وسعيد
ابن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة والسدى وجماعة آخرون من السلف والخلف ومن المفسرين
المتأخرين جماعة لاتحصى كثرتهم الا ماذهب اليه الحسن البصرى رحمه الله تعالى من انه ليس المراد
من سياق الآية آدم وحواء بل المراد من ذلك المشركون من ذريتهما ولهذا قال تعالى فتعالى الله عما
يشركون وذكره تعالى آدم وحواء فى أول الآية كالتوطئة لما بعدها من الوالدين وهو كالاستطراد من
ذكر الشخص الى الجنس كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
ومعلوم ان المصابيح وهى النجوم المزين بها ليست هى التى يرجم بها وانما هو استطراد من شخص
المصابيح الى جنسها وهذا له نظائر فى القرآن كثيرة قال الامام أبو الحسين بن مسعود البغوى وهذا
القول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة من المفسرين

انه آدم وحواء ومعنى ماتأوله الحسن وعكرمة أى جعل أولادهما له شركاء فيما آتاهما بقرينة قوله
أيشركون بالجمع فحذف الاولاد وأقامهما مقامهم كما أقام الابناء مقام الآباء فى اضافة الفعل الى الابناء
والفاعل انما هو الآباء كقوله تعالى مخاطبا اليهود الموجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم اتخذتم
العجل وقوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل واذ قتلتم نفسا وأمثال ذلك ﴿الرابع﴾ ماقاله ابن كيسان
هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وعبد اللات وعبد مناة ﴿الخامس﴾
قوانا وعقيدتنا ماقاله السلف واعتقدوه فى قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما يعنى فى طاعته ولم
يكن شركا فى عبادته فان كل اسم معبد لغير الله كعبد الحرث وعبد العزى وعبد هبل وعبد عمر
الكعبة وما أشبه ذلك حرام لايجوز التسمية به باتفاق من يعتد به من أهل العلم وتحرم طاعة الآ
ولا يحل التسمية بعبد على ولا عبد الحسين ولا عبد الكعبة فكيف بكلب على وعبد الحرث
الشيطان وقد روى ابن أبى شيبة من حديث هانئ بن شريح قال قدم على النبى صلى الله عليه
قوم فسمعهم يسمون رجلا عبد الحجر فقال ما اسمك قال عبد الحجر فقال رسول الله صلى الله عليه
أنت عبد الله وقد تقدم حديث عبد الصمد بن عبد الوارث وسمرة بن جندب عن النبى صلى الله
وسلم انه قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فعاش
ذلك من وحى الشيطان وأمره رواه الامام أحمد فى مسنده ورواه الترمذى فى تفسير الآية
الحاكم فى مستدركه وصححه ورواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث هلال بن فياض والش
طاعته هو امتثال أمره وقبول قوله وليس ذلك شركا فى العبادة كما قلناه وقررناه ولكنهما ز
الحرث سبب نجاة الولد وسلامة أمه ولذلك أضافا ولدهما اليه لا على جهة ان الحرث مالكه ومعبو
وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوكه كما يستعمل اسم الرب مضافا الى من لا يراد انه معبوده
وكمن نزل به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على جهة الكرم والتواضع لا على ان الضيف ربه ومعبوده
قال يوسف صلى الله على محمد وعليه وسلم لعزيز مصر انه ربى ولم يرد انه معبوده فكذلك هنا ولكن
المناسب لهما عدم طاعته وعدم قبول قوله وامتثال أمره اذ هو الذى قد غرهما وخدعهما وأخرجهما
وفرق بينهما العداوة الأزلية لهما ولذريتهما أبد الآبدين ودهر الداهرين وبعد يوم الدين واتفقوا على
عصمة الانبياء من تعمد الكبائر قبل الوحى وبعده وتنازعوا هل تقع منهم بعض الصغائر مع التوبة منها
أو لا تقع بحال فقال كثير من المتكلمين من الشيعة والمعتزلة وبعض أهل الحديث من أهل السنة
منهم ابن السبكى وغيره لا تقع منهم الصغيرة بحال ولا قبل النبوة ولا بعدها زادت الشيعة لا يمكن وقوعها
منهم خطأ ولا عمدا والصحيح عند السلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير لا تقع الصغائر منهم عمدا
واتفقوا على وقوعها منهم سهوا وخطأ كما نقله السعد التفتازانى فى حاشية الكشاف الا ما يدل على
الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة فلا يجوز عليهم واشترط جمع من المحققين ان ينبهوا على ما فعلوه
سهوا فينتهوا عنه وقال قوم من علماء أهل السنة من أهل الحديث من أصحاب الاشعرى وغيرهم
وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تقع منهم بعض
الصغائر مع التوبة منها والله يحب التوابين ويحب المتطهرين واذا ابتلى بعض الاكابر بما يتوب منه
فذلك لكمال النهاية لا لنقص البداية كما قال بعضهم لو لم تكن التوبة أحب الأشياء اليه لما ابتلى
بالذنب أكرم الخلق عليه وفى الأثر ان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة وان العبد ليعمل الحسنة

فيدخل بها النار يعني ان السيئة يذكرها و يتوب منها فيدخله ذلك الجنة والحسنة يعجب بها و يستكبر فيدخله ذلك النار وأيضا فالحسنات والسيئات تتنوع بحسب المقامات كما يقال حسنات الأبرار سيآت المقربين فمن فهم ما تمحوه التوبة وترفع صاحبها اليه من الدرجات وما تفاوت الناس فيه من الحسنات والسيآت زالت عنهم الشبه في هذا الباب وأقر الكتاب والسنة على ما فيهما من الهدى والصواب وقد اتفقت الامة على أن من سوى الأنبياء ليس بمعصوم لا من الخطأ ولا من الصواب سواء ... قاأولا وعلى ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يبلغه عن الله تبارك وتعالى دالرسالة لا يتم الا بذلك وكل ما دل على انه رسول الله من معجزه فهو يدل على ما قال رسول الله ... وسلم فانى لا أكذب على الله واتفقوا أيضا على انه لا يقر على الخطأ كما انه لا ينطق عن ... انه صلى الله عليه وسلم أخوف الأمة لمولاه وأشدهم خشية منه وتضرعا اليه ورغبة فيما لديه ... الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه و يعترف له بذنبه كما في قوله اللهم أنت الملك ... ت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لى ذنوبي جميعا فانه لا يغفر أنت الحديث وأمثاله اظهارا للعبودية وافتقارا للصمدية وتشريعا للأمة وبيانا للشكر ... ال الائمة كل يؤخذ من قوله و يترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه الذى أوجب الله ... الارض الايمان به وطاعته بحيث يجب عليهم ان يصدقوه بكل ما أخبر و يطيعوه في كل ... ذكر الله طاعته واتباعه في قريب من أربعين موضعا في القرآن قال عز من قائل من يطع ... فقد أطاع الله وقال وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى ... ك فيما شجر بينهم الآية وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا الى قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية وطاعة الله والرسول هى عبادة الله التى خلق لها الجن والانس فهى غايتهم التى يحبها الله ورسوله و يرضاها و يأمرهم بها وان كان قد شاء من بعضهم ما هو خلاف ذلك وخلقهم له فتلك غاية شاءها وقدرها وهذه غاية يحبها و يأمر بها و يرضاها والعبادة لله تجمع غاية الحب له بغاية الذل له والانقياد اليه فكل خير وكمال ومقام وما يقرب اليه مما يحمد من العباد و يطلب منهم شرعا و يرضاه لهم فهو داخل في طاعة الله ورسوله ومستلزم لذلك والنص في وجوب الطاعة قاض في عصمة صاحب الرسالة **(فان قيل)** قد اتفقوا على ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معصومون من تعمد الكبائر قبل الوحي و بعده كما قلتم به وقاعدتكم في الشرك الاصغر أن حكمه من أكبر الكبائر عندكم وذلك مناف لما قيل للضمير في قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما عائدا الى آدم وحواء صلى الله عليهما وسلم اذا كان آدم نبيا معصوما عن الكبائر أن يعملها هو بنفسه فكيف يوافق حواء على الشرك بالله **(الجواب)** ان آدم وحواء عليهما السلام لم يعتقدا أن ذلك الاسم معصية لله ولم يقصدا به مضارة نهيه تعالى أو عدم فعل أمره بل انخدعا ... العين فيما قاله لهما مكافأة لشره وخوفا على ولدهما من ضره بتوعده لهما فيه بهم لم يطاوعاه ولعلهما بعداوته وانه الذى أخرجهما مما كانا فيه من النعيم المقيم ثم أدركتهما شفقة لولد فطاوعاه في التسمية فبذلك أشركا في طاعته لا في عبادته وكذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى معرفة له بدلا لا هم بغير وزان

العين غرهما بالقسم لهما انه ناصح في قوله لهما مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فخدعهما الظن ما ان لا أحد يحلف بالله كاذبا فأكلا ولم يقصد المعصية لانهما لم يعتقدا أن النهي راجع الا لما قال لهما وأقسم لهما فيه فتعين نفي تعمد الكبائر على الانبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى باعتبار الاكل من الشجرة المنهي عنها طاوعة الغار ﴿فان قيل﴾ كيف يتفقون على تحريم الاسم المعبد لغير الله وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة تعس عبد القطيفة وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ودخل عليه رجل وهو جالس بين أصحابه فقال أ... عبد المطلب فقالوا هذا وأشاروا اليه ﴿الجواب﴾ ان قوله تعس عبد الدينار الحديث لم ير... وانما أراد به الوصف والدعاء على من يعبد قلبه الدينار والدرهم واختارهما على عبودية ربه تبا... وقوله أنا ابن عبد المطلب ليس من باب انشاء التسمية بذلك وانما هو من باب الاخبار بالاسم... به المسمى دون غيره والاخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم وقد كان الصحابة... عنهم يسمون بني عبد شمس وبني عبد الدار باسمائهم ولا ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم... الاخبار واسع يجوز فيه ما لا يجوز في الانشاء فيحرم التسمية أيضا بملك الملوك وسلطان الس... وشاهنشاه لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخنع... الله رجل يسمى ملك الاملاك وفي رواية أخنى بدل أخنع وفي رواية لمسلم أبغض رجل ع... القيامة وأخبثه رجل كان يسمى بملك الاملاك لا مالك الا الله ومعنى أخنع وأخنى أوضع وأما... المكروهة فنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا... علامك يسارا ولا رباحا ولا نجاحا ولا أفلح فانك تقول أثم فلان فيقال لا قال ابن القيم والمذكور في الحديث انما هن أربع لا يزدن عليها وهذه الجملة الاخيرة ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي من كلام الراوي وقال أيضا قلت وفي معنى هذا مبارك ومفلح وخير وسرور ونعمة وما أشبه ذلك لوجود المعنى الذي كرهت تلك الامور الاربعة لاجله فانه يقال أعندك خير أعندك سرور أعندك نعمة فيقول لا فتشمئز القلوب من ذلك وتتطير منه ومنها التسمية باسماء الشياطين كخنزب والولهان وأسماء الفراعنة والجبابرة كفرعون وقارون وهامان والاسماء التي تكرهها النفوس ولا تلائمها كحرب ومرة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشتد عليه الاسم القبيح ويكرهه جدا من الاشخاص والاماكن والقبائل والجبال حتى انه مر في مسير له بين جبلين فسأل عن اسمهما فقيل فاضح ومخز فعدل عنهما ولم يمر بينهما وكان صلى الله عليه وسلم شديد الاعتناء بذلك ومن تأمل السنة وجد معاني الاسماء مرتبطا بها حتى كأن معانيها مأخوذة منها وكأن الاسماء مشتقة من معانيها فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله وقوله لما جاء سهيل بن عمرو يوم الصلح سهل أمركم وتأمل تغييره الاسماء غير المناسبة كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالمنذر بن أسيد حين ولد فوضعه على فخذه فأقاموه فقال أين الصبي فقال أبوه أسيد قلبناه يا رسول الله قال ما اسمه قال فلان قال ولكن اسمه المنذر وفي سنن أبي داود من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما اسمك قال حزن قال أنت سهل قال لا السهل يوطأ ويمتهن قال سعيد فظننت ان سيصيبنا بعده حزونة قال أبو داود وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص والعتلة

وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحباب فسماه هاشما وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث
وأرضا يقال لها عفرة خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بنو الرشدة وسمى
بني معاوية بني رشدة قال أبو داود وتركت أسانيدها للاختصار وتأمل ايضاحه لي تحسين الاسم كما
في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة
بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم رواه أبو داود باسناد حسن وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب أسمائكم الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن رواه
مسلم وقوله ان الاصنام لم تعبد من دون الله الا قريبا من زمن نوح فقد ذكر المفسرون عند
كان الناس أمة واحدة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان بين آدم
رة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال
ي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا ورواه الحاكم في مستدركه من حديث محمد
ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وكذا رواه أبو جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن
ه كان يقرأها كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال
زاق أخبرنا معمر عن قتادة في الآية قال كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا فبعث الله النبيين
ل من بعث نوح وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس أولا وقال العوفي عن ابن عباس في قوله
دة يقول كفارا فبعث الله النبيين قال الحافظ ابن كثير والاول عن ابن عباس أصح اسنادا
لان الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام فكان أول
رسل الى أهل الارض ولهذا ذكر سبحانه في سورة يونس ما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا
فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم ان ما كانوا عليه حق والله أعلم وأما قول صاحب
المقدمة ﴿ كيف يكون قوله تعالى ادعوا ربكم بمعنى العبادة الى قوله اعلم ان للطاعة مراتب الاولى
ان يلاحظ فيها الثواب ودرء العقاب مع الامتثال وتسمى عبادة والثانية أن لا يلاحظ الا تشرف النفس
بالتقريب الى الله وتسمى عبودة الثالثة ان لا يلاحظ الا الله وتسمى عبودية وهذه أعلى المراتب وفي
تقديم اياك على نعبد اشارة اليه ﴾ فنقول قد قال الجوهري العبادة والطاعة الخضوع والتذلل ولا
يستحقه الا الله سبحانه وتعالى ويسمى العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه وقال [illegible] أبو البقاء
العبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي وقوله تعالى ادعوا ربكم امر منه تعالى
بدعائه فهو عبادة بل هو مخها كما قدمناه قال أبو علي الدقاق ليس شيء أشرف ولا أتم للمؤمن من الوصف
بالعبودية قال في المطالع ولهذا وصف الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالعبودية في أشرف مقاماته
حين دعا الخلق الى توحيد الحق وعبادته قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وحين أنزل عليه القرآن
قال عز من قائل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
وقال سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى مع انه صلى الله عليه وسلم
حبيب الله وخليله كما ثبتت خلته في الصحيح قال بعضهم

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

ونحن قد قدمنا مراتب العبادة في بحث ارادة الانسان بعمله الدنيا وانها على ثلاثة أنواع باعتبار نياتهم
في طاعة الله تبارك وتعالى لان العبد اما ان يلتمس بعمله من ربه أمرا من أمور الدنيا كصحة وعافية

وتكثير ماله وولده أوسلامتهما وامان يلتمس به محمدة عند الناس ومحبة ومدحا منهم واما أن يعمل امتثالا لامره تعالى وتقدس واجلالا لعظمته وقياما بحق عبوديته وهذا الثالث من أعلى درجات الاخلاص كما عليه الصحابة والتابعون وتبعهم فيه المحققون من علماء كل مذهب وان شابه خوف من الله ورجاء وأما الاول والثانى فقد تقدم الكلام عليهما مبسوطا وهذه المراتب التى ذكرها صاحب المقدمة لا يخرج كل منها عن الاخلاص لان الموحد لا يخلو عن أن يكون خائفا من ربه راجيا وهى فى الحقيقة ترجع الى معنى واحد اذ من لاحظ بعمله الله لا يعلم هو مقبول منه أم لا فهو خائف راج قال تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم و يفعلون ما يؤمرون وما ذكر عن بعض الشيوخ انه جعل الخوف والرجاء من مقام فالمراد به ان المقربين يلاحظون بعبادتهم وجه الله فيقصدون رضاء الله والتلذذ بالنظر الجيد فهم يرجون حصول هذا المقصود المطلوب و يخافون حرمانه فلم يخلوا عن الخوف و مرجوهم ومخوفهم بحسب مطلوبهم ومن قال منهم لم أعبدك شوقا الى جنتك ولا خوفا م يظن ان الجنة اسم لما يتمتع فيه من نعيم المخلوقات والنار اسم لما يعذب فيه من ألم المخلو قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة بل كل ما أعد الله لاوليائه فهو فى الجنة والنظر ال ولهذا كان أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم يسأل الله الجنة و يستعيذ به من النار ولما س أصحابه عما يقول فى صلاته قال انى أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار اما انى لا أحسن دندنتك معاذ قال حولها ندندن وأما التألم بالنار فهو أمر ضرورى ومن قال لو أدخلتنى النار لكنت ر عزم منه على الرضا والعزائم قد تنفسخ عند وجود الحقائق ومثل هذا يقع فى كلام بعض الق ما قال سمنون

وليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فامتحنى

فابتلى بعسر البول فجعل يطوف على صبيان المكاتب و يقول ادعوا لعمكم الكذاب وبعض من تكلم فى علل المقامات جعل الحب والرضا والخوف والرجاء من مقامات العامة بناء على مشاهدة القدر وان من نظر الى القدر فشهد توحيد الافعال حتى فنى من لم يكن و بقى من لم يزل وهذا الكلام مستدرك حقيقة وشرعا اما الحقيقة فان الحى لا يتصور ان لا يكون حساسا محبا لما يلائمه مبغضا لما ينافره ومن قال ان الحى يستوى عنده جميع المقدورات فهو أحد رجلين اما أنه لا يتصور ما يقول بل هو جاهل واما انه مكابر معاند وأما الشرع فمن زعم أن المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل الى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقا فانه غالط بل لا بد من الفرق لانه أمر ضرورى لكن من خرج عن الفرق الشرعى بقى فى الفرق الطبيعى و يبقى متبعا لهواه لا مطيعا لمولاه ولهذا لما وقعت هذه المسئلة بين الجنيد وأصحابه ذكر لهم الفرق وهو أن يفرق العبد بين المأمور والمحظور و بين ما يحبه الله وما يكرهه مع شهوده القدر الجامع فيشهد الفرق فى الجميع فيكون عابدا لله قاصدا المطلوب خائفا حرمانه ومن دعائه رضى الله عنه اللهم انى أسئلك منك ما هو لك واستعيذ بك من كل أمر يسخطك اللهم لا تشغلنى بشغل من شغله عنك ما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعل غاية قصدى بك ما هو لك ولا تجعل قصدى اليك ما أطلبه منك يا أرحم الراحمين وقال الشيخ عبد القادر الجيلى رحم الله روحه ونور ضريحه خصال الاولياء أربعة أوصاف العبودية بالخوف من الله و رجائه ونعوت الربوبية بمشاهدة المقدورات والاشراف

على ما كان وما يكون بعلم الشريعة والوقوف عندها والدخول على الله فى كل يوم سبعين مرة بتجديد التوبة وكثرة الاستغفار انتهى وقال محمد بن الحنفية ليس لابدانكم قيمة الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وما كرمت على عبد نفسه الا هانت عليه الشهوات انتهى قال سبحانه وتعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون والمؤمن العامل اذا رجا بعمله ما وعده عليه مولاه لا يخرج برجائه ذلك عن الاخلاص الذى هو أعلى مراتب العبودية وانما اختلف الناس فى مقاصد العبادات وصفاتها فمنهم من يقول كلما كان أشق على النفس وأشد اتعابا فهو أفضل ومنهم من يقول ان أفضلها ما كان ادعى الى تحصيل الواجبات العقلية ومنهم من فضل بعضها على بعض لا لعلة بل يرجع فيه الى محض المشيئة والصواب ان أفضلها ما كان للعبد أنفع فما كان صاحبه أكثر انتفاعا به وكان صاحبه أطوع لله به من غيره فهو أفضل بشرط ان تكون العبادة تابعة لما جاء به الرسول فعلا أو تركا والجواب لاهل القول الاول أن يقال لهم أعظم مشقة من هذا كله فانه بذل النفس وتعريضها للموت وفيه غاية الزهد المتضمن لترك الدنيا مع جهاد النفس فى الباطن وجهاد العدو فى الظاهر فهو أفضل من الجوع والسهر والصمت ونحو ذلك وعن الثانى فلا ريب ان عبادات الموحدين كصلاتهم وصيامهم وحجهم ادعى الى ما هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم التى ابتدعوها فانها متضمنة للظلم المنافى وعن الثالث أن يكون الامر فى ذلك راجعا الى محض مشيئة الله وتعبده للخلق وحينئذ فمن تكون عبادته تابعة لامر الله الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يكون متعبدا بما أمر الله به بخلاف من يكون عباداته من عند نفسه ابتدعها من غير أن يأتيه بها الرسول من عند الله فانها غير مقبولة بل وزرها أعظم وليس شئ من أعمال البر الا ودونه عقبة تحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى السهولة والراحة وانما هى مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة ترك الدنيا ثم الاقبال على ربه خائفا راجيا ثم اللذة والنعيم هكذا ذكره شارح الحكم محمد المغربى انتهى وقول صاحب المقدمة وفى تقديم اياك على نعبد اشارة اليه ليس كذلك لان معنى التقديم الحصر وهو نفى العبادة عما سوى الله واثباتها له وحده وليس له مخصص فى بعض تلك المراتب التى ذكرها دون بعض اذ من لاحظ بطاعته امتثال أمر الله تبارك وتعالى مع خوفه ورجائه لا يقال انه مشترك مع الله فى العبادة ولا محتملها بعدم ملاحظته الله وحده لوجود ملاحظة أمره تعالى مع ملاحظة الثواب ودرء العقاب اذ هو مخلص بذلك باجماع الأمة ولا فيه ما يوهم عدمه وخوف الله ورجاؤه وامتثال أمره عبادة وحيث لوحظت تلك العبادة لا تكون معبودة ولا احتمال فيها والله تعالى أعلم * وأما قوله ﴿لا يلزم من دعاء غيره تعالى ان يكون ذلك الداعى مشركا فى العبادة كما تقدم﴾ فنقول قد بين الله سبحانه وتعالى فى غير موضع من القرآن أن النفس ليس لها نجاة ولا سعادة ولا كمال الا بأن يكون الله وحده معبودها ومحبوبها الذى لا أحب اليها منه ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلابد أن يكون العابد محبا للاله المعبود كمال الحب ولابد أن يكون ذليلا له كمال الذل وهما لا يصلحان الا لله وحده وهو الاله المستحق للعبادة الذى لا يستحقها الا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والاجلال والتوكل والدعاء بما لا يقدر عليه الا الله والنفوس محتاجة الى الله من حيث انه معبودها الذى هو محبوبها ومنتهى مرادها وبغيتها من حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بان الله هو رب كل شئ وخالقه ولم يعبد الله وحده بحيث يكون الله

أحب اليه من كل ماسواه وأخشى عنده من كل ماسواه وأعظم عنده من كل ماسواه وأرجى عنده من كل ماسواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه بما لا يقدر عليه الا الله مثل ما يدعو به الله فهو المشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حليما شجاعا فان أبا بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة كانوا قبل الاسلام لا يرضون ان يفعلوا الذنوب الكبار كالزنا والسرقه ولما بايع النبي صلى الله عليه وسلم هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية بيعة النساء لا يسرقن ولا يزنين قالت أوتزني الحرة فما كانوا في الجاهلية يعرفون الزنا الا للاماء والحرة العفيفة لان الحرائر كن عفائف قال سبحانه له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال خلقت الجن والانس الا ليعبدون فما حق العبد لاجله وطلب منه من سائر العبادة لابد لله وحده فان الغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله حقيقة قول القائل لا اله الا الله وبهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا وتزكو وتكمل الا بهذا كما قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة أي ما تزكو به التوحيد والايمان وكل من لم يحصل له هذا الاخلاص في سائر العبادات المأمور بها أشر أهل النجاة والسعادة قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء موضعين من كتابه فليس الموحد الا المخلص بعبادته لله وحده لا شريك له المتبع ما جاءت به محمد وعليهم الصلاة والسلام وضده هو المشرك الشرك الذي لا يغفر بجعله ما هو مختص بجلال الله أوله ولغيره وقد قدمنا الكلام على هذا البحث مبسوطا والله تعالى أعلم * وأما قوله ﴿اذ مع الاعتراف بانه صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ورجاؤه شفاعته كيف يقول طلب شفاعته اشراك في العبادة﴾ فنقول وان وجب على كل مسلم الايمان بشفاعته صلى الله عليه وسلم فرجاؤها من الله وسؤاله أن يشفع نبيه فيه هو المطلوب اذ شفاعته باذن الله لمن رضي عنه ولا يعلم هو من يأذن فيه ويرضى عنه أم لا فتعين عليه صرف همته وعزمه أمره الى ربه بالاقبال عليه والاتكال عليه والقيام بحق عبوديته لينال الشفاعة وان حصل منه تقصير بنوع من المعاصي بخلاف من أهمل ذلك وتركه وارتكب ضده من الاقبال على غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده الا من عند الله والالتجاء اليه مقبلا على الشفاعة متوكلا عليها طالبها من النبي صلى الله عليه وسلم فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد فلا بالها وقد حسم سبحانه مواد المشركين وما يتعلقون به ويرجونه حسما قاطعا في كتابه المبين ولا أعظم لهم تعلقا منها فجعلها كلها له وعلق وجودها بشرطين وجود اذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له فلا تسأل من غيره سبحانه وتعالى وقد قدمنا الكلام عليها مرارا متعددة مبسوطا في محالها * وأما قوله ﴿تنبيه * الشفاعة السعي في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع الى آخر كلامه﴾ فهو خطأ اذ المشفوع له ليس المشفوع عنده بل هو المشفوع فيه وصوابه ان يقول عند المشفوع عنده وهو الشفيع بكسر الفاء اسم فاعل وأما اشتقاقها فقد قال أهل المعاني ان الشفاعة مأخوذة من الشفع المقابل للوتر فاستعملت في الشفيع باعتبارين * الاول منهما كونه شافعا صاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة * الثاني كونه شافعا للمسؤل منه قضاء الحاجة

فى قضائها اذهى لم تقض الا بسبب شفاعته فكأنه شركه وشفعه فيها فمن الاول قوله تعالى [illegible]
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الآية ومن الثانى قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا
يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿و [illegible]﴾ فمنها ما تكون فى الخير كالاصلاح بين
الناس فى الدنيا قال تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وفى الآخرة هى توجه المأذون له فيها
لمن ارتضى الله عنه اما برفع درجاته واما بدخوله الجنة اول دخلة الاحساب واما بعدم دخوله النار التى
قد استحق دخولها باعمال سيئة قد عملها [illegible] وكان [illegible]
السر كالمشى فى الغيبة والنميمة واساءة القول فى الناس قال سبحانه وتعالى ومن يشفع
[illegible] يكن له كفل منها واستعمل [illegible] فى الشر على جهة التهكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم
[illegible] الناس قد افترقوا فى الشفاعة ثلاث فرق طرفان ووسط بين مثبت ما نفاه القرآن وبين
[illegible] السنة وهم الخوارج والمعتزلة وبين مثبت ما اثبته الله ورسوله ونافٍ ما نفاه الله ورسوله
[illegible] السنة والجماعة ولكن من حقق معنى الشفاعة [illegible] عتق [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وآخر وظاهره وباطنه هو [illegible]
الله وتحقيق قول لا اله الا الله [illegible]
[illegible] الا لا نقدر ان نضبطه [illegible] توحيد المفروض [illegible]
[illegible] بان الله خالق كل شئ وربه [illegible]
[illegible] اقربه [illegible]
[illegible] التوحيد القولى والعملى فان المشركين ما [illegible]
[illegible] بخالق شئ بل كانوا كما قال الله [illegible] من خلق [illegible] والارض ليقولن الله
وقال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون [illegible] لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله
قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
فانى تسحرون وكانوا مع اقرارهم بان الله هو الخالق وحده يجعلون معه [illegible]
[illegible] اليه ويقولون [illegible] الى الله زلفى [illegible]
والدعاء غيره [illegible] قال تعالى ومن الناس [illegible]
اشد حبا لله فمن احب مخلوقا كما يحب [illegible]
بان الله خالقه وهذا فرق [illegible]
يكون الله [illegible]
يحب انبياء [illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
لله [illegible]
اذن له ان يشفع فيه [illegible]
شفعاؤنا عند الله وقال تعالى اتخذوا احبارهم [illegible]
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون [illegible]

ما عبدوهم قال احلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم
قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول
ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان
الشيطان للانسان خذولا فالرسول وجبت طاعته لانه من يطع الرسول فقد أطاع الله فالحلال ما حلله
والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والامراء والملوك انما تجب
طاعتهم اذا كانت طاعتهم طاعة لله وهؤلاء اذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة
الرسول قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فما
قال وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الامر منكم بل جعل طاعة أولي الامر داخلة في طاعة الرسول
وطاعة الرسول طاعة الله وأعاد الفعل في طاعة الرسول دون طاعة أولي الامر فانه من يطع الرسول
فقد أطاع الله فليس لاحد اذا أمره الرسول بامر أن ينظر هل أمر الله به أم لا بخلاف أولي الامر فانهم
قد يأمرون بمعصية الله فليس كل من أطاعهم مطيعا لله بل لابد فيما يأمرون به أن يعلم انه ليس معصية
لله وينظر هل أمر الله به أم لا سواء كان ولي الامر من العلماء أو الامراء ويدخل في هذا تقليد العلماء
وطاعة أمراء السرايا وقبول ما ينسب عن المشايخ الصوفية كأبي يزيد البسطامي وغيره فان كل أحد
يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع أبو الفضل كتابا من كلام أبي يزيد
البسطامي سماه النور من كلام طيفور فيه شيء كثير لا ريب انه كذب على أبي يزيد البسطامي وفيه
أشياء من غلط أبي يزيد رحمه الله وفيه أشياء موافقة لامر الشرع ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من
المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم أحدا من أمة محمد يدخل النار فانا منكم بريء وتعقبه الا
قلت لمريدي ان تركتم أحدا من أمة محمد يدخل النار فانا منكم بريء فصدق هذا النقل عنه ثم جعل
هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه
ان كان قد علم ما أخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبائر وان النبي صلى الله عليه
وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان يطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح وابراهيم وموسى وعيسى
فيتنحون ويعتذرون ثم صدق ان مريدي أبي يزيد أو غيره يمنعون احدا من الامة من دخول النار
أو يخرجون كل من دخلها منهم كان ذلك كفرا منه بما أخبر به الصادق المصدوق بحكاية منقولة
كذب ناقلها وأخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لا يعلم ما أخبر به الرسول كان من أجهل
الناس باصول الايمان (فعلى المسلم) الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجتهد ان يعرف ما أخبر به
الرسول وأمر به علما يقينا وحينئذ فلا يدع المحكم المعلوم للمشتبه المجهول فان مثال ذلك من كان سائرا
الى مكة في طريق معروفة لاشك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لا يعرفها
ولا يعرف منتهاها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لا يدري هل يوافق الكتاب
والسنة أو يخالف ذلك (وأما) من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير
على الطريق المعروفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذه حال
من ترك المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمرو ولهذا قال تعالى لقد أرسلنا
رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب فاخبر انه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان

لاجل قيام الناس بالقسط وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف
ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب الذي هو القرآن وأهل
الحديد كما قال من قال من السلف صنفان اذا صلحوا صلح الناس العلماء والامراء وتأولوا قوله تعالى
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أقوال العلماء والامراء ولهذا نص الامام احمد وغيره
على دخول الصنفين في هذه الآية اذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص
يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه ومن بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونوابهم ولهذا
كان الذي يصلي بالناس صاحب القرآن والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد الى ان تفرق
ذلك فاذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن
يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بجمع الاموال وقسمها يجب أن يطاع فيما أمر
به الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ اخباره وأوامره وبيانها يجب ان يصدق
فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك والمقصود هنا بذلك كله
قيام الناس بالقسط الذي هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل قل أمر
ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن
أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ودين الاسلام العام
الذي اتفقت عليه جميع النبيين هو المذكور في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين وقال نوح عليه السلام وأمرت أن أكون من المسلمين وقال الله عن
ابراهيم اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين الى قوله فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال عن موسى
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فهذا التوحيد الذي هو أصل الدين وقوامه هو
أعظم العدل وأصوبه وذلك بأن يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة في
لفظها ومعناها شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنا ممن توجه
اليك بها مخلصا حتى يلقاك وأنت عنه راض فثبتنا اللهم عليها واجعلنا من أهلها مطيعين لامرك
آمرين بعدلك ناهين بنهيك وهذا آخر ما أردنا املاءه في تلك المقدمة العجالة في تلك الورقات
الرسالة فلله الحمد أولا وآخرا ظاهرا وباطنا اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين
معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا
بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على
من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا
يا ارحم الراحمين آمين اللهم صل وسلم على أفضل خلقك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

نحمدك يامن أنزلت النور المبين وحفظته من تحريف المضلين الغاوين وجعلته هدى ورحمة للمؤمنين ونصلي ونسلم على صفوة الصفوة سيدنا محمد وآله وصحبه ومن نحا نحوه

(وبعد) فقد تم طبع كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق تأليف العلامة سليمان ابن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على نفقة الشيخ (صالح بن دخيل الجار الله) وذلك بالمطبعة العامرة الشرفية الكائن محل إدارتها بشارع الخرنفش من مصر المحمية وكان انتهاء هذا الطبع وتمثيل هذا الوضع أواخر رجب الحرام من سنة ١٣١٩ من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ما تعاقب الليالي والأيام

﴿فهرست كتاب التوضيح﴾

صحيفة

﴿ تمت ﴾